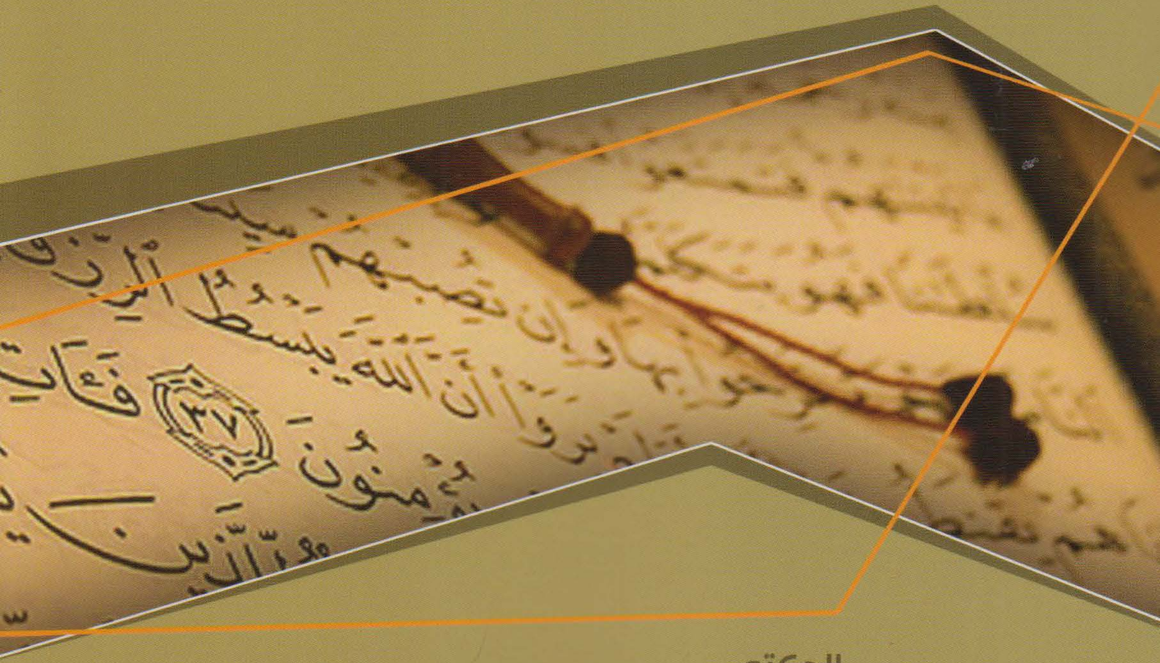
الاتصال اللغوي في القرآن الكريم

دراسة تأصيلية في المفاهيم والمهارات



الدكتور
فهد محمد الشعابي الحارثي

منتدى المعارف
alMaaref Forum

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

الاتصال اللغوي
في القرآن الكريم

دراسة تأصيلية في المفاهيم والمهارات

الدكتور فهد محمد الشعابي الحارثي

أستاذ أصول التربية الإسلامية المساعد

كلية التربية - جامعة الباحة

الاتصال اللغوي في القرآن الكريم

دراسة تأصيلية في المفاهيم والمهارات

منتدى المعارف

alMaaref Forum

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد منتدى المعارف

الحارثي، فهد محمد الشعابي

الاتصال اللغوي في القرآن الكريم: دراسة تأصيلية في المفاهيم والمهارات/ فهد محمد الشعابي الحارثي.

٢٢٤ ص.

ببليوغرافية: ص ٢٠٩ ـ ٢٢٤.

ISBN 978-614-428-069-0

١ .اللغة العربية. ٢. الأسلوب اللغوي. أ. العنوان.

492.75

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر منتدى المعارف»

© جميع حقوق الطبع والنشر
محفوظة للمنتدى

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٤

منتدى المعارف

بناية «طبارة» ـ شارع نجيب العرداتي ـ المنارة ـ رأس بيروت

ص.ب: ٧٤٩٤ ـ ١١٣ حمرا ـ بيروت ٢٠٣٠ ١١٠٣ ـ لبنان

بريد إلكتروني: info@almaarefforum.com.lb

الإهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد إلى . . .

إلى والديَّ الكريمين . . . رحمهما الله

وإلى عنوان التواصل ولسان الاتصال

أخي أحمد . . . رحمه الله

وإلى زوجتي الغالية (أم عبد الرحمن) وفاءً لعطائها وصبرها

وإلى أبنائي (عبد الرحمن وأمل وأروى ومحمد ولجين)

وإلى إخواني وأخواتي

إليهم جميعاً . . .

هدية وصال وعنوان اتصال

المحتويـات

مقدمـــة

تمهيد

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان لتحقيق العبودية له وحده، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]

والمؤمن في كل أحواله ينطلق من الإيمان بوحدانية الله، وأنه لا إله غيره، ولا معبود بحق سواه، فالإيمان هو المحرك لجميع تصرفات الفرد، والمؤثر في كل أعماله.

ولا شك في أن طريق العلم والمعرفة يبدأ من المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، يبدأ من القرآن الكريم، فهو منهج حياة، وطريق نجاة، ومفتاح السعادة، وهو «كلام الله المنزل على محمد (ﷺ) المتعبد بتلاوته»[١]. إنه كتاب الهداية والبشارة للمؤمنين ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

إن الله سبحانه وتعالى أنزل هذا القرآن ليكون منهجاً ربانياً شاملاً للحياة الدنيا والآخرة؛ ففيه صلاح الناس وسعادتهم، وقد تكفّل الله تعالى بحفظه، وأنزله بلسان عربي مبين؛ ليكون هدى للناس وبيّنات من الهدى والفرقان، وهو الأصل في التشريع الإسلامي، والمصدر الأول الذي تستنبط منه الأحكام.

والمسلم يستمد «من القرآن والسنة معرفته بخالقه وبالدين وبحقائق العقيدة وبالتصور العام للوجود، ومعرفة العبادات وأحكام الشريعة، وبالقيم الأخلاقية

(١) مناع القطان، **مباحث في علوم القرآن**، ط ٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ٢١.

وبالمبادئ والأصول العامة في النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي»[٢].

لقد جاء القرآن الكريم بكل نظام يكفل للبشرية الحياة السعيدة المطمئنة في الدنيا والآخرة، فكان النظام التشريعي، والنظام الاجتماعي، والنظام الاقتصادي.

ومن تلك الأنظمة أيضاً النظام اللغوي، فاللغة في أي أمة هي البوتقة التي تُصَبُّ فيها حضارة تلك الأمة وثقافتها ومعرفتها؛ فهي «الحاضن الرئيس لحضارة الأمة الناطقة بها والمعبر الحقيقي عن ثقافتها وفكرها وهويتها...»[٣] لذا تحرص كل الأمم على المحافظة على لغتها حرصاً منها على ثقافتها وهويتها الحضارية.

وتعد اللغة وسيلة الاتصال الأولى للبشرية جمعاء «فهي أداة التعبير منذ خلق الله الإنسان واستخلفه في هذا الكون. وهي مظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى في خلقه حيث التنوع في اللون والعرق واللغة»[٤] قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢].

واللغة لا تقف عند حد التعبير فقط، وإنما هي وسيلة اتصال خاصة بالإنسان، يتواصل من خلالها مع أفراد المجتمع، فتمكّنه من تنظيم حياته وقضاء حاجاته. وهي كذلك وسيلة رئيسة للتعليم والتعلّم لأنها قوالب للتفكير، فالإنسان يفكر أولاً ثم يعبّر، والتفكير لا يكون إلا من خلال اللغة.

والإنسان اجتماعي بطبعة، ولا يمكن أن يستغني عن الجماعة، وهو بحاجة إلى أن يتصل بهم، ويتفاعل معهم و «لا يمكن له التعامل مع مجتمعه والتحكم في الظروف المحيطة به [من] دون أن تكون لديه مهارات اتصالية تعينه على قضاء حاجاته، وتلبية رغباته...»[٥] ومن أهم تلك المهارات الاتصالية مهارات الاتصال اللغوي، فلها أثر كبير في نجاح الاتصال مع

---

(٢) سعيد إسماعيل علي [وآخرون]، **التربية الإسلامية المفهوم والتطبيقات**، ط ٥ (الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٢)، ص ١٠٨.

(٣) **الوعي الإسلامي** (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت)، العدد ٤٨٠ (شعبان ١٤٢٦هـ - أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥)، ص ٣.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) أحمد بن راشد بن سعيد، **فن الكلام: مدخل إلى الاتصال العام** (الرياض: دار جبل الشيخ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص ١.

الآخرين، فكلما امتلك الفرد القدرة على استخدام هذه المهارات كان ذلك سبباً في نجاحه وتحقيق أهدافه.

ويتصل الإنسان لغوياً مع الآخرين من خلال مهارات الاتصال الأساسية، وهي الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، فيستمع إلى ما يقوله الآخرون، ويقرأ ما يكتبه غيره، ويتحدَّث ويكتب نتيجة لما سمع أو قرأ. وقد تناول القرآن الكريم هذه المهارات بذكرها صراحة، أو بالإشارة إليها ضمن سياق الآيات.

أولاً: موضوع الكتاب

تحظى عملية الاتصال بعناية كبيرة لدى شرائح المجتمع على اختلاف مستوياتهم العلمية؛ فكثرت المؤلفات في هذا الموضوع، وأخذ الناس يهتمون بها نظرياً وتطبيقياً، وذلك لطبيعة الإنسان الاجتماعية، التي تتطلب منه أن يتواصل مع الآخرين لقضاء حاجاته وتنظيم حياته، ولإشباع رغباته النّفسية والاجتماعية.

وقد اجتهد الباحثون والمؤلفون في إعداد المؤلفات التي تساعد الفرد على التمكن من هذه المهارات، وقدّموا عدداً من القوائم المهاريّة لكل مهارة مستقلة وقرنوها بتدريبات عملية للتدرّب عليها وتنميتها(٦).

ومن جملة العملية الاتصالية التي يقوم بها الفرد مع غيره الاتصال اللغوي، إضافة إلى الاتصال البصري والاتصال الحسي، ولكلٍ مهاراته وآدابه.

وعملية الاتصال تتم من خلال عدة عناصر: المرسل، والمستقبل، والرسالة، والوسيلة، وتتم بطريقة تبادلية، فحينما يستمع الفرد إلى غيره، أو يقرأ لغيره يكون مستقبلاً، وحينما يتحدّث أو يكتب يكون مرسلاً، والرسالة هي المحتوى أو المادة التي تُلقى من متحدّث إلى مستمع، أو من كاتب إلى قارئ، والوسيلة هي القناة التي تمر من خلالها تلك الرسالة.

---

(٦) انظر على سبيل المثال: إبراهيم أبو عرقوب، **الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي** (عمّان: دار مجدلاوي، ١٩٩٣)؛ برت دكر، **فن الاتصال**، ترجمة عبد الرحمن بن هادي الشمراني، ط ٢ (الرياض: دار المعرفة للتنمية البشرية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)؛ هارفي أ. روبنر، **كيف تتحدث وتستمع بفعالية** (الرياض: مكتبة جرير، ١٩٩٩)؛ رشدي أحمد طعيمة، **المهارات اللغوية: مستوياتها ـ تدريسها ـ صعوباتها** (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ومحمد منير حجاب، **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة**، ط ٤ (القاهرة: دار الفجر، ٢٠٠٣).

وهناك أربع مهارات رئيسة لأي لغة في العالم، هي: الاستماع، والتحدُّث، والقراءة، والكتابة، يمارس من خلالها الفرد عملية الاتصال اللغوي مع الآخرين، ولكي تكون تلك العملية ناجحة يحتاج الفرد إلى التمكّن من مهارات الاتصال اللغوي؛ فالتمكّن منها يعني التمكّن من اللغة التي هي أداة ذلك الاتصال، والتمكّن من اللغة يعني كذلك التمكّن من الفكر.

إن التمكّن من مهارات الاتصال اللغوي يساعد الفرد على القيام بدوره على أكمل وجه، فيما يخصّه هو، أو ما يخصّ مجتمعه الذي يعيش فيه، فالفرد من خلال الاتصال اللغوي الناجح يعبّر عن أفكاره ومشاعره ورغباته، يعبّر عن آماله وآلامه، عن طموحاته وتطلّعاته، ينقل أفكاره إلى الآخرين، كما إن ذلك يساعده في بناء شخصية مستقلة، قادرة على الحوار والمناقشة، وإبداء الرأي، والمبادرة، وقادرة أيضاً على التعليم والتعلُّم.

وفي المجتمع تشكّل عملية الاتصال اللغوي أهمية كبيرة في أنها أداة للتواصل مع الآخرين، ووسيلة تربية وإرشاد وتوجيه، ولها وظيفة حضارية في حفظ التراث ونقله، كما إنها أيضاً وسيلة مهمة للتعليم والتعلُّم.

إن الدّراسات التي تناولت هذه المهارات كانت تستقي معارفها من محيط العلم البشري، وقد قدّمت للبشرية نتاج فكرها، وعصارة تجربتها، القديم منها والحديث، فتناولت الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، بمختلف مهاراتها وآدابها من خلال المعرفة البشرية القائمة على الملاحظة والتجربة[٧]، وهذا حسن ومفيد، ولكن الأكثر حسناً، والأعظم فائدة ـ بلا شك ـ هو أن ننهل من منابع التنزيل، وأن نَرِد مناهله المتدفِّقة، فنقرأ ونستقرئ، ونفهم ونستفهم، ونجهد الفكر على ضوء من التفسير، ونحاول أن نؤصل لتلك المهارات اللغوية، حتى تتم الفائدة منها، ولا سيما أنها وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

والقرآن الكريم حافل بكل ما تحتاج إليه البشرية في الدنيا والآخرة، فيه

---

(٧) انظر على سبيل المثال: محمد صالح سمك، **فن التدريس للتربية اللغوية** (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨)؛ ميلود حبيبي، **الاتصال التربوي وتدريس الأدب** (بيروت؛ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣)؛ أحمد مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية** (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، وطعيمة، المصدر نفسه.

هدى وبشرى وبيان للناس، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

والمواضع التي أشارت إلى مهارات الاتصال اللغوي في القرآن الكريم كثيرة، منها الآيات التي تتحدّث عن الاستماع كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ويأتي التحدُّث والقول كما في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، وترد القراءة كما في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١-٥]، وتأتي الكتابة كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ومهما يكن فإنه مع عناية الباحثين بالمهارات اللغوية عند حديثهم عن تعليم اللغة، أو التطرق لمهارات التواصل الإنساني بشكل عام؛ إلا أنني لم أعثر على أي دراسة تناولت تتبع مهارات الاتصال اللغوي في القرآن الكريم، ومحاولة الاستفادة منها في بناء الفرد وتفاعله مع مجتمعه.

وبناء على ما سبق، فإن هذه الدراسة تسعى إلى تأصيل مهارات الاتصال اللغوي، والتعرّف عليها في القرآن الكريم، ومعرفة أهم مهاراتها وآدابها من خلال الاستقراء ومن ثم الاستنباط، وكيف يمكن الاستفادة من ذلك في إمداد الميدان بالمفاهيم التأصيلية لهذه المهارة.

ثانياً: مصطلحات بين يدي الدراسة

١ ـ مهارات

كلمة (مهارات) أصلها من (مهر) ومفردها مهارة، يقول ابن منظور: «والمَهارة: الحِذق في الشيء. والماهر: الحاذق بكل عمل، والجمع مَهَرَة... ويقال: مَهَرْتُ بهذا الأمر أَمهَرُ به مَهارة أي صرتُ به حاذقاً»(٨).

(٨) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، [د. ت.])، مادة (مهر).

ويبدو من هذا المعنى **المعجمي** أن المهارة تعني الإتقان والإجادة، وهذا ما جاءت به التعريفات الاصطلاحية للمهارة فهي «الأداء السهل الدقيق، القائم على الفهم لما يتعلمه الإنسان حركياً وعقلياً، مع توفير الوقت والجهد والتكاليف»(٩).

وأعني بالمهارات في هذه الدراسة: **التمكن من أداء أي عمل بسهولة ودقة، مع الإتقان والإجادة باستمرار.**

٢ ـ الاتصال

الاتصال أصله من الفعل (وصل) يقول ابن منظور: «وَصَلْت الشيء وَصْلاً وَصِلَةً، والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران... وَصَل الشيء بالشيء يَصِلُه وَصْلاً... واتَّصَلَ الشيءُ بالشيء: لم ينقطع... ووَصَلَ الشيءُ إلى الشيء وُصُولاً وتَوَصَّل إليه: انتهى إليه وبَلَغه...»(١٠).

يقول الفيروزبادي: «أوصله واتصل: لم ينقطع...والوُصْلَةُ، بالضم، الاتِّصال»(١١).

فهو عملية تفاعل بين اثنين أو أكثر، كما يظهر من المعنى المعجمي للكلمة، وهو كذلك انطلاق ووصول، وهو التقاء وبلوغ.

والاتصال في الاصطلاح: «عملية يتم بمقتضاها نقل فكر أو معلومة إلى فرد أو مجموعة من الأفراد، وقد تكون من مجموعة من الأفراد إلى فرد أو من فرد إلى فرد، ويشترط فيها توافر عناصر الاتصال، المرسل والمستقبل والرسالة والوسيلة التي نستخدمها في عملية الاتصال، وقد تكون الكلمات اللفظية أو المنطوقة أو الاثنتان معاً، أو من خلال الكتابات والمراسلات أو المخططات أو الرسوم البيانية، أو غير ذلك من الوسائل الأخرى»(١٢).

---

(٩) أحمد اللقاني وعلي الجمل، **معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس**، ط ٢ (القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص ٢٤٩.

(١٠) ابن منظور، المصدر نفسه، مادة (وصل).

(١١) مجد الدين محمد الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ط ٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، مادة (وصل).

(١٢) اللقاني والجمل، **معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس**، ص ٨.

وهو أيضاً «نقل وتوصيل أو تبادل الأفكار والمعلومات بالكلام أو بالكتابة أو بالإشارات»[١٣].

والمقصود بالاتصال في هذه الدراسة: **عملية تفاعل بين اثنين أو أكثر، من خلال عمليات الإرسال والاستقبال، بوسيلة تحقق الهدف وتصل إلى الغاية التي من أجلها كانت العملية الاتصالية.**

أ ـ الاتصال اللغوي

إن عملية الاتصال الإنساني تتم من خلال عدد من الوسائل، فهناك الاتصال البصري، والاتصال الحسي، والاتصال اللغوي. ونقصد **بالاتصال اللغوي** في هذه الدراسة: **عملية تفاعل بين اثنين أو أكثر، من خلال إرسال واستقبال الأفكار والمعاني بلغة لفظية سليمة، عن طريق مهارات الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة.**

ب ـ الإرسال اللغوي

الإرسال أصل الكلمة من اللفظ (رسل)، يقول ابن منظور: «الإرْسال التوجيه وقد أَرْسَل إليه. . . [و] تَراسَل القومُ أَرْسَل بعضُهم إلى بعض»[١٤].

وأعني بالإرسال اللغوي: **إرسال الأفكار أو الخبرات أو المشاعر أو المعلومات إلى المستقبل شفوياً عن طريق التحدّث، أو كتابياً عن طريق الكتابة.**

ج ـ الاستقبال اللغوي

الاستقبال أصل الكلمة من اللفظ (قَبِلَ)، يقول ابن منظور: «الاستقبال: ضدُّ الاستدبار. واستقبَل الشيءَ وقابَله: حاذاه بوجهه. . . قَبَلْت الشيء ودَبَرْته إذا استقبلتَه أَو استَدْبرته»[١٥].

وأقصد بالاستقبال اللغوي في هذه الدراسة: **استقبال الأفكار أو الخبرات أو المشاعر أو المعلومات من المرسل شفوياً عن طريق الاستماع، أو كتابياً عن طريق القراءة.**

---

(١٣) أبو عرقوب، **الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي**، ص ١٧.

(١٤) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (رسل).

(١٥) المصدر نفسه، مادة (قبل).

٣ ـ الاستماع

الاستماع مصدر للفعل (استمع)، يقول ابن منظور: «السَّمْعُ: حِسُّ الأُذن... والسَّمْعُ أيضاً: الأُذن، والجمع أَسْماعٌ... واسْتَمَعَ له. وتسَمَّع إليه: أَصْغى»[١٦].

والاستماع اصطلاحاً: «هو تعمّد تلقّي أي مادة صوتية بقصد فهمها والتمكن من تحليلها واستيعابها، واكتساب القدرة على نقدها، وإبداء الرأي فيها إذا طلب من المستمع ذلك»[١٧].

وهو كذلك «جهد إيجابي مخلص مقصود وشاقّ، يتضمن الانتباه لرسالة ما، وإدراكها من وجه نظر صاحبها، وفهمها على نحو متكامل، وتقييمها»[١٨].

فالاستماع عملية مقصودة، الهدف منها الفهم والتحليل والتقويم للمادة المسموعة.

وأقصد بالاستماع: **استقبال الكلام المسموع بقصد وانتباه، بهدف فهمه وتحليله ونقده، لتحقيق الاتصال اللغوي الناجح.**

وللاستماع ألفاظ أخرى مثل (الإنصات والإصغاء)، وإن كانت تستعمل ضمن دائرة الاستماع إلا أن هناك اختلافاً في المعنى يمكن الكشف عنه من خلال كتب اللغة والمعاجم وكتب التربية أثناء الدراسة والبحث.

٤ ـ التحدُّث

التحدُّث في اللغة أصله من (حدث) يقول ابن منظور: «الحَدِيثُ: نقيضُ القديم. والحُدُوثُ: كونُ شيء لم يكن... والحديثُ: الجديدُ من الأَشياء. والحديث: الخَبَرُ يأْتي على القليل والكثير، والجمع: أَحاديثُ... والحديثُ: ما يُحَدِّثُ به المُحَدِّثُ تَحْديثاً... وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ أي بَلِّغْ ما أُرْسِلْتَ به»[١٩].

---

(١٦) المصدر نفسه، مادة (سمع).

(١٧) فاضل فتحي والي، **تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية** (حائل: دار الأندلس، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص ١٤٣.

(١٨) محمد بلال الجيوسي، **أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني** (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص ٤٧.

(١٩) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حدث).

إن للمعنى المعجمي لأصل كلمة (التحدُّث) معانيَ متعددة، فهو كل جديد، لم يكن موجوداً، أو الخبر، وهو البلاغ بالأمر، ويوصف به ما يقوله المتكلم، فالحديث، إذاً، يطلق على الكلام الذي يكون جديداً عندما يتحدث به صاحبه، فهو حديث في وجوده ولم يكن من قبل، وعادة يكون خبراً، أو بلاغاً.

والتحدُّث في الاصطلاح هو «ذلك الكلام المنطوق الذي يعبِّر به المتكلِّم عما في نفسه من هاجسة أو خاطرة، وما يجول بخاطره من مشاعر وإحساسات، وما يزخر به عقله من رأي أو فكر، وما يريد أن يزوِّد به غيره من معلومات أو نحو ذلك، في طلاقة وانسياب، مع صحة في التعبير وسلامة في الأداء»[٢٠].

وهو كذلك «مهارة نقل المعتقدات والأحاسيس والاتجاهات والمعاني والأفكار والأحداث من المتحدِّث إلى الآخرين في طلاقة وانسياب مع صحة في التعبير وسلامة في الأداء»[٢١].

والتحدث مهارة اتصال لغوي يتمكن الفرد من خلالها من الاتصال بالآخرين، ليعبّر عما في نفسه وعن حاجاته، أو لتزويد الآخرين بالمعلومات بلغة سليمة.

والمقصود بالتحدُّث في هذه الدراسة: **إرسال الكلام المنطوق تعبيراً عما في النفس من مشاعر أو أفكار أو معلومات، بهدف نقلها إلى الآخرين بلغة سليمة واضحة.**

ويقابل التحدُّث بعض المصطلحات الأخرى التي تدخل في سياقه، وهي: الكلام، والقول والخطاب.

٥ ـ القراءة

القراءة مأخوذة من الفعل (قرأ) يقول ابن منظور: «قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ، قَرْءاً وقِراءة وقُرآناً، فهو مَقْرُوءٌ. ومعنى قَرَأْتُ القُرآن: لَفَظْت به مَجْمُوعاً أي

---

(٢٠) محمد صلاح الدين مجاور، **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية أسسه وتطبيقاته** (الكويت: دار القلم، ١٩٧٤)، ص ١٨٩.

(٢١) محمد صالح الشنطي، **المهارات اللغوية**، ط ٤ (حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م)، ص ١٩٤.

أَلقيته. . . وَقَرأْتُ الكتابَ قِراءة وقُرْآناً، ومنه سمي القرآن»[٢٢].

ويقول الفيروزبادي: «قَرَأَهُ فهو قارئ: تلاه. . . والقَرَّاءُ: الحسن القراءة»[٢٣].

والقراءة في الاصطلاح: «نطق الرموز وفهمها وتحليل ما هو مكتوب ونقده، والتفاعل معه، والإفادة منه في حل المشكلات، والانتفاع به في المواقف الحيوية، والمتعة النفسية»[٢٤].

وهي كذلك «عملية يراد بها إدراك الصلة بين لغة الكلام اللسانية، ولغة الرموز الكتابية التي تقع عليها العين. . . وهي نشاط فكري لاكتساب القارئ معرفة إنسانية من علوم وثقافة ومعتقدات ومقدسات. . .»[٢٥].

وهي أيضاً «عملية التعرف على الرموز المطبوعة، ونطقها نطقاً صحيحاً (إذا كانت القراءة جهرية) وفهمها»[٢٦]؛ فهي تفسير الرموز المكتوبة بأصوات مسموعة، وفهمها، وتحليل أفكارها، ونقدها.

وأريد بالقراءة في هذه الدراسة: **استقبال المادة اللغوية المكتوبة وتفسيرها رموزها، وفهمها، ونقدها والاتصال من خلالها بأفكار الآخرين وثقافاتهم اتصالاً لغوياً ناجحاً.**

٦ ـ الكتابة

أصل الكتابة من الفعل (كتب) يقول ابن منظور: «كَتَبَ الشيءَ يَكْتُبه كَتْباً وكِتاباً وكِتابةً، وكَتَّبَه: خَطَّه. . . والكِتابةُ لِمَنْ تكونُ له صِناعةً. . .»[٢٧].

ويقول الفيروزبادي: «اكتتبه: استملاه، والكتاب: ما يكتب فيه، والإكتاب تعليم الكتابة»[٢٨].

---

(٢٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قرأ).

(٢٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة (قرأ).

(٢٤) أحمد فؤاد عليان، **المهارات اللغوية: ماهيتها وطرائق تنميتها**، ط ٢ (الرياض: دار المسلم، ٢٠٠٠)، ص ١٠١.

(٢٥) سمك، **فن التدريس للتربية اللغوية**، ص١٢٣.

(٢٦) والي، **تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية**، ص ٢١٤.

(٢٧) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كتب).

(٢٨) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة (كتب).

والكتابة في الاصطلاح: هي «تحويل الأصوات اللغوية إلى رموز مخطوطة على الورق، أو غيره، متعارف عليها، بقصد نقلها إلى الآخرين، مهما تناءى الزمان والمكان، وبقصد التوثيق والحفظ، وتسهيل نشر المعرفة»[٢٩].

فهي وسيلة تعبير عما في النفس، يتم من خلالها تحويل الأفكار والمشاعر إلى رموز مكتوبة، والهدف منها كما يظهر من التعريفين السابقين الاتصال اللغوي بين الأفراد والجماعات، لنقل تلك الأفكار والمشاعر، وتوثيقها وحفظها، حتى تسهل عملية نشر المعرفة.

والمقصود بالكتابة في هذه الدراسة: **إرسال الأفكار أو المشاعر، ونقل المعرفة إلى الآخرين أو حفظها وتوثيقها برموز مكتوبة، لتحقيق الاتصال اللغوي الناجح.**

(٢٩) الشنطي، **المهارات اللغوية**، ص ٢٠٥.

الفصل الأول

مدخل مفاهيمي للاتصال والمهارة

تمهيد

المهارة، أداء يتميز بالإجادة والإتقان، مع توفير الوقت والجهد، وهي أداء يتكون من مجموعة من الحركات الجسمية أو العقلية ليكوّن عملاً واحداً يطلق عليه مهارة.

واللغة، أداة التفكير والتعبير، ووسيلة الاتصال، وهي منحة ونعمة ربانية، وسمة من سمات البشرية، وهي التفكير الناطق، ولسان القلب.

والاتصال، وظيفة من وظائف اللغة، فإذا أراد الفرد أن يتفاعل مع مجتمعه، وأن يمارس التواصل معهم، فإن أول وأهم وسيلة يستخدمها لذلك التواصل هي اللغة.

وإذا كان للغة وظائف عدة، وللاتصال وسائل متنوعة؛ فإن الذي يجمع بينهما هو الاتصال اللغوي. وهو نوع من أنواع الاتصال الذي يستخدم فيه المرسل اللغة لنقل أفكاره ومشاعره وخبراته إلى الآخرين من خلال عدد من المهارات.

ولعلنا من خلال هذه الدراسة نقف على ملامح الاتصال اللغوي في القرآن الكريم، وأن نناقش مهاراته الأساسية. ولكننا بحاجة قبل ذلك ـ إلى وقفة مع المهارة؛ لبيان مفهومها وخصائصها ومكوناتها، مع بيان هذا المفهوم في القرآن الكريم. ووقفة ثانية مع اللغة؛ لبيان مفهومها وأهميتها ووظائفها وخصائصها، مع إشارة يسيرة إلى اللغة العربية، فهي لغة التواصل في مجتمعاتنا العربية، ومن ثم بيان مفهوم اللغة في القرآن الكريم.

ثم نختم هذا الفصل بقضيتين: **الأولى**: مفهوم الاتصال وأهميته وأهدافه وعناصره وأنواعه، و**الثانية**: المفهوم العام للاتصال في القرآن الكريم.

إن سبب البدء بالمهارة واللغة والاتصال في هذا الفصل ما هو إلا توطئة وتمهيد لما سوف تتم مناقشته في الفصول الآتية من هذه الدراسة.

أولاً: المهــارة

مفهومها وخصائصها ومكوناتها، مفهوم المهارة في القرآن الكريم

تتكون المهارة لدى الفرد نتيجة للتعلّم، وتختلف المهارات ما بين حركية وعقلية، والفرد بحاجة كبيرة إلى التمكّن من عدد من المهارات الحركية والعقلية لتحقيق الكثير من المكاسب المعنوية والمادية في حياته.

١ ـ مفهوم المهارة

المهارة في اللغة: من (مَهَرَ) و«الماهِرُ الحَاذِقُ بكُلِّ عَمَلٍ، والسابِحُ المُجِيدُ»[١] فالمهارة بالمعنى اللغوي هي إجادة الشيء وإتقانه والحذق فيه.

وفي الاصطلاح تعدّدت تعريفات المهارة بتعدد العلوم والأهداف والاتجاهات، ومن هذه التعريفات ما يلي:

يعرّفها مجاور بأنها «استعداد أو طاقة تساعد في امتلاك القدرة»[٢].

ويورد طعيمة عدداً من تعريفات المهارة، نذكر منها:

تعريف درايفر (Driver): «بأنها السهولة والسرعة والدقة (عادة) في أداء عمل حركي»[٣]، وتعريف غود (Good): «بأنها الشيء الذي يتعلمه الفرد ويقوم بأدائه بسهولة ودقة سواء كان هذا الأداء جسمياً أو عقلياً»[٤].

---

(١) مجد الدين محمد الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ط ٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، مادة (مهر).

(٢) محمد صلاح الدين مجاور، **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية، أسسه وتطبيقاته** (الكويت: دار القلم، ١٩٧٤)، ص ١٦.

(٣) رشدي أحمد طعيمة، **المهارات اللغوية: مستوياتها ـ تدريسها ـ صعوباتها** (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٢٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٠.

ويعرّفها مصطفى بأنها «القدرة على تنفيذ أمر ما بدرجة إتقان مقبولة، وتتحدد درجة الإتقان المقبولة تبعاً للمستوى التعليمي للمتعلم»[٥].

ويعرّف ستيتية المهارة بأنها «السلوك الذي يؤدى بدرجة عالية من الإتقان والأداء السريع»[٦].

ويعرّفها البعض بأنها «الأداء السهل الدقيق القائم على الفهم لما يتعلمه الإنسان حركياً وعقلياً مع توفير الوقت والجهد والتكاليف»[٧].

ويعرفها آخرون بأنها «السهولة والدقة في إجراء عمل من الأعمال تنمو نتيجة العملية التعليمية، والقيام بعملية معيّنة نتيجة السرعة والإتقان مع اقتصاد في الجهد المبذول»[٨].

ومما سبق نصل إلى ما يلي:

- المهارة أداء سواء أكان هذا الأداء حركياً أم عقلياً.
- السهولة والسرعة والدقة من سمات أداء المهارة.
- المهارة توفر الوقت والجهد والتكاليف.
- المهارة تكون نتيجة التعلّم ومبنية على الفهم.

ويمكن تلخيص أهمية المهارة في ما يلي:

أ ـ أن اكتساب المهارة يعنى أن الفرد سوف يؤديها بكفاءة كبيرة.

ب ـ أن المهارة تساعد الفرد على مواجهة المشكلات التي قد تصادفه في حياته.

ج ـ أنها تكسب الفرد الميول الإيجابية نحو التعلّم، كما إنها تجعله إيجابياً.

---

(٥) عبد الله علي مصطفى، **مهارات اللغة العربية** (عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ٤٣.

(٦) سمير شريف ستيتية، **المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازدواجية** (دبي: دار القلم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص ١٦.

(٧) أحمد اللقاني وعلي الجمل، **معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس**، ط ٢ (القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص ٢٤٩.

(٨) حسن شحاتة وزينب النجار، **معجم المصطلحات التربوية والنفسية** (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ٣٠٢.

د ـ أنها تجمع بين الفرد والعوامل البيئية في إطار منهجي واحد، مما يتيح الفرصة بدرجة أكبر أن نفهم كثيراً من سلوكه في المواقف المختلفة.

هـ ـ أنها جزء مهم يحتاج الطلاب إلى تعلّمه، وأنها جزء من المحتوى التدريسي كالمعرفة تماماً، إلا أنها تحتاج إلى العمل بقدر من الكفاءة[٩].

إن التمّكن من أي مهارة، حركية كانت أو عقلية، تمثل رافداً قوياً من روافد الشخصية لدى الفرد، وتسهم بشكل كبير في بنائها وصقلها، كما إنها تعدّ من الوسائل التي يحقق من خلالها أهدافه، ويوسع مداركه، وينمي بها جوانبه النفسية والاجتماعية.

٢ ـ خصائص المهارة

أ ـ المهارة قائمة على التعلّم: فأي مهارة من الصعب أن يتعلّمها الفرد قبل الوقوف على جانبها النظري؛ لذا فإنّه يلزم المتعلّم دراسة «خواص المهارة المراد تعلّمها، ويتم ذلك عن طريق الشرح النظري أو الملاحظة المباشرة لها»[١٠] حتى يتمكّن من التدرُّب عليها واكتسابها.

ب ـ **المهارة تنمو بالممارسة**: حتى يتمكن الفرد من إتقان مهارة من المهارات لا بد من ممارستها عملياً، فالجانب النظري وحده لا يكفي، ويجب أن تتّصف هذه الممارسة «بأداء تدريبات متكررة ومتصلة مع التدرج. . . تحت رعاية مشرف متخصص»[١١]، ويشترط في هذه التدريبات أن تكون منظمة ومستمرة.

ج ـ **المهارة تتضمن سلسلة من الاستجابات**: المهارة هي «النمط الكلي للاستجابة، بحيث يتم تعلّم الأعمال الفرعية قبل أداء العمل الكلي بمهارة»[١٢].

---

(٩) السيد محمد أبو هاشم، **سيكولوجية المهارات** (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤)، ص ١٢ ـ ١٣ (بتصرف).

(١٠) أحمد فؤاد عليان، **المهارات اللغوية: ماهيتها وطرائق تنميتها**، ط ٢ (الرياض: دار المسلم، ٢٠٠٠)، ص ١٠.

(١١) المصدر نفسه.

(١٢) مرضي غرم الله الزهراني، «فعالية مجمّعات تعليمية في تنمية المهارات اللغوية لدى طلاب المستوى الأول في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى واتجاهاتهم نحوها،» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ج ١، ص ٣١.

فالقيام بأي مهارة هو في الأصل استجابة لعدد من المثيرات، ما شكل مجموعة من الأعمال «التي تحدث متتابعة، وعلى درجة من التماسك والترابط، بحيث تبدو المهارة وحدة واحدة»(١٣).

ويرى أحد الباحثين أن العمل الماهر يتضمن الخصائص الآتية(١٤):

(١) يؤدى بأقل قدر من الجهد، نتيجة لاستبعاد الحركات غير الضرورية.

(٢) يؤدى في أقل وقت ممكن، نتيجة للممارسة أثناء عملية التدريب.

(٣) يتكون من مجموعة من المكونات الحسية، والحركية، والعقلية، والإدراكية، تتآزر جميعها لتحدد شكل العمل الصادر عن الفرد.

(٤) الموازنة بين السرعة والدقة، ففي بداية التعلُّم يسمح للفرد أن يعمل ببطء على أن يحرص على الدقة في الأداء، ثم تزداد السرعة حتى تصل إلى المعيار المحدد.

٣ ـ مكونات المهارة

المهارة سلسلة من الأعمال أو الحركات التي تكوّن في النهاية مهارة واحدة، وبناء على ذلك، فإن للمهارة مكونات ثلاثة(١٥) هي:

أ ـ **المكون المعرفي**: فهو نوع من أنواع التعلُّم يتطلب جوانب معرفية، وعمليات عقلية، وأول مستويات تعلُّم المهارة هو الإدراك.

ب ـ **المكون السلوكي الأدائي**: وهو مكمل للمكون المعرفي من حيث أنه الأداء العملي للمعرفة، وهو على مستويات، أدناها الأداء العادي من الإنجاز الفعلي، وأعلاها هو الأداء الماهر منه.

ج ـ **المكون الوجداني الانفعالي**: ويتمثل في الميول والاتجاهات والقيم والتذوق، وهو من أهم موجهات السلوك الإنساني.

---

(١٣) المصدر نفسه.

(١٤) مجدي عزيز إبراهيم، **موسوعة التدريس** (عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ١٨٢٧.

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٦٦٨، وأبو هاشم، **سيكولوجية المهارات**، ص ٣٤ ـ ٣٥.

٤ ـ طرق اكتساب المهارة

يمكن الفرد أن يكتسب أي مهارة من المهارات إذا كان لديه الاستعداد لتعلُّم تلك المهارة وممارستها والتدرُّب عليها، ويمكن ذلك من خلال الطرق الآتية[١٦]:

أ ـ أن يتم دراسة المهارة المراد تعلّمها من حيث إنها كل لا يتجزأ، فتدّرس عن طريق الشرح النظري أو الملاحظة المباشرة للعملية.

ب ـ الممارسة العملية للمهارة، الجانب النظري وحده لا يكفي لاكتساب المهارة.

ج ـ أن يركّز المتعلّم اهتمامه على الدقة في الأداء لا السرعة فيه، فالصيغة الكلية والدقة في الأداء تأتي أولاً ثم تأتي السرعة بعد ذلك؛ لأن السرعة نتيجة الدقة.

د ـ أن تمارس المهارة في المكان الطبيعي لها، تحت توجيه مشرف أو مدرّب.

٥ ـ المهارة في القرآن الكريم

لم ترد كلمة (مهارة) في القرآن الكريم بهذا اللفظ، ولكنها وردت بلفظ قريب المعنى منها وهو (الإتقان). قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨] و«الإتقان الإحسان في المعمولات، وأن تكون حِساناً وثيقة القوة»[١٧].

أما في السنّة النبوية، فورد لفظ (الماهر) في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن فضل الماهر في قراءة القرآن، حيث قالت: قال رسول الله (ﷺ): «المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البررةِ وَالَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وهو عليهِ شَاقٌّ له أَجْرَانِ»[١٨]. يقول النووي في شرحه لهذا

---

(١٦) أحمد زكي صالح، **علم النفس التربوي**، ط ١٤ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٢)، ص ٤٥٠ ـ ٤٥١.

(١٧) أبو محمد عبد الحق بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ١٤٣١.

(١٨) أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، **صحيح مسلم** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج ٦، ص ٨٤.

الحديث: «المَاهِر الحَاذِق الكَامِل الحِفْظ الَذِي لا يَتَوَقَّف وَلا يَشُقّ عليه القِرَاءَة بِجَوْدَةِ حِفظه وَإِتْقَانه»[١٩].

فالمهارة هنا تتمثل في جودة القراءة وجودة الحفظ، وإتقان مهاراتها من نطق صحيح وإخراج للحروف من مخارجها، والضبط النحوي والصرفي، والتغلب على التتعتع والتردد من خلال تحسين القراءة والانطلاق فيها وحسن ترتيلها.

٦ ـ المهارة اللغوية

الاتصال وظيفة من وظائف اللغة، ولكي نحقق الهدف من عملية الاتصال لا بد لنا من إتقان المهارات اللغوية، فالاتصال اللغوي يمثل الاتصال الرئيس بين الفرد والمحيط الذي يعيش فيه.

ولهذا، فإن تعلُّم المهارات اللغوية أمر مهم وأساسي لكل إنسان، لأنه سبيله في التفاهم والتواصل وتبادل المنافع وتحقيق الحاجات والرغبات؛ فمن خلاله يعبّر الفرد عن مشاعره وأحاسيسه، ويتصل بالآخرين لتحقيق أهدافه في المنزل والمسجد والعمل والمدرسة، إضافة إلى أنها وسيلة رئيسة للتعليم والتعلُّم.

والمهارة اللغوية هي «أداء لغوي (صوتي أو غير صوتي) يتميز بالسرعة والدقة والكفاءة والفهم، مع مراعاة القواعد اللغوية المنطوقة والمكتوبة»[٢٠] فهي تمثل «الأداء اللغويّ المتقن محادثةً كان أو قراءة أو كتابة أو استماعاً»[٢١].

والمهارات اللغوية الرئيسة هي: الاستماع والتحدُّث والقراءة والكتابة، وهذه المهارات بينها تكامل وتداخل، ومن الصعوبة بمكان تعلُّم مهارة بمعزل عن المهارات الأخرى، فإذا أردت تعلُّم الاستماع فإنك بحاجة إلى التحدّث أو القراءة، وإن أردت تعلُّم القراءة فأنت بحاجة إلى الكتابة. وهي في

---

(١٩) محيي الدين يحيى بن شرف النووي، **صحيح مسلم بشرح النووي** (القاهرة: المطبعة المصرية بالأزهر، ١٩٢٩)، ج ٦، ص ٨٤.

(٢٠) عليان، **المهارات اللغوية: ماهيتها وطرائق تنميتها**، ص ٧.

(٢١) محمد رضوان الداية وجهاد جمل، **اللغة العربية ومهاراتها** (العين: دار الكتاب الجامعي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ص ١٥.

استعمالها في حياة الفرد تمثل كذلك هذا التكامل والتداخل في استخدامه لها؛ ولذا فإنه «ينبغي إبراز التكامل بين المهارات اللغوية بالشكل الذي تتمّ به في الحياة، فقد يتدرّب الدارس على الاستماع من خلال حوار بينه وبين غيره، وقد يتدرّب على القراءة من خلال الكتابة»[٢٢].

٧ ـ تصنيف المهارات اللغوية

للمهارات اللغوية عدد من التصنيفات، ولكل منها أسبابه ومبرراته، وهي على النحو التالي:

أ ـ باعتبار الترتيب الزمني للنمو اللغوي عن الإنسان: حيث يرى طعيمة «أن المهارات اللغوية تصنّف حسب ترتيبها الزمني في النمو اللغوي عند الإنسان، إلى الاستماع، يليه التعبير الشفوي أو الكلام، ثم القراءة بأنواعها، ثم التعبير التحريري أو الكتابة»[٢٣].

ب ـ باعتبار الأداء: حيث صُنف إلى مهارات تخص الجانب الشفهي وهي (الاستماع والتحدّث) ومهارات تخص الجانب الكتابي وهي (القراءة والكتابة)[٢٤].

ج ـ باعتبار طرفي الاتصال: حيث «ترى التربية الحديثة أن المهارات اللغوية تتمثل في المحادثة والاستماع والقراءة والكتابة، وأن المحادثة والكتابة تمثلان الإرسال للمعاني، على حين أن القراءة والاستماع تمثلان الاستقبال»[٢٥].

وهذا التصنيف الأخير هو الذي اعتمدته عند تناولي لمهارات الاتصال اللغوي في القرآن الكريم؛ وذلك لأنه تصنيف مبني على تحديد الأداء الاتصالي للمرسل والمستقبل وهما الطرفان الرئيسان في عملية الاتصال اللغوي.

---

(٢٢) طعيمة، **المهارات اللغوية: مستوياتها ـ تدريسها ـ صعوباتها**، ص ٢٠٠.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٢٤) الزهراني، «فعالية مجمّعات تعليمية في تنمية المهارات اللغوية لدى طلاب المستوى الأول في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى واتجاهاتهم نحوها،» ج ١، ص ٥٥.

(٢٥) محمود أحمد السيد، **تعليم اللغة العربية بين الواقع والطموح** (دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٨)، ص ٩٣.

ثانياً: اللغــة
مفهومها وأهميتها، وظائفها، خصائصها، اللغة في القرآن الكريم

لكل أمة من الأمم ثقافتها وحضارتها الخاصة، التي هي نتاج فكرها، وحصيلة جهد أبنائها، ومن المعروف أنّ هذه الحضارة ـ التي قامت على كم ضخم من العلوم والمعارف ـ ما كانت لتحفظ لولا أن منَّ الله تعالى على البشرية بنعمة اللغة؛ فاللغة هي الوعاء الذي انصبَّت فيه تلك الحضارة بما فيها من ثقافة ومعرفة؛ فدونت اللغة العلوم كتابة، ونقلت هذه الحضارة من جيل إلى جيل قراءة، وتطورت تلك المعارف بالتأمل والتدبر لذلك التراث.

ولعلنا نقف هنا على عدد من النقاط المهمة ذات الصلة بموضوع هذه الدراسة، فنحن بحاجة إلى أن نبيّن مفهوم اللغة، وأن نتحدّث عن أهميتها وخصائصها ووظائفها، ومن ثم نلقي الضوء ـ بعد ذلك ـ على اللغة العربية ومكانتها وخصائصها. . . لتكوين صورة تساعدنا ـ في ما بعد ـ للحديث عن اللغة في القرآن الكريم.

١ ـ مفهوم اللغة

إن السبيل إلى معرفة المعاني من الألفاظ، وفهمها، والتمكن من الوصول إليها من خلال السياق، يكون بالرجوع إلى المعنى المعجمي للكلمة، ما يسهل على القارئ فهم المعنى.

ولعلنا نبدأ **بالمفهوم اللغوي** للغة:

يأتي معنى اللغة ضمن مادة (لغو). واللغو ـ كما ذكر ابن فارس ـ يدل على اللهج بالشيء ومنه «قولهم: لَغِيَ بالأمر، إذا لهِجَ به. ويقال إن اشتقاق اللغة منه، أي يَلْهَجُ صاحبها بها»[(٢٦)].

ويقول ابن منظور: «اللَّغْو واللَّغا السَّقَط وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره. . . وأَصلها لُغْوة من لَغا إذا تكلم. . . واللُّغة اللَّسْنُ وحَدُّها أَنها أَصوات

(٢٦) أبو الحسين أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢ (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، مادة (لغو).

يُعبَّر بها. . . وهي **فُعْلةٌ من لَغَوْت أَي تكلَّمت**.. واللَّغْو النُّطق يقال هذه **لُغَتهم التي يَلْغُون بها أَي يَنْطِقُون...»**[٢٧].

ومما سبق، يظهر لنا أن **المعنى المعجمي** للغة يتضمن ثلاثة أشياء: الكلام والصوت والنطق؛ وأن هذه اللفظة مشتقة من فعل النطق الذي يقوم به الإنسان فيخرج من خلاله الصوت ليبني كلاماً يعبر به، أو يتصل من خلاله بالآخرين.

أما **المفهوم الاصطلاحي** للغة، فقد تناوله كثير من الباحثين القدماء والمحدثين، ووضعوا له تعريفات متعددة تتفق في جوانب معيّنة وتختلف في أخرى، كلّ منهم نظر إليه من زاويته.

وقد عرّف ابن جِنّي اللغة بقوله: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»[٢٨].

ويقول ابن خلدون: «هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني... وهو في كل أمة حسب اصطلاحاتهم»[٢٩].

وذكر السيوطي قولين أحدهما لابن الحاجب والآخر للأسنوي يعرفان فيهما اللغة، حيث قال: «وقال ابن الحاجب في مختصره: حدُّ اللغةِ كلُّ لفظٍ وُضِعَ لمعنى. وقال الأسنوي في **شرح منهاج الأصول**: اللغاتُ: عبارةٌ عن الألفاظ الموضوعةِ للمعاني»[٣٠].

ويرى إدوارد سايبر أن اللغة «وسيلة تفاهم خاصة بالإنسان، تمكنه من تبادل الأفكار والعواطف والرغبات بواسطة رموز صوتية اصطلاحية... تصدرها أعضاء النطق إرادياً..»[٣١].

---

(٢٧) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، [د. ت.])، مادة (لغا).

(٢٨) أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار (القاهرة: المكتبة العلمية، [د. ت.])، ج ١، ص ٣٣.

(٢٩) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون** (القاهرة؛ بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٦)، ص ٣٣٩.

(٣٠) عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** (بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ج ١، ص ٨.

(٣١) محمد صالح الشنطي، **المهارات اللغوية**، ط ٤ (حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص ٢٢.

ويعرّف مدكور اللغة بأنها «نظام، رمزي، صوتي، ذو مضامين محددة، تتفق عليه جماعة معينة، ويستخدمه أفرادها في التفكير والتعبير والاتصال في ما بينهم»[٣٢].

ويضع مجاور تعريفاً للغة في إطار الهدف التربوي من تعليمها وتعلمها كما ذكر فيقول: «هي رموز أو أصوات ملفوظة ذات دلالة، بها يعبر الإنسان عما في نفسه، وما يجول بخاطره، وبها يحقق أيضاً اتصاله الاجتماعي وتفاعله وتوافقه مع الآخرين»[٣٣].

كما أورد تعريفاً آخر للغة يرى صاحبه أنها عبارة عن «أية وسيلة لفظية أو غير لفظية يعبر بها عن الشعور أو الأفكار، من أجل الاتصال مع الآخرين»[٣٤].

وتورد نوال عطية تعريفاً للغة لـ (بلوش وتراجير) بأنها «نظام من الرموز الصوتية الاختيارية يتعاون بواسطتها أفراد المجتمع»[٣٥]، ثم تضع تعريفاً بناء على ما أوردته من تعريفات فتقول: «اللغة عبارة عن نظام معيّن من رموز صوتية ذات دلالة ومعنى بالنسبة إلى الأشياء والأحداث الموجودة في البيئة، علاوة على أنها الأداة الإنسانية الضرورية للتفكير والاتصال الاجتماعي»[٣٦].

ومنهم من عرّف اللغة بأنها «عبارة عن نظام من رموز ملفوظة عرفية بواسطتها يتعاون ويتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة»[٣٧].

ويعرّف لورد (Lord) اللغة بأنها «عبارة عن نظام التواصل سواء أكان تواصلاً شفوياً أم كتابياً، يستخدمها الناس في مجتمع ما»[٣٨].

---

(٣٢) أحمد مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية** (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، ص ٤٠.

(٣٣) محمد صلاح الدين مجاور، **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية أسسه وتطبيقاته** (الكويت: دار القلم، ١٩٧٤)، ص ٤٧.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٤٨.

(٣٥) نوال محمد عطية، **علم النفس اللغوي**، ط ٣ (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٥)، ص ٤٤.

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧) عبد الجليل عبد الرحيم، **لغة القرآن الكريم** (عمّان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ٣٩.

(٣٨) Randolph Quirk [et al.], *Longman English Dictionary*, 3rd ed. (London: Longman, 2003), p. 902.

وبعد هذا الاستعراض لعدد من التعريفات القديمة والحديثة للغة نخلص إلى ما يأتي:

- الاتفاق على الطبيعة الصوتية للغة.
- التأكيد على وظيفة اللغة في المجتمع.
- تصوير الطبيعة الاجتماعية للغة، وأنها خاصة بالإنسان من دون غيره.
- اللغة ألفاظ ومعانٍ، فلفظ بلا معنى أو معنى بلا لفظ لا يكوّن لغة.
- معظمهم أشار إلى أن للغة نظاماً يتفق عليه أعضاء المجتمع.
- ركزت بعض التعريفات على أهم وظائف اللغة وهي التعبير والاتصال بالآخرين.
- أشارت بعض هذه التعريفات[٣٩] إلى الجانب الصوتي للغة (اللفظي) وأهملت الجانب الرمزي (الكتابي)، ويبدو أنهم قصدوا من ذلك الإشارة إلى الأصل في اللغة وهو الأصل الصوتي؛ لأن اللغة في الأصل بدأت صوتية ثم أصبحت صوتية رمزية.

ومما سبق، يمكن تعريف اللغة بأنها: نظام صوتي ورمزي في مجتمع ما، تنتقل بواسطتها المعاني والأفكار تعبيراً، بهدف الاتصال بالآخرين عن طريق التحدث والكتابة للإفهام، أو الاستماع والقراءة للفهم.

٢ ـ أهمية اللغة

خلق الله تعالى الإنسان، وكرّمه على سائر المخلوقات، وأنعم عليه بعظيم النعم، وسخر له كل ما في هذا الكون، وأمره بعبادته وحده، وتفضل عليه بخاصية تميزه عن سائر مخلوقاته فوهبه اللغة، وعلَّمه البيان.

واللغة سبيل الرقي والتقدم والنماء في حياة البشرية، فمن خلالها تحفظ العلوم وتنقل من جيل إلى جيل، وعن طريقها يتصل الفرد بالمجتمع، وتتصل الأمة بتراثها وحضارتها، وتتواصل مع ثقافات الأمم الأخرى وحضاراتها.

وقد بدأت اللغة مع بدء خلق آدم (عليه السلام)؛ فقد جاء في بعض كلام

(٣٩) ومنهم: ابن جني وابن خلدون وابن الحاجب والأسنوي وسايير وبلوش وتراجير.

المفسرين المعاصرين إشارة إلى أن الأسماء هي اللغة في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١] يقول السعدي: «أي: أسماء الأشياء، ومن هو مسمى بها، فعلّمه الاسم والمسمى، أي: الألفاظ والمعاني»[٤٠] واللفظ والمعنى يشكلان اللغة.

وتتجلى أهمية اللغة في كونها أداة للتعبير، يستطيع بواسطتها الفرد أن ينقل أفكاره وخبراته ومعارفه إلى الآخرين، وأن يعبّر بها عن مشاعره وأحاسيسه، وأن يستخدمها في قضاء حاجاته. والجاحظ «بولي دلالات اللغة مكانة خاصة ويعتبرها أكمل أنواع الدلالات وأكثرها تعبيراً عن حاجات الإنسان»[٤١] لما يحققه استخدامها من تفاعل وتبادل منافع الفرد والمجتمع.

فأما من الناحية الفردية فعن طريق اللغة يستطيع الفرد أن ينمّي شخصيته، كما إنه يستطيع أن يتفاعل مع بيئته ومجتمعه، وأن يكتسب المعارف والمعلومات، والقيم والمثل والاتجاهات وأنماط السلوك، واللغة أيضاً هي أداة ربط الفرد بتراث أمته وتاريخها[٤٢].

وأما من ناحية المجتمع، فإن «اللغة أوثق العرى التي تجمع بين أعضاء هذه الجماعة وهي ـ على الدوام ـ رمز ما بينهم من تشارك، وحارسه الأمين.. ؛ فاللغة بمرونتها، وتنوع حياتها، ولطف سريانها، واختلاف استعمالها، وسيلة للاتفاق بين الجماعة، وهي الأداة التي يستعملها أفراد كل جماعة لغوية، للتعبير عما يهمهم من شؤون [وهي كذلك] وسيلة تعبيرية واتصالية»[٤٣].

ولعل الذي يحدد أهمية اللغة، وحاجة الإنسان إليها في الحياة، هو أنها وسيلة للتفكير، ولا يمكن الإنسان أن يفكر إلا من خلالها «فاللغة أم التفكير، وما كان للمعرفة أن تأتي إلى حيّز الوجود من دون اللغة... وقد

---

(٤٠) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان** (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص ٤٩.

(٤١) حمّادي صمّود، **التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس** (تونس: منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١)، ص ١٧٥.

(٤٢) مجاور، **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية أسسه وتطبيقاته**، ص ٤٩.

(٤٣) عبد الغفار حامد هلال، «اللغة بين الفرد والمجتمع،» **اللسان العربي** (الرباط)، العدد ٢٣ (١٩٨٢ ـ ١٩٨٣)، ص ١٤.

استطاعت الأبحاث اللغوية أن تقرر أن الفرد يكتسب من اللغة طرق التفكير الشائعة في المجتمع الذي نما فيه، وأن اكتساب اللغة اكتساب بالضرورة لطرق التفكير»[٤٤].

٣ ـ وظائف اللغة

تؤدي اللغة في حياة المجتمعات البشرية عدداً من الوظائف المهمة، يمكن إيجازها في ما يأتي:

أ ـ التفكير

الإنسان بطبيعته يفكر من خلال اللغة؛ لأن استثارة تفكير المتلقي تكون باللغة، ومن ثم فإن تفكيره يستخدم اللغة في بناء اتصال جديد مع المرسل «فالتفكير استجابة لما نسمعه من الغير، ورغبة في أن نحمل إلى الغير ما نفكر فيه»[٤٥]، فما نسمعه من غيرنا ما هو إلا استثارة للتفكير يتبعه صياغة ثم نطق.

وقد ذكر الجاحظ أن الإنسان يفكر قبل أن يتحدث، وأن ذلك ما يميز العاقل عن غيره، فقال: إن «لِسان العاقل مِن وراء قلبِه، فإذا أراد الكلامَ تفكَّر، فإن كان له قالَ، وإن كان عليه سكَت. وقَلْبُ الجاهل من وراء لسانِه فإنْ همَّ بالكلام تكلَّم به له أو عليه»[٤٦]؛ فكان التفكير قبل استخدام اللغة.

ب ـ التعبير

لا يستطيع الإنسان أن يعبر عن كل ما يجول بخاطره من مشاعر ـ تعبيراً دقيقاً وسريعاً وبأداة يملكها ـ إلا من خلال اللغة. فـ «ما وضعنا اللغة إلا لتعبر عن أنفسنا وأفكارنا وشعورنا، وعن حياتنا وما يضطرب فيها»[٤٧].

---

(٤٤) محيي الدين عبد الرحمن رمضان، «العربية: طرق تفكير ومناهج بحث،» **اللسان العربي**، العدد ٣٨ (١٩٩٤)، ص ٩.

(٤٥) عطية، **علم النفس اللغوي**، ص ١٩.

(٤٦) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٧ (القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج ١، ص ١٧٢.

(٤٧) أحمد عبد الغفور عطار، **آراء في اللغة** (جدة: المؤسسة العربية للطباعة، [د. ت.])، ص ١٦.

ج ـ الاتصال

الاتصال وظيفة رئيسة من وظائف اللغة، بل إن جانباً من أهم جوانب العملية الاتصالية لا يمكن أن يتم إلا من خلال اللغة وهو الاتصال اللغوي، الذي يقوم على أربعة أركان أساسية؛ هي: التحدث والكتابة للإرسال، والاستماع والقراءة للاستقبال.

ولا يمكن أن تتم أي عملية اتصال لغوي من دون هذه الأركان الأربعة، فيستخدم الفرد اللغة ويتصل بالآخرين لغوياً بهدف «قضاء حاجاته، وحل مشكلاته، ويستخدمها في ما يتصل بتنظيم نواحي نشاطه الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية»[٤٨] فاللغة هي سبيله في هذه العمليات الاتصالية كلّها.

د ـ التعليم والتعلُّم

إن معظم عمليات التعليم والتعلُّم تتم من خلال اللغة، حيث يستمع التلميذ إلى ما يقوله المعلم، ويقرأ ما كتبه المؤلفون «ولولاها لما أمكن للعملية التعليمية التعلّميّة أن تتم، ولانقطعت الصلة بين المعلم والمتعلم»[٤٩].

فالإنسان يتعلم طيلة حياته من تجاربه ومن تجارب الآخرين، وأكثر ما يتعلمه تعلماً مباشراً أو غير مباشر يكون عن طريق اللغة.

هـ ـ الحفظ والتوثيق والنقل

اللغة هي وعاء الحضارة والثقافة والعلم، تحفظها استماعاً أو كتابة، وتنقلها للأجيال رواية أو قراءة، فهي «الخزانة التي تحفظ للأمة عقائدها الدينية، وتراثها الثقافي، ونشاطاتها العلمية... [بل] هي ذاكرة الإنسانية وواسطة نقل الأفكار من الآباء إلى الأبناء، ومن الأسلاف إلى الأخلاف»[٥٠].

و ـ التقدُّم والتطوُّر للمجتمعات البشرية

تتقدم المجتمعات البشرية وتتطور من دون غيرها من المخلوقات لأسباب

(٤٨) مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية**، ص ٤٤.

(٤٩) نايف معروف، **خصائص العربية وطرائق تدريسها**، ط ٤ (بيروت: دار النفائس، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص ٣١.

(٥٠) المصدر نفسه.

كثيرة منها وجود اللغة، فمن خلال استخدام اللغة في مجالات التعبير والتفكير والاتصال، وكذلك في مجالات التعليم والتعلُّم والحفظ والنقل، استطاع الإنسان أن يرتقى حضارياً في شتى مناحي الحياة، فاللغة «لم تقتصر على أن تكون أداة نقل وتسجيل للحياة والأفكار، بل إنها ساعدت على نمو الفكر ورقي الحياة»[٥١].

٤ ـ خصائص اللغة

تشترك جميع اللغات التي يستخدمها الإنسان في مجموعة من الخصائص، منها:

أ ـ إنسانية

لقد خصّ الله تعالى الإنسان باللغة، وميّزه بها عن غيره من المخلوقات، فهي «خصيصة إنسانية لا يشاركه فيها أحد من غير الجنس الإنساني»[٥٢].

وقد بيّن الجيوسي أن للغة أسساً طبيعية ما كان يمكن أن تكون بدونها، وأن هذه الأسس قد أودعها الله أصلاً في الإنسان، فهي جزء من أجهزة الجسم، وذكر منها الجهاز الصوتي الموجود في منطقة الفم إلى الرئتين، والجهاز السمعي، والدماغ والجزء الذي يتعلق بالنشاط اللغوي، وقدرات التفكير والاستدلال والاستقراء والإبداع وكذلك الطبيعة الاجتماعية للإنسان وحاجاته العميقة إلى التواصل مع الآخرين[٥٣] كل ذلك تهيئة للإنسان لكي يتمكن من استخدام اللغة استخداماً صحيحاً.

ب ـ مكتسبة

الإنسان يكتسب اللغة من المحيط والبيئة التي يعيش فيها؛ لأنها ليست غريزية «ولا تولد اللغة مع الإنسان، وإنما الذي يولد معه هو الاستعداد

---

(٥١) محمد المبارك، **فقه اللغة وخصائص الحياة** (دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر، [د. ت.])، ص ١٥.

(٥٢) عطار، **آراء في اللغة**، ص ١٠.

(٥٣) محمد بلال الجيوسي، **أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني** (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص ١٣٤ ـ ١٣٥.

لتعلمها، فالطفل يولد بدون أية معرفة باللغة، لكن توجد لديه الملكة أو الاستعداد لاكتسابها بشكل متدرج مع مرور الزمن»[٥٤].

وليس أظهر على ذلك من اكتساب الطفل العربي للغة الأجنبية عند ولادته في تلك المجتمعات، والبقاء فيها دون الاحتكاك بمن يتحدثون العربية، فيتحدث اللغة التي سمعها.

ج ـ صوتية

اللغة ظاهرة صوتية، وقد أكّد علماء اللغة القدماء والمحدثون في تعريفاتهم على هذه الخصيصة في اللغة، إذ هي «ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني»[٥٥]؛ فهي أصوات مسموعة يتلقاها جيل عن جيل فتنتقل عن طريق السماع.

د ـ رمزية

اللغة في الأصل صوتية «بينما يأتي الشكل الكتابي في المرتبة الثانية»[٥٦]؛ إلا أن معظم لغات الأرض الآن تجمع بين النظام الصوتي والنظام الرمزي، ما يجعل الرمزية من خصائص اللغة.

هـ ـ اجتماعية

لا يمكن أن تنشأ أي لغة من فراغ، لأن اللغة «ظاهرة اجتماعية، إذ لولا المجتمع لما كان هناك حاجة إليها»[٥٧]، فمثلاً يتلقى الطفل العربي لغته من مجتمعه الذي عاش فيه، وكذلك الإنكليزي، والصيني... ولو أن واحداً منهم ـ لظرف أو لآخر ـ عاش في غابة ولم يكن له احتكاك بشري؛ فسوف ينمو ويكبر ـ إن كتب الله له الحياة ـ ولكن بدون لغة.

و ـ نظام

يمثل النظام خاصية في كل لغة، فلكل لغة نظام صوتي أو رمزي خاص بها

---

(٥٤) حسن جعفر الخليفة، **فصول في تدريس اللغة العربية**، ط ٤ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٥٧.

(٥٥) ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، ص ٣٤٤.

(٥٦) مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية**، ص ٤٠.

(٥٧) عطار، **آراء في اللغة**، ص ١٠.

«وهذا النظام يتكون من الوحدات الصوتية، والمقطعية، والكلمات، والجمل، والتراكيب. . . وإذا اختل النظام أو النسق عند المتحدث أو الكاتب بلغة معينة كان اتصاله بمن يتحدث إليهم، أو يكتب إليهم ضعيفاً أو معدوماً»[٥٨].

والذي يعتمد ذلك النظام هو المجتمع الذي نشأت فيه اللغة، فيسمع الطفل أهل جيله من مجتمعه، ويتلقى اللغة عنهم، ويتعلم بعد ذلك القراءة والكتابة وفقاً للنظام الصوتي والرمزي لذلك المجتمع.

وقد أكّد ابن خلدون على أن اللغة «تختلف باختلاف الأمصار في اصطلاحاتهم، فلغة أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب، وكذا أهل الأندلس معهما، وكل منهم متوصل بلغته إلى تأدية مقصودة والإبانة عما في نفسه، وهذا معنى اللسان واللغة»[٥٩]، وعليه يكون لكل لغة نظام خاص بها.

ز ـ متطورة ونامية

تتصف اللغة بمواصفات الكائن الحي في كونها تموت وتحيا، وتنمو وتتطور، وتقوى وتضعف، وهي تعتمد في كل ذلك على أهلها الذين يستخدمونها؛ فبحياتهم تحيا وبقوتهم تقوى ويتعزّز كيانها.

كما إنها على مستوى مفرداتها يموت بعضها ويولد غيرها «وعلى المستوى الفردي نجد أن لغة الفرد تتطور وتتحسن مع تقدم العمر وازدياد الخبرات، وعلى المستوى الاجتماعي نجد أن الأمة الحية المتطورة تعكس تطورها على لغتها»[٦٠].

وقد أرجع أحد الباحثين تطور اللغة إلى عدة عوامل، ذكر منها التقدم العلمي والثقافي والاحتكاك بالمجتمعات الأخرى والعوامل الجغرافية، وأن ازدياد تطورها يكون بازدياد انتشارها[٦١].

ح ـ تحمل معنى

اللغة في الأصل لفظ ومعنى، وما الأصوات اللفظية إلا قوالب لحمل

---

(٥٨) مذكور، المصدر نفسه، ص ٤٠.
(٥٩) ابن خلدون، المصدر نفسه، ص ٣٤٦.
(٦٠) مذكور، المصدر نفسه، ص ٤٢.
(٦١) الخليفة، **فصول في تدريس اللغة العربية**، ص ٥٩.

الأفكار والمعاني، وبهذا نقول: إن أي صوت من دون معنى لا نسميه لغة.

والمعاني التي يُعَبر عنها بألفاظ هي معان «متفق عليها بين أفراد المجتمع المستخدم للغة [وأن] الصلة بين الرمز والمعنى المقصود به صلة عرفية وضعية، وليست أمراً طبيعياً فطرياً»[(٦٢)]، ما يساعد على نجاح العملية الاتصالية بين أفراد المجتمع الواحد، والقدرة على التفاهم في ما بينهم.

٥ ـ اللغة العربية مكانتها وخصائصها

لأننا واقفون في هذه الدراسة على مهارات الاتصال اللغوي في القرآن الكريم فنحن بحاجة إلى التعريف باللغة العربية، وبيان أهميتها، وخصائصها، فهي المعنية بهذا الاتصال اللغوي، وهي لغة القرآن الكريم مجال الدراسة والبحث، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]؛ وهي «أفصح اللغات وأبينها وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا أنزلَ أشرف الكتب بأشرف اللغات،على أشرف الرسل»[(٦٣)].

واللغة العربية من اللغات السامية «وأقصى ما ثبت في التاريخ أن هذه اللغة كانت في قبائل من ولد سام بن (نوح) (عليه السلام) وهم: عاد وثمود وجرهم الأولى...»[(٦٤)].

لقد هيأ الله سبحانه وتعالى لهذه اللغة عدداً من العوامل الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية، لتكون من أقوى لغات العالم، وأعظمها قدرة على حمل أعظم المعاني بأقل الألفاظ وألطفها.

فقد كانت مكة المكرمة قبل بعثة الرسول (ﷺ) مقصد الكثيرين من أبناء الجزيرة العربية، من الذين كانوا يدينون بالحنفية، يحجون البيت الحرام، كما إنها كانت مركزاً تجارياً لرحلات الشتاء والصيف، ومركزاً ثقافياً يجتمع فيه أدباء العرب ليعرضوا ما لديهم من نتاج أدبي في أسواقها الأدبية.

---

(٦٢) فاضل فتحي والي، **تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية** (حائل: دار الأندلس، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص ١٧ ـ ١٨.

(٦٣) إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط ٩ (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ج ٢، ص ٤٨٣.

(٦٤) محمد بدر الدين أبو صالح، **المدخل إلى العربية** (حلب: مكتبة الشرق، [د. ت.])، ص ٨٦.

يقول ابن فارس: إن قريشاً «**أفصح العرب ألسنة، وأصفاهم لغة، وذلك أنّ الله جلّ ثناؤه اختارهم من جميع العرب، واصطفاهم، واختار منهم نبي الرحمة محمداً (ﷺ)، فجعل قريشاً قُطّان حرمِهِ، وجيران بيته الحرام، وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم**»(٦٥).

ويشير الباقوري إلى هذه العوامل التي أثرت في لغة قريش لتكون من أسهل اللغات وأفصحها فيقول: «ويعلل الباحثون سهولة لغة قريش وعذوبة لهجتهم، بأنهم كانوا ينتقون من لغات الوافدين عليهم ـ وهم كثير، لمكانة قريش الدينية والاقتصادية ـ ما عذب لفظه وخف وقعه، وقد خلقت لهم حياة التحضر التي كانوا يحيون ذوقاً ولطف حسّ، أفضيا بهم إلى حسن التخيّر، حتى صارت لغتهم المثل الأعلى لسائر العرب، لما فيها من عذوبة وجمال، ولما لهم من سيادة ونفوذ»(٦٦).

يقول الرافعي مؤكداً ذلك: «كان طبيعياً أن يكون القرآن بلغة قريش، لأن رسول الله (ﷺ) قرشي، ثم ليكون هذا الكلام زعيم اللغات كلها كما استمازت قريش من العرب بجوار البيت، وسقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام، وغيرها من خصائصهم، وقد ألف العرب أمرهم ذلك واحتملوا عليه وأفردوهم به فأن يألفوا مثله في كلام الله أولى»(٦٧).

كل هذه الظروف مجتمعة، أثرت في لغة أهل مكة تأثيراً إيجابياً، فأصبحت لغة قريش لغة عامة قوية فصيحة يفهمها كل عربي لأنها طيلة هذه السنوات كانت تتغذى بثقافات قبائل الجزيرة العربية المختلفة؛ ما أهّلَها بعد ذلك لحمل أعظم رسالة في تاريخ البشرية، ولتكون لغة القرآن الكريم.

وللغة العربية مكانتها الدينية، فهي لغة القرآن الكريم، وحاجة المسلم إليها عظيمة، ففهمه للقرآن الكريم، وتلاوته له، وأداء عباداته يعتمد على فهمه للغة وقدرته على التعامل معها.

---

(٦٥) أبو الحسين أحمد بن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، تحقيق السيد أحمد صقر (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، [د. ت.])، ص ٣٣.

(٦٦) أحمد حسن الباقوري، **أثر القرآن الكريم في اللغة العربية**، ط ٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣)، ص ٤٠.

(٦٧) مصطفى صادق الرافعي، **إعجاز القرآن** (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص ٦٢.

ولها مكانتها الحضارية في حفظها لتراث الأمة وثقافتها، ونقلها لتلك الحضارة من جيل إلى جيل.

وبالنظر إلى ترتيب اللغة العربية عالمياً فإنها تعدّ «ثالث لغات العالم الحديث من حيث انتشارها، وسعة مناطقها، كما تعدّ إحدى اللغات الست التي تكتب بها وثائق الأمم المتحدة... وتشغل اللغة العربية مركزاً جغرافياً مهماً في العالم»[٦٨].

إن اللغة العربية لم تبهر بجمالها ورقّة ألفاظها وفصاحتها أهلها فحسب، بل بهرت الناطقين بغيرها عندما درسوها وعرفوا أسرارها، يقول المستشرق أرنست رينان: إن من أعجب الأمور «أن تنبت تلك اللغة القوية، وتصل إلى درجة الكمال عند أمة من الرُحَّل. تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها»[٦٩].

٦ ـ خصائص اللغة العربية

واللغة العربية تتميز بعدة خصائص، فهي لغة الوضوح والبيان، ودقّة التعبير، وجمال التصوير، وتناسب الألفاظ للمعاني، ومن أبرز خصائصها ما يأتي:

أ ـ تميزها الصوتي والرمزي

ما يميّز اللغة العربية أن لها نظاماً صوتياً فريداً، يستخدم جميع أعضاء جهاز النطق لدى الإنسان فـ «تستخدم هذا الجهاز الإنساني على أتمّه وأحسنه، ولا تهمل وظيفة واحدة من وظائفه»[٧٠]. هذا إضافة إلى أن في اللغة العربية أصواتاً لا توجد في غيرها من لغات العالم مثل حرف الضاد، كما إن بعض الأصوات تنطق في العربية بحرف واحد بينما نجدها تنطق في غيرها بحرفين أو أكثر، مثل الذال، كما إن كل حرف في العربية له صوت واحد بينما نجد خلاف ذلك في بعض اللغات، فنجد الحرف ينطق في كلمة بصوت وفي

---

(٦٨) عليان، **المهارات اللغوية: ماهيتها وطرائق تنميتها**، ص ٢٨.

(٦٩) أبو صالح، **المدخل إلى العربية**، ص ٦٥.

(٧٠) عباس محمود العقاد، **أشتات مجتمعات في اللغة والأدب** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢)، ص ١١.

كلمة أخرى بصوت آخر مثل حرف (c) في اللغة الإنكليزية. . . والأمثلة على تميّز العربية كثيرة[٧١].

أما النظام الرمزي للغة العربية فيعدّ من أقل الأنظمة اللغوية عدداً للحروف، حيث يبلغ عدد حروفها ٢٨ حرفاً، ومع ذلك نجد أن هذا العدد من الحروف قد استوفى جميع أجهزة النطق عند الإنسان، وأن كل حرف من هذه الحروف ينطق ويكتب ما عدا بعض الكلمات القليلة[٧٢].

ب ـ ظاهرة الاشتقاق

ونقصد بها توليد الألفاظ بعضها من بعض، والرجوع بها إلى أصل واحد، فالاشتقاق، إذاً، «أخْذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنًى ومادةً أصلية، وهيئةَ تركيب لها؛ لَيدلّ بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئة؛ كضارب من ضرب، وحَذِرٌ من حَذِرَ»[٧٣].

فكلمة (كتب) مثلاً نستطيع أن نشتق منها مجموعة من الألفاظ، ولكل لفظة منها معنى خاص مع المحافظة على الأصل فنقول: كتابة، وكاتب، ومكتوب، ومكتبة، وكتاب، ومكتب.

والاشتقاق ظاهرة مهمة في اللغة العربية أكسبها سمة النمو والثراء اللغوي، وأعطاها خاصية المرونة التي تستطيع من خلالها مواجهة التغيرات التي تطرأ على المجتمع، يقول الخليفة: «ومما يلاحظ أن خاصية الاشتقاق هذه قد أكسبت العربية مرونة ومنعة في وقت واحد، فسمحت لها بخلق ألفاظ جديدة، وحافظت على ثروتها، وأمدتها برصيد ضخم من المعاني، ومكّنتها من أداء معاني الحضارة الحديثة على اختلافها وتنوّعها»[٧٤]؛ فأعطت لكل جديد لفظة خاصة به، مشتقة من أصل عربي، ومن الأمثلة على تلك الألفاظ: المذياع والهاتف فهما من الفعلين أذاع وهتف.

---

(٧١) انظر على سبيل المثال: ابن جني، **الخصائص**، ومعروف، **خصائص العربية وطرائق تدريسها**.

(٧٢) عليان، **المهارات اللغوية ماهيتها وطرائق تدريسها**، ص ٣٠.

(٧٣) السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ج ١، ص ٣٤٦.

(٧٤) الخليفة، **فصول في تدريس اللغة العربية**، ص ٨٩.

ج ـ ظاهرة الترادف

ويقصد بها تعدد الألفاظ للمعنى الواحد، ومرجع ذلك إلى تعدد اللهجات بتعدد الأماكن، وقد عرّفها الجرجاني بقوله: «عبارة عن الاتحاد في المفهوم، وقيل: هو توالي الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد»[٧٥].

والترادف يتيح لمستخدم اللغة اختيار المفردة التي تتناسب وسياقَ حديثه، وتعدد المفردات للمعنى الواحد يعطي المتكلم أو الكاتب القدرة على استخدام اللفظ المناسب، ومن خلال ذلك تظهر براعة الاستخدام اللغوي للفظة المناسبة في السياق المناسب.

واللغة العربية تزخر بالمترادفات؛ فالسيف «له أكثر من ألف اسم، وللأسد خمسمائة اسم، وللداهية أكثر من أربعمائة اسم، وللثعبان أكثر من مئتي اسم، وللعسل أكثر من ثمانين اسماً»[٧٦] فالأسد مثلاً يسمى السبع والليث والغضنفر والهزبر والقسورة.. ما يسهم في ثراء اللغة ومرونتها.

د ـ الإعراب

الإعراب هو الإبانة والإفصاح والتوضيح، وهو الذي نستطيع أن نميّز به بين المعاني، فضبط أواخر الكلمات تحدثاً أو كتابةً يسهل على المستمع مهمة فهم المعاني، ويبعد عن ذهنه أي وهم قد يطرأ نتيجة إهمال في الإعراب.

وهو من «العلوم الجليلة التي اختصّت بها العرب... الَّذِي هو الفارق بَيْنَ المعاني المتكافِئَة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه مَا مُيّز فاعل من مفعول، ولا مضاف من مَنْعوت، ولا تَعَجُّبٌ من استفهام، ولا صَدْر من مصدَر، ولا نعتٌ من تأكيد»[٧٧].

إن جلّ معاني الجملة لا يمكن فهمها بدقّة إلا من خلال الإعراب الذي يعدّ من أعظم خصائص العربية.

---

(٧٥) علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)، ص ٥٦.

(٧٦) الشنطي، **المهارات اللغوية**، ص ٦٠.

(٧٧) ابن فارس، **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**، ص ٧٦.

٧ ـ مفهوم اللغة في القرآن الكريم

إن المحور المهم في هذا المبحث هو تتبع مفهوم اللغة في القرآن الكريم، وتناول الآيات الكريمة التي أشارت إلى اللغة للوصول إلى مفهومٍ عام لها.

فمن خلال تتبع آيات القرآن الكريم، نجد أنه لم يورد التعبير عن اللغة بلفظة (اللغة) وإنما ورد بلفظة (اللسان)، والآيات الكريمة التي استخدمت لفظة (اللغو) كانت فيها هذه اللفظة بمعنى الكلام، وليس بمعنى اللغة.

والكلام جزء من اللغة، وهو مهارة من مهارات الاتصال اللغوي، أما اللغة فهي أعمّ، فكل ما ينطق به العربي أو الأعجمي يسمى كلاماً؛ ولكل منهما لغة خاصة به.

وقد عبّر القرآن الكريم عن الكلام بألفاظ متنوعة[٧٨] مثل: (الحديث، والقول، والكلام، والخطاب، واللغو) ولكنه لم يتحدّث عن اللغة إلا بلفظة واحدة هي (اللسان).

وقد جاءت لفظة (لسان) في القرآن الكريم بعدة معان؛ فجاءت بمعنى اللسان الحقيقي، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ [البلد: ٨ ـ ٩]. وجاءت أيضاً بمعنى الكلام أو التحدّث، قال تعالى: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤]، وهو في كلا المعنيين قليل في القرآن الكريم.

والذي يهمّنا هو المعنى الثالث للفظة (لسان) حيث جاءت في القرآن الكريم بمعنى اللغة في سبعة مواضع[٧٩]، منها قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤] أي: «وما أرسلنا إلى أمة من الأمم، يا محمد، من قبلك ومن قبل قومك، رسولاً إلا بلسان الأمة التي أرسلناه إليها ولغتهم... ليُفْهِمَهم ما أرسَله اللهُ به إليهم من أمره ونهيه، ليُثْبِتَ

(٧٨) سيأتي الحديث عنها بالتفصيل في الفصل الثالث.

(٧٩) انظر المواضع في: سورة إبراهيم: الآية ٤، سورة النحل: الآية ١٠٣، سورة مريم: الآية ٩٧، سورة الشعراء: الآية ١٩٥، سورة الروم: الآية ٢٢، سورة الدخان: الآية ٥٨، وسورة الأحقاف: الآية ١٢.

حجة الله عليهم»[٨٠] فلن يكون لهم حجة بعد ذلك. وقد أخبر عن ذلك رسول الله (ﷺ)، فعن أبي ذرّ قال: قال رسول الله (ﷺ): «لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا إلا بِلُغَةِ قَوْمِهِ»[٨١].

ويظهر من الآيات التي أشار الله تعالى فيها إلى إرسال الرسل بلغات قومهم، أن العلة في ذلك العناية بالوضوح والبيان في تبليغ الرسالة، وهذا هدف مهم من أهداف الاتصال اللغوي. ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: ٩٧]. ومعنى بلسانك أي: بلغتك[٨٢].

وقد جعل الله تعالى اختلاف الألسنة آية من آيات قدرته، وعظيم خلقه، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢] والمقصود باختلاف ألسنتكم أي: «لغاتكم بأن علّم سبحانه كل صنف لغته أو ألهمه جلّ وعلا وضعها وأقدره عليها فصار بعض يتكلم بالعربية وبعض بالفارسية وبعض بالرومية إلى غير ذلك»[٨٣].

وقد بيّن ابن عاشور أن العبرة في هذه الآية هي اختلاف اللغات مع اتحاد أصل النوع فقال: «واختلاف لغات البشر آية عظيمة فهم مع اتحادهم في النوع كان اختلاف لغاتهم آية دالة على ما كوّنه الله في غريزة البشر من اختلاف التفكير وتنويع التصرف في وضع اللغات وتبدُّل كيفياتها... بحيث تغيّر الأصول المتّحدة إلى لغات كثيرة»[٨٤].

وقد ذكر عدد من المفسرين[٨٥]، أن اللسان في المواضع السبعة جميعها جاء بمعنى اللغة، وأكّدت معظم الآيات على اتحاد لغة الرسول مع لغة قومه؛

---

(٨٠) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق عبد الله التركي (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ج ١٣، ص ٥٩٢.

(٨١) أحمد بن محمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج ٥، ص ٢٠٦ (رقم الحديث ٢١٤٠٢).

(٨٢) محمود شهاب الدين الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ج ٨، ص ١٤٤.

(٨٣) المصدر نفسه، ج ١١، ص ٣١.

(٨٤) محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية، [د. ت.])، ج ٢١، ص ٧٣.

(٨٥) منهم على سبيل المثال: ابن كثير والطبري والقرطبي والشوكاني والألوسي.

وأن العلة في ذلك طلب مزيدٍ من البيان والوضوح، وسلامة التبليغ، ما يجعل عملية الاتصال اللغوي بين الرسول وقومه واضحة قوية ناجحة، فتحقق الهدف، وتفوّت على المتربصين حجتهم، فيكون في ذلك حجة وبيان.

٨ ـ اللغة العربية في القرآن الكريم

اللغة العربية لغة الفصاحة والبيان، فقد أشار تعالى في أحد عشر موضعاً[٨٦] في كتابه العزيز إلى أن لغة القرآن الكريم هي اللغة العربية، فوردت الإشارة بوصف القرآن الكريم أنه عربي، وبوصف لغته أنها عربية، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣] أي: «في حال كونه قرآناً عربياً بيناً واضحاً فمعانيه مفصلة وألفاظه واضحة غير مُشكِلة»[٨٧].

وقال تعالى ـ مبيناً لغة القرآن الكريم ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]؛ فوُصِفَت هنا لغة القرآن الكريم بأنها عربية، يقول ابن كثير: «أي هذا القرآن الذي أنزلناه إليك، أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل، ليكون بيناً واضحاً ظاهراً، قاطعاً للعذر، مقيماً للحجة دليلاً إلى المحجة»[٨٨].

وتتمثّل أهمية اللغة العربية في حياة الفرد المسلم في ثلاثة جوانب، فمن الجانب الديني «تشكل اللغة العربية الوعاء الفكري للقرآن والحديث الشريف والشريعة الإسلامية، ما جعل أبناء الشعوب الإسلامية يتعلمونها لإعانتهم على فهم الدين الإسلامي الحنيف فهماً صحيحاً... ومن [الجانب الاجتماعي] فإن اللغة العربية هي لغة الاتصال الاجتماعي والنمو الفكري والثقافي لأفراد المجتمع العربي... ومن [الجانب التربوي]، فإن إتقان اللغة العربية يؤدي إلى إدراك وتحصيل دراسي أكبر لمقررات المناهج التعليمية التي تكون لغتها العربية، والعكس صحيح»[٨٩].

---

(٨٦) انظر: سورة يوسف: الآية ٢، سورة النحل: الآية ١٠٣، وسورة طه: الآية ١١٣.
(٨٧) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ٩٧.
(٨٨) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٦٠.
(٨٩) علي العبد القادر، «أثر النشاط غير الدراسي في اكتساب الطلاب المهارات اللغوية،» ورقة قدمت إلى: **بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية** (الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، الإدارة العامة للثقافة والنشر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، مج ٤، ص ٤١٩.

إن اللغة العربية هي لغة البيان والظهور، والفصاحة والوضوح، لا لبس في فهمها ولا اعوجاج في مبناها، واضحة المعاني والدلالة، اختارها الله تعالى لتكون لغة القرآن الكريم حتى يفهمها المتلقي ويتدبر معانيها، فيعلم ويتعقل ويتقي ويعمل، كل ذلك ظاهر في سياق هذه المواضع في كتاب الله.

ثالثاً: الاتــصال
مفهومه، أهميته، أهدافه، عناصره، أنواعه، الاتصال في القرآن الكريم

لا يستطيع الفرد أن يعيش بمعزل عن المجتمع؛ لأنه يمثل جزءاً مكوناً له، والاتصال عملية رئيسة في المجتمع البشري، بل إنها مقوّم من مقوماته، وحياة الفرد داخل أي مجتمع تتطلب منه ممارسة هذه العملية المهمة، ولا يمكن أن تستقيم هذه الحياة بدونها؛ فمن خلالها يتصل الفرد بالآخرين، فيحقق أهدافه الفردية والاجتماعية، ويؤثر فيمن حوله، ويتأثر بهم.

وقد استخدم الإنسان الاتصال منذ الأزل، بدءاً باتصال الله تعالى مع آدم (عليه السلام)، ثم اتصاله (عليه السلام) بالملائكة، إلى الاتصال بين بني البشر أنفسهم، وقد قامت دعوة الأنبياء لأقوامهم على الاتصال بأنواعه.

إن الحياة لا يمكن أن تستقيم من دون اتصال، فتنظيم أمور الحياة بشكل عام، وقضاء الحاجات، ونقل الحضارات وحفظها، والتعليم والتعلُّم، والتربية والتنشئة... كل ذلك لا يمكن أن يتم من دون عملية الاتصال؛ لأنها تعدّ «شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي [وهي] ضرورة للفرد والمجتمع على حد سواء، فهي تسهم في تحقيق الحاجات الفردية والاجتماعية»[٩٠].

والطفل في بداياته يتعلم اللغة والقيم والمبادئ والعادات والتقاليد... عن طريق الاتصال، وينقلها في كبره إلى غيره عن طريقه أيضاً، والمجتمع ينشأ ويتطور، والأمم تتقدم وتبني حضارتها عن طريق الاتصال.

ولنا وقفة في بداية هذا المبحث مع الاتصال بشكل عام؛ لبيان مفهومه

---

(٩٠) علاء الدين كفافي [وآخرون]، **مهارات الاتصال والتفاعل في عمليتي التعليم والتعلّم**، ط ٢ (عمّان: دار الفكر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٦٢.

وأهميته وأهدافه وعناصره وأنواعه، ومن ثم نلقي الضوء عليه في القرآن الكريم بمفهومه العام وأنواعه، مع التمثيل لبعض تلك الأنواع.

١ ـ مفهوم الاتصال

لعلنا نبدأ **بالمفهوم اللغوي**:

يأتي معنى الاتصال ضمن مادة (وصل) يقال: «وصلتُ الشيءَ وَصْلاً وَصِلَةً. ووَصَلَ إليه وُصُولاً، أي بلغ وأوْصَلَهُ غيره. ووَصَلَ بمعنى اتَّصَلَ. . . والوَصْلُ: ضدُّ الهِجرانِ. .»[٩١].

ويقول ابن منظور: «واتَّصَلَ الشيءُ بالشيء لم ينقطع. . . ووَصَلَ الشيءُ إلى الشيء وُصُولاً وتَوَصَّل إليه انتهى إليه وبَلَغه. . .»[٩٢].

وقال الفيروزآبادي: «الوُصْلَةُ، بالضم: الاتِّصالُ، وكُلُّ ما اتَّصَلَ بشيءٍ فما بينهما: وُصْلَةٌ»[٩٣]، أي إن بينها اتصالاً.

ويبدو من المعنى المعجمي للكلمة أن في الاتصال معنى البلوغ والانتهاء، وفيه خاصية التفاعل والالتقاء بين أكثر من طرف. فهو بهذا المعنى اللغوي يعني: «الصلة والعلاقة وبلوغ غاية معينة من تلك الصلة. وهنا يبين لنا الاشتقاق اللغوي كم هي معبرة اللغة العربية عن المعنى الحقيقي للاتصال وظيفياً وإنسانياً»[٩٤].

وفي اللغة الإنكليزية «يرجع أصل كلمة اتصال (Communication) إلى الكلمة اللاتينية (Communis) ومعناها (Common) أي: (مشترك) أو(عام)، وبالتالي فإن الاتصال كعملية يتضمن المشاركة أو التفاهم حول شيء أو فكرة أو إحساس أو اتجاه أو فعل ما»[٩٥].

---

(٩١) إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠)، مادة (وصل).

(٩٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وصل).

(٩٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة (وصل).

(٩٤) مصطفى حجازي، **الاتصال الفعّال في العلاقات الإنسانية والإدارة** (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص ١٩.

(٩٥) حسن عماد مكاوي، **الاتصال ونظرياته المعاصرة** (القاهرة: الدار المصرية ـ اللبنانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص ٢٣.

والاتصال هو عملية مشاركة بين أفراد المجتمع، وهو عام يقوم به الجميع، ويتفاعلون في ما بينهم لتحقيق التكامل وتبادل المنافع والحاجات.

أما **المفهوم الاصطلاحي** للاتصال، فسوف نناقشه من خلال استعراض بعض التعريفات في ما يأتي:

عرّفه سلامة بقوله: إنه «عملية تفاعل مشتركة بين طرفين (شخصين أو جماعتين أو مجموعتين) لتبادل فكرة أو خبرة معينة عن طريق وسيلة»[٩٦].

وعرّفه القرني بأنه «سلوك أفضل السبل والوسائل لنقل المعلومات والمعاني والأحاسيس والآراء إلى أشخاص آخرين والتأثير في أفكارهم وتوجهاتهم وإقناعهم بما تريد، سواء كان ذلك بطريقة لغوية أو غير لغوية»[٩٧].

وقد أورد نصر الله عدداً من تعريفات الباحثين الغربيين للاتصال فقال:

قام (شارلز كولي) بتعريف الاتصال: بأنه الآلية التي توجد فيها العلاقات الإنسانية وتنمو عن طريق استعمال الرموز ووسائل نقلها وحفظها. . . أما (ريتشاردز)، فقد قام في العشرينيات بتعريف الاتصال حيث قال: إن الاتصال يحدث حين يؤثر عقل في عقل آخر، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث في عقل المتلقي خبرة مشابهة لتلك التي حدثت في عقل المرسل ونتجت عنها بشكل جزئي.

وفي الثلاثينيات قام (جورج لندبرغ) بتعريف الاتصال بأنه: التفاعل بواسطة الرموز والإشارات التي تعمل كمنبه أو مثير يؤدي إلى إثارة سلوك معين عند المتلقي.

وفي الأربعينيات عرف (كارل هوفلاند)، الاتصال بأنه: العملية التي ينقل بموجبها الفرد (القائم بالاتصال، المرسِل) منبهات (رموز لغوية، رسالة) بقصد تعديل سلوك فرد أو أفراد آخرين (مستقبِل الرسالة).

أما (فرانك دانس) في الستينيات، فقد عرف الاتصال بأنه: العملية التي

---

(٩٦) عبد الحافظ محمد سلامة، **وسائل الاتصال وأسسها النفسية والتربوية** (عمّان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ص ١٢.

(٩٧) عوض القرني، **حتى لا تكون كلاً.. طريقك إلى التفوق والنجاح**، ط ٨ (جدّة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ١١٧.

يتفاعل عن طريقها المرسل والمستقبل، في إطار وضع اجتماعي معين، وفي هذا التفاعل يتم نقل أفكار ومعلومات بين الأفراد، عن موضوع معين، أو قضية معينة، أو معنى مجرد، لأننا عندما نتصل بالآخرين نحاول أن نشرك الآخرين، ونشترك معهم في المعلومات والأفكار. . . [٩٨].

وأشار حبيبي، إلى أن أبسط تعريف للاتصال يكمن في «نقل معلومة من مرسل إلى مستقبل، بكيفية تشكل في حد ذاتها حدثاً»[٩٩].

ويعرّفه أحمد بأنه «عملية نقل وتبادل للمعلومات والأفكار والمشاعر بين طرفين يطلق على أحدهما مرسِل والآخر مستقبِل؛ من أجل توصيل رسالة من أحدهما إلى الآخر لتحقيق أهداف معينة، ويتم ذلك داخل بيئة محيطة يطلق عليها بيئة الاتصال»[١٠٠].

ونخلص من التعريفات السابقة إلى أن طبيعة الاتصال تشتمل على ما يأتي:

- الاتصال عملية تفاعلية تبادلية تقتضي الاشتراك بين طرفين أو أكثر.
- عملية الاتصال تقوم على طرفين هما المرسل والمستقبل.
- لكل عملية اتصال وسيلة مناسبة تحددها بيئة الاتصال.
- عملية الاتصال عملية اجتماعية إنسانية.
- عملية الاتصال تكون لغوية وغير لغوية.
- تهدف إلى نقل المعلومات أو الأفكار، أو المشاعر والأحاسيس، أو الخبرات، أو التأثير في الآخرين وتعديل سلوكهم، أو غرس القيم والمبادئ والمثل لتحقيق التكامل بين أفراد المجتمع.

ومما سبق، يمكن أن نعرّف الاتصال بأنه: عملية تفاعلية تبادلية ينقل من

---

(٩٨) عمر عبد الرحيم نصر الله، **مبادئ الاتصال التربوي والإنساني** (عمّان: دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠١)، ص ٣٠ ـ ٣١.

(٩٩) ميلود حبيبي، **الاتصال التربوي وتدريس الأدب** (بيروت الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣)، ص ٧.

(١٠٠) عصام عبد العظيم أحمد، **دليلك إلى الاتصال الفعال من منظور إسلامي** (القاهرة: ألفا للنشر والتوزيع، [د. ت.])، ص ٢.

خلالها المرسل المعلومات أو الأحاسيس إلى المستقبل، باستخدام وسيلة مناسبة، بهدف التأثير لتحقيق التكامل بين أفراد المجتمع.

٢ ـ أهمية الاتصال

الطبيعة الاجتماعية للإنسان تجعل من الاتصال حاجة ملحّة له، لا يمكنه الاستغناء عنها، فالإنسان بحاجة إلى معرفة المجهول، وبحاجة إلى التعبير عن مشاعره، وهو بحاجة إلى الاستئناس والترفيه، وقضاء حاجاته، وتنظيم حياته، وإلى أن يعلّم ويتعلّم، وأن يؤثر ويتأثر، ولا يمكنه أن يحقق ذلك كلّه من دون اتصال.

والإنسان يقضي معظم وقته في عملية اتصال، يقول بيرلو: «إن الفرد الأمريكي (متوسط الحال) يقضي حوالى ٧٠ في المئة من ساعاته النشطة في اليوم في حال اتصال لفظي، فهو مستمع أو متحدّث أو قارئ أو كاتب؛ أي إنه يقضي من عشر ساعات إلى إحدى عشرة ساعة كل يوم مؤدياً اتصالاً لفظياً»[١٠١].

ويؤكّد ستيوارت (Stewart) أهمية دراسة علم الاتصال، فيقول: «قد يستغرب البعض ويتساءل: لماذا نحتاج إلى دراسة علم الاتصال؟ إن السبب يكمن في أن الفرد يقضي ما يقارب ٧٥ في المئة من وقته في الاتصال والتواصل مع الآخرين»[١٠٢]. ولا شك أن هذا سبب مقنع لدراسة هذا العلم والوقوف على المهارات التي يحتاج إليها الفرد في سبيل الوصول إلى اتصال ناجح.

والإنسان في بيته وفي مقر عمله وفي الشارع في حالة تواصل مستمرة مع الآخرين «ذلك لأن الاتصال قبل أن يصبح علماً في تاريخ حديث جداً، هو مقوّم أساسي من مقومات الوجود الإنساني، حتى لنستطيع أن ندرجه ضمن الحاجات الأساسية لبني البشر»[١٠٣].

إن الاتصال بالآخرين يعني التفاعلية والتبادل «والتفاعل هو جوهر

(١٠١) الداية وجمل، **اللغة العربية ومهاراتها**، ص ١٦.

(١٠٢) Stewart L. Tubbs, *Human Communication*, 7th ed. (New York: McGraw-Hill International, 1994), pp. 4-5.

(١٠٣) حجازي، **الاتصال الفعّال في العلاقات الإنسانية والإدارة**، ص ١٣.

الاتصال والتفاعلية تعني التأثير والتأثر المتبادل بين أطراف العملية الاتصالية»[١٠٤]؛ فيكتسب الفرد عن طريقه المعلومة والخبرة، ويسهم من خلاله في تطور نفسه وتقدُّم مجتمعه.

ولا يستطيع الإنسان الاستغناء عن الاتصال، فالحياة لا تقوم إلا به، ولا تتقدم البشرية ولا تتطور بدونه. وقد لخّص سلامة ما ذكره (جون ديوي) في كتابه **الديمقراطية والتربية** عن أهمية عملية الاتصال في ما يأتي:

أ ـ إن وجود المجتمع واستمراريته متوقفان على نقل عادات العمل والتفكير والشعور من جيل إلى جيل، وبذلك لا يمكن الحياة الاجتماعية أن تدوم بغير هذا النقل الشامل للمثل العليا والآمال والأماني والقيم والآراء من الأفراد الراحلين عن حياة الجماعة، إلى أولئك الوافدين إليها.

ب ـ إن دوام المجتمع يتم بنقل الخبرة واتصال الأفراد، ولكن وظيفتهما لا تقتصر على ذلك، بل هما أساس وجوده، فالناس يعيشون جماعة بفضل ما يشتركون فيه من أهداف وعقائد وأماني ومعلومات... والاتصال هو وسيلة اكتسابهم إياها.

ج ـ إن الحياة الاجتماعية واتصال الأفراد صنوان متلازمان يتربى عن طريقهما الناس بتغير خبرات الأطراف المشتركة عن طريق الاتصال[١٠٥].

٣ ـ أهداف الاتصال

لعملية الاتصال أهمية كبيرة في المجتمع، ومن خلاله يستطيع الفرد أن يحقق الكثير من أهدافه، وبما أن عملية الاتصال عملية تكاملية لها مكوناتها وعناصرها؛ فإن أهداف الاتصال تتناسب مع جميع عناصره. ويمكننا أن نذكر أهم أهداف الاتصال في ما يأتي:

أ ـ التحصُّل على المعلومات

يتحصَّل الفرد على المعلومات ويتبادلها مع الآخرين يومياً من خلال

---

(١٠٤) عبد الله الطويرقي، **علم الاتصال المعاصر**، ط ٢ (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص ٥١.

(١٠٥) سلامة، **وسائل الاتصال وأسسها النفسية والتربوية**، ص ١٤ ـ ١٥.

الاتصال، فيتزود بمعلومات جديدة لم يكن يعرفها من قبل، أو تكون المعلومة التي حصل عليها تأكيداً لمعلومات قديمة لديه، أو تعديلاً لها. هذه المعلومات تمكّنه «من اتخاذ القرارات الصائبة والسلوك السوي، فالمعرفة هي القوة»[١٠٦].

ب ـ التعليم

يسهم الاتصال في نجاح عملية التعليم حينما يتجه نحو «إكساب المستقبل خبرات جديدة أو مهارات أو مفاهيم جديدة»[١٠٧]. وقد دلّت الدراسات على «أن نجاح الطلاب في الدراسة يرتبط إيجابياً بقدرتهم على الاتصال بكفاءة»[١٠٨]، وكيف ستنتقل المعرفة من المعلم إلى المتعلم من دون اتصال؟!

ج ـ التربية

يقوم الاتصال بدور كبير في العملية التربوية من خلال توجيه السلوك وغرس القيم أو تعديل الاتجاهات أو تغييرها؛ فكثيراً ما يكون هدف الاتصال بين الأفراد هدفاً تربوياً لتهذيب النفوس، وبناء الأجيال «إكساب المستقبل اتجاهات جديدة أو تعديل وتثبيت اتجاهات قديمة موجودة عنده ومرغوب فيها»[١٠٩].

د ـ التبليغ والإعلام

يستخدم الفرد منّا الاتصال في مواقف عديدة لتبليغ رسالة، أو الإعلام عن خبر، ويظهر ذلك من خلال استخدام الإنسان وسائل الإعلام المختلفة التي تعدّ من أهم وسائل الاتصال الحديثة.

---

(١٠٦) إبراهيم أبو عرقوب، **الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي** (عمّان: دار مجدلاوي، ١٩٩٣)، ص ٤٤.

(١٠٧) أحمد محمد عليق [وآخرون]، **وسائل الاتصال والخدمة الاجتماعية** (الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٤)، ص ٥٧.

(١٠٨) سعد بركي المسعودي [وآخرون]، **مهارات التواصل** (جدة: جامعة الملك عبد العزيز، مركز تطوير التعليم الجامعي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ٣٦.

(١٠٩) نصر الله، **مبادئ الاتصال التربوي والإنساني**، ص ١٢٢.

هـ ـ التبادل والتكامل المعرفي والثقافي

تهدف المجتمعات من الاتصال في ما بينها إلى تحقيق التبادل المعرفي، ونقل الخبرات، وكذلك نشر مخزونها الثقافي؛ ما يؤدي إلى تكامل مفيد. فحفظ التراث الحضاري لأي أمة ونقله من جيل إلى جيل، ونقله كذلك إلى الحضارات المعاصرة لا يمكن أن يتم إلا من خلال الاتصال بجميع أنواعه، فالتكامل المعرفي والثقافي هو «الغرض النهائي الذي من أجله نفهم ونفسّر ونقوّم موقف الاتصال»[١١٠].

و ـ تحقيق الذات والرضا النفسي

كلما كان الفرد قادراً على أن يتواصل مع الآخرين بنجاح، استطاع أن يحقق ذاته، ويرضي نفسه، فللاتصال الناجح مع الآخرين آثاره النفسية الإيجابية؛ كما إن للفشل فيه آثاره السلبية.

ز ـ المتعة والترفيه

قد يستخدم الإنسان الاتصال مع الآخرين من أجل المتعة والترفيه، فمع ظروف الحياة المختلفة تبدو الحاجة إلى الاستمتاع والترفيه من خلال التواصل مع الآخرين، إرسالاً أو استقبالاً بأي وسيلة اتصال؛ فالرسائل الاتصالية تسهم بشكل كبير في «الترفيه عن أفراد المجتمع وتخفيف أعباء الحياة عنهم»[١١١].

ح ـ تحقيق التآلف الاجتماعي

المجتمع يقوم على مجموعة من الأفراد، وتحقيق التآلف بين أفراد المجتمع الواحد يكون منطلقه الاتصال المُرضي؛ الذي يترك انطباعاً حسناً لدى الجميع «ويتحقق هذا الهدف عندما يتيح الاتصال الفرصة لزيادة احتكاك الجماهير بعضهم بالبعض الآخر، وهذه العملية بحد ذاتها تؤدي إلى تقوية الصلات والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد»[١١٢]، مع ملاحظة العمل على أداء اتصالي جيد.

---

(١١٠) عليان، **المهارات اللغوية: ماهيتها وطرائق تنميتها**، ص ٤٧.

(١١١) نصر الله، المصدر نفسه، ص ١٢٦.

(١١٢) المصدر نفسه، ص١٢٣.

٤ ـ عناصر عملية الاتصال

الاتصال عملية مستمرة مركبة، تتكون من عدد من العناصر، لكلٍ منها دوره ووظيفته، ولا يمكن أن تتم هذه العملية بدونها. و«يعتبر نموذج لازويل (Lasswell) من أبرز نماذج الاتصال المعروفة حتى الآن»[(١١٣)] وقد حدّد من خلاله عناصر الاتصال الأساسية على النحو الآتي:

أ ـ المرسل: من يقول؟

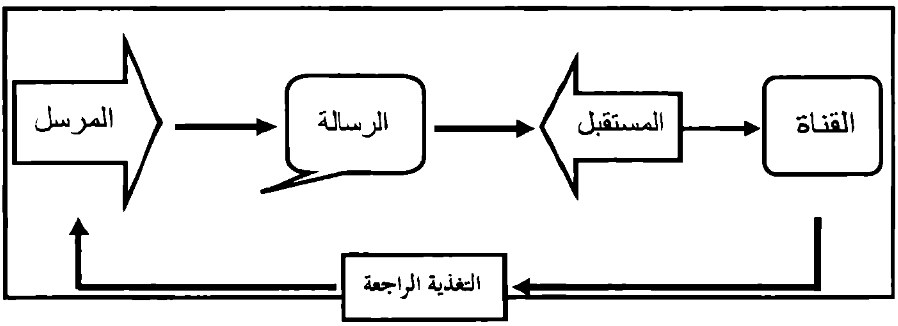
ب ـ المستقبل: لمن يقول؟

ج ـ الرسالة: ماذا يقول؟

د ـ القناة أو الوسيلة: بأي قناة؟

هـ ـ التغذية الراجعة: ما الأثر؟

الشكل الرقم (١ ـ ١)
نموذج لازويل للاتصال



أ ـ المرسل

وهو الذي تبدأ من عنده عملية الاتصال، وهو معدّ الرسالة ومصدرها، فهو الشخص الذي لديه فكرة ويريد نقلها إلى الآخرين بهدف التأثير فيهم وإقناعهم أو توجيه سلوكهم.

---

(١١٣) كمال عبد الحميد زيتون، **التدريس: نماذجه ومهاراته** (الإسكندرية: المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر، ١٩٩٧)، ص ٣٠٨.

ودوره يتمثل في صياغة فكرته ضمن رسالة واضحة مفهومة بأي وسيلة من وسائل الاتصال ـ لغوية أو رموز أو إشارات. . . ـ وهو بهذا يقوم «بتقمص أربعة أدوار في عملية الاتصال: يقرر المعنى الذي يريد إيصاله إلى الطرف الآخر، ويرمّز المعنى في رسالة (يضعه في كلمات أو إشارات تسمى رموزاً) ويرسل الرسالة، ويتصور ويتفاعل مع استجابة المستقبل لهذه الرسالة»[١١٤].

ب ـ المستقبل

وهو الطرف الثاني في عملية الاتصال، وأول من تصل إليه رسالة المرسل، سواء أكان فرداً أم مجموعة، ودوره يكون بفك الرموز من خلال فهم الرسالة وتحليلها وتفسير محتوياتها.

ونجاح عملية الاتصال لا تعتمد على براعة المرسل ومهارته في عملية الاتصال فحسب؛ بل يكتمل ذلك بقدرة المستقبل على حسن الاستجابة للرسالة وفهم مدلولاتها والتأثر بها والاستفادة منها.

ج ـ الرسالة

وهي الركن الأساسي في عملية الاتصال، بل هي الهدف الأول من قيام هذه العملية. والرسالة «تتمثل بالمعاني والكلمات والمشاعر والمنبهات التي يرسلها المصدر إلى المستقبل»[١١٥]؛ ولها عدة تعريفات، منها:

- أنها المحتوى المعرفي الذي يريد المرسل نقله إلى المستقبل.
- أنها الهدف الذي تسعى عملية الاتصال إلى تحقيقه.
- أنها مجموعة من الرموز المرتبة التي لا يتضح معناها إلا من نوع السلوك الذي يمارسه المستقبل.
- أنها المحتوى الفكري المعرفي الذي يشتمل على عناصر المعلومات باختلاف أشكالها سواء أكانت مطبوعة أو مسموعة أو مرئية[١١٦].

---

(١١٤) المسعودي [وآخرون]، **مهارات التواصل**، ص ٨.

(١١٥) ربحي مصطفى عليان، **الاتصال والعلاقات العامة** (عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)، ص ٥٠.

(١١٦) المصدر نفسه.

د ـ القناة أو الوسيلة

وهي الوسيط الذي يتم من خلاله نقل الرسالة من المرسل إلى المستقبل، والقنوات التي تمر من خلالها الرسالة.

والوسائل التي تحمل الرسالة بين طرفي الاتصال كثيرة ومتعددة؛ فالإنسان يتصل بغيره طبيعياً من خلال الحواس الخمس، فالصوت والصورة والرائحة والمادة المحسوسة، كل هذه وسائل اتصال؛ فإذا تكلّم المرسل مثلاً كان الصوت وسيلته لحمل رسالته إلى المستقبل.

وعليه، فإن هناك «وسائل عدة يستخدمها الناس في نقل رسائلهم، كالكتب والصحف والمجلات والأفلام والبث الإذاعي والتلفازي والأشرطة السمعية والبصرية والصور والهواتف والحواسيب الآلية وغيرها»[١١٧].

هـ ـ التغذية الراجعة أو الأثر

وهي طبيعة الاستجابة لدى المستقبل تجاه الرسالة إيجابية كانت أو سلبية، ويمكن أن نقول: إنها «عبارة عن ردود الفعل التي تنعكس على المستقبل في فهمه أو عدم فهمه للرسالة»[١١٨].

وتتخذ التغذية الراجعة عدة أشكال، منها: الشكل اللفظي أو تحريك الرأس أو تغيير انفعالات الوجه. وهي مفيدة للمرسل في معرفة مدى استيعاب المستقبل للرسالة، ومدى تأثره بها.

٥ ـ أنواع الاتصال

صنّف الباحثون الاتصال إلى عدة أنواع بناء على اعتبارات الأطراف واللغة والتأثير، وأهمها ما يأتي:

أ ـ أنواع الاتصال من حيث عدد الأطراف

ويعتمد هذا التصنيف على عدد الأفراد في كل نوع:

---

(١١٧) المسعودي [وآخرون]، المصدر نفسه، ص ١٠.

(١١٨) عليان، المصدر نفسه، ص ٦١.

(١) الاتصال الذاتي

وهو الاتصال الذي يكون فيه المرسل والمستقبل شخصاً واحداً «وهو اتصال داخل عقل الفرد ويتضمن أفكاره وتجاربه ومدركاته... ويتمثل هذا الاتصال في الشعور والوعي والتخيل والتفكير وغير ذلك من العمليات النفسية الداخلية»[١١٩]. وأهمية هذا النوع من الاتصال في كونه يمثل استعداداً وتدريباً للاتصال بالآخرين، ومن خلاله يكون الفرد مهيَّأً للإرسال أو الاستقبال.

(٢) الاتصال الشخصي

ويكون هذا الاتصال بين شخصين، أي اتصال ثنائي، أو يكون بين الأفراد ضمن مجموعة صغيرة، يتبادل عناصر الاتصال عن طريقه الأدوار، ومن ذلك المحادثات اليومية بين شخصين أو أكثر.

(٣) الاتصال الجماعي

وفي هذا النوع من الاتصال يكون المرسل فرداً واحداً، تنتقل رسالته «إلى عدد من الأفراد يستمعون، وهو ما نسميه بـ المحاضرة أو الحديث العام... وعادة ما يتميز الاتصال الجمعي بالصبغة الرسمية والالتزام بقواعد اللغة ووضوح الصوت. ولا يمكن غالباً للمستمعين أن يقاطعوا المتحدث، وإنما يمكنهم التعبير عن موافقتهم أو عدم موافقتهم»[١٢٠]، عن طريق الاتصال غير اللفظي مثل هز الرأس أو الإشارات والإيماءات ونحوها.

(٤) الاتصال الجماهيري

ويتم هذا النوع من الاتصال غالباً من خلال استخدام وسائل التقنية الحديثة ووسائل الإعلام. وهو موجه إلى جمهور كبير من الناس. ويمكن تعريفه بأنه: «رسائل تبث عبر وسيلة اتصال جماهيرية إلى عدد كبير من الناس، وهو بذلك يختلف عن الاتصال الذاتي والشخصي في أنه يتطلب وسيلة جماهيرية مثل التلفزيون والإذاعة والصحف»[١٢١].

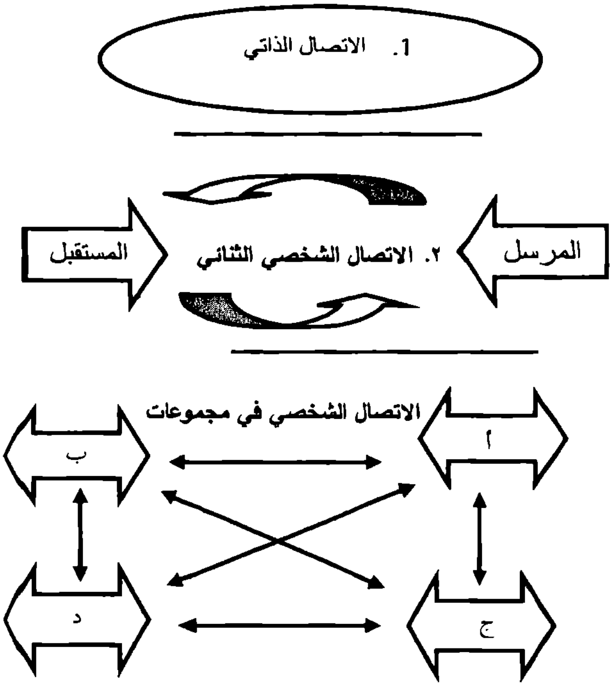
---

(١١٩) المصدر نفسه، ص٨٧.

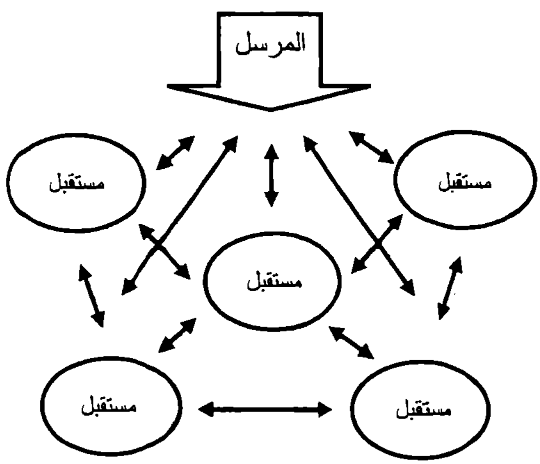
(١٢٠) المسعودي [وآخرون]، المصدر نفسه، ص ١٣.

(١٢١) سلامة، **وسائل الاتصال وأسسها النفسية والتربوية**، ص ٢٧.

الشكل الرقم (١ ـ ٢)
نماذج لأنواع الاتصال من حيث عدد الأطراف



الشكل الرقم (١ ـ ٣)
أنواع الاتصال من حيث عدد الأطراف



ب ـ أنواع الاتصال من حيث الأداء

وفي هذا التصنيف لا يهمّنا عدد الأطراف بقدر ما يهمّنا الأداء الاتصالي الذي يقوم به هؤلاء الأطراف، وهذا التصنيف على نوعين:

(١) الاتصال اللغوي

ونقصد بالاتصال اللغوي عملية تفاعل بين اثنين أو أكثر، من خلال إرسال الأفكار والمعاني واستقبالها بلغة لفظية سليمة، عن طريق مهارات الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة. وهو على نوعين:

(أ) الاتصال الشفوي

وتتم فيه عملية الاتصال من خلال الكلمة المنطوقة، فهو «عبارة عن تبادل الأفكار والبيانات والمعلومات بين المرسل والمستقبل باستخدام الكلمات المنطوقة»[١٢٢]؛ فيكون المرسل متحدثاً والمستقبل مستمعاً، مثل: المحادثة والمناقشة وإدارة الاجتماعات.

(ب) الاتصال الكتابي

وتتم فيه عملية الاتصال من خلال الكلمة المكتوبة «وتعبّر الاتصالات الكتابية عن نقل الأفكار والبيانات والمعلومات باستخدام الكلمة المكتوبة»[١٢٣]، فيكتب المرسل ما يودّ نقله إلى الآخرين، وتُستقبل هذه المادة المكتوبة قراءة، مثل: التقارير، والخطابات، والمقالات.

ولكل نوع من هذين النوعين مهارة إرسال ومهارة استقبال؛ ففي الاتصال الشفوي، مهارة الإرسال التحدّث، ومهارة الاستقبال والاستماع. وفي الاتصال الكتابي، مهارة الإرسال الكتابة، ومهارة الاستقبال القراءة.

(٢) الاتصال غير اللغوي

تُعدُّ اللغة هي النظام الأكثر استخداماً في اتصال الإنسان مع الآخرين، إلا أنها ليست النظام الوحيد في القيام بمثل هذا الاتصال «فهناك أنظمة

(١٢٢) شريف الحموي، **مهارات الاتصال**، ط ٢ (عمّان: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦)، ص ١٨.

(١٢٣) المصدر نفسه.

أو أنماط سلوكية غير لغوية تصاحبها وتدعمها مثل التعبير الجسمي»[١٢٤].

فالاتصال الذي لا يستخدم اللغة يسمى اتصالاً غير لغوي، ومن أحدث التعريفات لهذا النوع من الاتصال لـ (ديفيد كيفينز) إذ يقول: إنه «عملية إرسال واستقبال رسائل من دون كلمات، وذلك بواسطة التعبيرات الوجهية والنظر، والإيماءات والهيئة، ونبرات الصوت...»[١٢٥]، وهو على أنواع عدّة، من أهمها ما يأتي:

(أ) الاتصال بالعين.

(ب) التعبيرات الوجهية.

(ج) الإيماء.

(د) اللمس.

(هـ) الشم والذوق.

(و) الصوت والمظاهر غير اللفظية للغة[١٢٦].

٦ ـ الاتصال في القرآن الكريم وألفاظه

نريد أن نتتبع مفهوم الاتصال في القرآن الكريم بهدف الوصول إلى دلالاته ومعانيه، ومن ثم نعطي صورة مختصرة عن الاتصال بصفة عامة في القرآن الكريم مع ضرب أمثلة لبعض أنواعه.

من خلال الجذر المعجمي لكلمة (اتصال) اتضح لنا أن أصل الكلمة جاءت من الفعل (وصل). وقد ورد هذا الأصل في آيات عدة بمعنى الاتصال والبلوغ والوصل الذي هو ضد الانقطاع والهجران[١٢٧]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١] وقال

---

(١٢٤) السر أحمد سليمان، «الوظائف التعليمية والفاعلية التعليمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي،» **المجلة التربوية** (جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي)، السنة ١٠، العدد ٨٧ (٢٠٠٦)، ص ١٤.

(١٢٥) محمد الأمين موسى أحمد، **الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم** (الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٣)، ص ٣٧.

(١٢٦) المصدر نفسه، ص ٨١.

(١٢٧) سورة هود: الآية ٧٠، سورة الأنعام: الآية ١٣٦، وسورة النساء: الآية ٩٠.

تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١]. وقد أورد البغوي بعض أقوال أهل العلم في تفسير قوله: (وصَّلنا لهم القول)؛ فقال: «قال الفراء: أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها بعضاً. [و] قال قتادة: وصَّل لهم القول في هذا القرآن، يعني كيف صنع بمن مضى. [و] قال مقاتل: بيّنا لكفار مكة بما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف عُذّبوا بتكذيبهم. وقال ابن زيد: وصّلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١][١٢٨] فالتوصيل هنا جاء بمعنى الاتصال في تتابع الأخبار ووصل بعضها ببعض.

وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية الاتصال ـ من خلال السياق ـ في آيات كثيرة، وبين أن الخلل في أي آلة من آلات الاتصال يسبب انقطاعاً وفشلاً في هذه العملية، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢] فتعطّل العقل بسبب تعطّل بعض آلات الاتصال.

كما أشار القرآن الكريم إلى جميع أشكال الاتصال، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

ففي ذكر(الصمم) إشارة إلى الاتصال الصوتي، وأن تعطل حاسة السمع يمتنع معها استعمال مهارة مهمة من مهارات الاتصال اللغوي وهي الاستماع، وفي كلمة (بُكم) إشارة إلى الاتصال اللفظي الذي يقوم الجانب الصوتي منه على التحدث، وفي كلمة (عميٌ) إشارة إلى الاتصال البصري، ويدخل فيه معظم أنواع الاتصال غير اللفظي مثل تعبيرات الوجه، وحركات الجسم والألوان.

وفي الآية الكريمة أيضاً بيان للعلاقة بين الاتصال والتفكير، فالتعقل عملية من عمليات التفكير، وهذه العملية لا يمكن أن تعمل بتعطّل آليات الاتصال وقنواته، فالأذن واللسان والعين ما هي إلا قنوات اتصال، والعقل هو الذي يفسّر ما تسمعه الأذن أو تراه العين، وهو الذي يصوغ الكلام للسان بعد استثارته وقبل النطق به.

---

(١٢٨) أبو محمد الحسين البغوي، **معالم التنزيل**، ط ٣ (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج ٦، ص ٢١٣.

وبتتبع آيات القرآن الكريم، وبالنظر إلى أنواع الاتصال المعروفة، نجد أن جميع أنواع الاتصال اللغوي وغير اللغوي قد وردت في القرآن الكريم، والاتصال اللغوي هو موضع بحث هذه الدراسة(١٢٩) وسنناقشه في ما بعد، ولذا فإننا سنقف بعض الوقفات اليسيرة مع بعض أنواع الاتصال غير اللغوي التي وردت في القرآن الكريم:

أ ـ الاتصال بالعين

فكما إن للّسان حديثاً، فإن للعيون تعبيراتها الدقيقة، ففي كل حركة تعبير ولكل موقف حركة ومعنى، ومن تلك المعاني:

(١) التعبير عن العواطف والمشاعر الإنسانية. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]؛ فهو تعبير عن التقوى والوجل(١٣٠)، فقد «أثّر ذلك في قلوبهم وخشعوا له، وفاضت أعينهم بسبب ما سمعوا من الحق الذي تيقنوه»(١٣١) فظهر ذلك بفيض من الدمع في عيونهم تعبيراً عن مشاعرهم وبياناً لرقة قلوبهم وشدّة خشوعهم.

(٢) التعبير عن الخوف. قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ﴾ [الأحزاب: ١٩]؛ فجاء التعبير عن الخوف من خلال تصوير حال عيونهم، التي كانت تعبّر عن شدة خوفهم.

ب ـ تعبيرات الوجه

إذا كانت الألفاظ هي التي تحمل المعاني من المرسل إلى المستقبل، فإن «ملامح الوجه تعتبر أكبر مصدر للاتصال غير اللفظي لأنها تنقل لنا مشاعر الآخرين وعواطفهم تجاهنا، وتكشف عن عواطفنا ومشاعرنا تجاههم في آن واحد»(١٣٢) ومن الأمثلة على ذلك:

(١) التعبير عن الهم والغم وشدة الحزن والكآبة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ

---

(١٢٩) سوف نتناول الاتصال اللغوي بالتفصيل في الفصلين الثالث والرابع من هذا الكتاب.

(١٣٠) أحمد، **الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم**، ص ١٢٣.

(١٣١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، ص ٢٤٢.

(١٣٢) أبو عرقوب، **الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي**، ص ٢٧.

﴿أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨] «أي صار (مُسْوَداً) من الكآبة والحياء من الناس... واسوداد الوجه كناية عن العبوس والغم والفكر والنفرة التي لحقته بولادة الأنثى... فمن لوازم الفرح استنارة الوجه وإشراقه؛ ومن لوازم الغم والحزن اربداده واسوداده، فلذلك كنى عن الفرح بالاستنارة وعن الغم بالاسوداد»(١٣٣).

(٢) التعبير عن السعادة والاستبشار، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾ [عبس: ٣٨ ـ ٣٩]؛ فكأن وجوههم وهي «مشرقة مضيئة (ضَاحِكَة) بالسرور (مُسْتَبْشِرَةٌ) فرحة بما نالت من كرامة الله عز وجل»(١٣٤) تتحدث عن عظيم تلك السعادة، وعن عِظَم ذلك الاستبشار. والإسفار «الإضاءة، وهو تهلل الوجه بالسرور»(١٣٥).

ج ـ الإيماء

الإيماء هو التعبير عن المعاني بالإشارة، وبفضله «أصبح الاتصال غير اللفظي أكثر تطوراً ومحاكاةً للغة اللفظية»(١٣٦)؛ فإنك تستطيع أن تعبِّر عن كل ما تريد أن تقوله من خلال الإشارة، وما تواصل الصم البكم مع الآخرين إلا لدليل على ذلك.

والإيماء في اللغة «الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب»(١٣٧)؛ وفي جانبه الاتصالي يمكن أن نعدَّه «سلوكاً حركياً تقوم به بعض أعضاء الجسد ـ بخاصة الأطراف ـ منفردة أو مجتمعة، أو يقوم به الجسد بأكمله، وينتج منه رسالة تواصلية»(١٣٨)، ومن الأمثلة على ذلك:

(١) التعبير عن الغرابة والتعجب المصحوب بالحسرة(١٣٩)، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ

---

(١٣٣) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ٧، ص ١٦٨.

(١٣٤) البغوي، **معالم التنزيل**، ج ٨، ص ٣٤٠.

(١٣٥) محمد الأمين المختار الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج ٩، ص ٣٣.

(١٣٦) أحمد، **الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم**، ص ٣١٥.

(١٣٧) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (ومى).

(١٣٨) أحمد، المصدر نفسه، ص ٣١٦.

(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٣٢٨.

أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ [الكهف: ٤٢]. وصورتها ضرب الكفين بعضهما ببعض من الباطن، وفي هذه الإيماءة تعبير دقيق عن المعنى الذي تستخدم فيه، فلو شاهدت أحدهم وهو يقوم بهذه الحركة لعرفت مباشرة أنه في حالة تعجب واستغراب وحسرة من حادثة وقعت له.

(٢) تنكيس الرأس تعبيراً عن الحياء والحزن والخضوع والذل قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]. يقول الشوكاني: «مطأطئوها حياء وندماً على ما فرط منهم في الدنيا من الشرك بالله والعصيان له»(١٤٠). ويؤكد ابن عطية على أن «تنكيس الرؤوس هو من الهول والذلّ والهم بحلول العذاب وتعلّق نفوسهم بالرجعة إلى الدنيا»(١٤١).

خلاصة

وبعد؛ فإن كانت اللغة أداة مهمة من أدوات الاتصال، وباباً من أبوابه؛ فإن الاتصال يعدّ وظيفة من وظائف اللغة، والاتصال واللغة بينهما ارتباط واتصال وثيق، فلا يمكن أحدهما الاستغناء عن الآخر؛ فالاتصال اللغوي قناة مهمة من قنوات الاتصال بشكل عام، تلك القنوات التي يستخدمها الفرد للتواصل مع الآخرين.

ومناقشة شأن المهارة واللغة والاتصال في هذا الفصل تهيئة لما بعده، فقبل الحديث عن ملامح الاتصال اللغوي ومهاراته في القرآن الكريم، كان لزاماً علينا أن نذكر المفاهيم ونناقشها بالتفصيل، لنجمع بينها في الفصول القادمة من هذه الدراسة بمشيئة الله تعالى.

(١٤٠) محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، ط ٢ (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج ٤، ص ٣١٥.

(١٤١) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ص ١٤٩٥.

الفصل الثاني

الاتصال اللغوي في القرآن الكريم

تمهيد

أنزل الله تبارك وتعالى القرآن الكريم على نبيه محمد (ﷺ) ليكون كتاب هداية وإرشاد للعالمين.

والمتأمل في كتاب الله العزيز يعلم أنه كتاب شامل لكل ما يحتاج إليه الإنسان قبل حياته وخلالها وبعدها، فيه أمر العقيدة وهداها، وأوامر الشريعة وسناها. وقد أخبر الله تعالى فيه عمن كان قبلنا، ونبأ عمن هم بعدنا. جمع العلوم فوعاها، وتحدّى الله به فصحاء العربية وبلغاءها، معجز في حروفه، وفي أخباره، وفي الحقائق العلمية التي ذكرها.

والتحدّي اللغوي في القرآن الكريم هو صفحة من صفحات إعجازه، واللغة ـ التي يعدّ الاتصال وظيفة رئيسة من وظائفها ـ كانت من أعظم معجزاته.

إن الاتصال بين السماء والأرض كان اتصالاً لغوياً، فقد أنزل الله تعالى كتابه على نبيه محمد (ﷺ) بلسان عربي مبين؛ ليبين للناس، حتى يفهموه ويفقهوه ويعملوا به، ولينذر ويبشّر ويهدي إلى صراط مستقيم.

وللاتصال اللغوي في القرآن الكريم ملامحه التي يتمثل أظهرها في أطرافه ووظائفه وطرائقه ومقوماته ومعوقاته، وهذا ما سوف نناقشه في هذا الفصل ـ إن شاء الله تعالى ـ ليكون مدخلاً لنا إلى الاتصال اللغوي في القرآن الكريم.

أولاً: أطراف الاتصال اللغوي في القرآن الكريم

تقوم عملية الاتصال اللغوي على طرفين رئيسين هما المرسل والمستقبل. فالمرسل هو الذي يقوم بدوره في صياغة الرسالة وتصديرها للطرف الآخر، والمستقبل هو الذي يتفاعل مع تلك الرسالة من خلال فكّ رموزها واستيعاب معانيها.

وقد تعدّدت أشكال الاتصال اللغوي في القرآن الكريم في ضوء أطرافه، فجاءت على النحو الآتي:

١ ـ خطاب الله سبحانه وتعالى لمختلف مخلوقاته

يمرّ معنا في القرآن الكريم الكثير من عمليات الاتصال اللغوي، ومن تلك العمليات ما يكون فيها اتصال بين الله تعالى وبين مختلف مخلوقاته، ويكون هذا الاتصال بالأمر أو بالنهي أو بالترغيب أو بالترهيب إلى غير ذلك من أساليب الخطاب؛ فخاطب سبحانه الملائكة والإنس والجن، وخاطب السماء والأرض والجبال والنار وغيرها. وفي ما يأتي نماذج من صور هذا الاتصال اللغوي:

فمن ذلك خطابه تبارك وتعالى لملائكته في قوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧١] يقول ابن كثير: إن «الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشراً من صلصال من حمأ مسنون، وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراماً وإعظاماً واحتراماً وامتثالاً لأمر الله عز وجل»[(١)].

ومن خطابه لأنبيائه تكليمه لموسى (عليه السلام) في قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ [طه: ١١ ـ ١٢]. «وقال ههنا ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ أي: الذي يكلّمك ويخاطبك»[(٢)].

ومن خطابه سبحانه للأرض والسماء قوله: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ٤٤]. وقد بيّن الطبري ذلك في تفسيره لهذه الآية فقال: «يقول الله

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط ٩ (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ج ٤، ص ٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٥١.

تعالى ذكره: وقال الله للأرض بعد ما تناهى أمره في هلاك قوم نوح، بما أهلكهم به من الغرق: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ أي: تَشَرَّبي... (ويٰسماء اقلعى) يقول: أقلعي عن المطر: أمسكي»[٣]. وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم تشاكل هذه الصور.

٢ ـ اتصال الملائكة بالملائكة

ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ﴾ [ص: ٦٩] فالاتصال بين الملائكة كان قائماً حول أمر خلق آدم (عليه السلام)، يقول ابن كثير: «قل يا محمد لمشركي قومك: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ﴾ من الملائكة (إذ يختصمون) في شأن آدم من قبل أن يوحيَ إليَّ ربّي، فيعلمني ذلك... [والملأ الأعلى هم] الملائكة حين شوورُوا في خلق آدم، فاختصموا فيه، وقالوا: لا تجعل في الأرض خليفة»[٤].

٣ ـ اتصال الملائكة بالإنسان

ومنه اتصال الملائكة بزكريا (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩] ومعنى نادته الملائكة «أي: خاطبته الملائكة شفاهاً خطاباً، أسمعته وهو قائم يصلي في محراب عبادته ومحل خلوته ومجلس مناجاته وصلاته»[٥].

٤ ـ اتصال الإنسان بالإنسان

ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا﴾ [الكهف: ٣٤] «يقول عزّ وجلّ: فقال هذا الذي جعلنا له جنتين من أعناب، لصاحبه الذي لا مال له وهو يخاطبه: (أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً) يقول: وأعزّ عشيرة ورَهْطاً»[٦].

---

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق عبد الله التركي (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج ١٢، ص ٤١٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٤١ ـ ١٤٢.

(٥) ابن كثير، المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٦٩.

(٦) الطبري، المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

٥ ـ اتصال الإنسان بالجن

ومنه قوله تعالى عن سليمان (عليه السلام): ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ۝٣٨ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ۝٣٩﴾ [النمل: ٣٨ ـ ٣٩] فـ «القائل سليمان (عليه السلام) و(الملأ) المنادى جمعه من الإنس والجن»[٧].

٦ ـ اتصال الجن بالجن

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] «أي قال بعضهم لبعض اسكتوا لْاستماع القرآن»[٨].

٧ ـ اتصال الإنسان بالحيوان

ومنه اتصال سليمان (عليه السلام) بالهدهد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٢٧ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ [النمل: ٢٧ ـ ٢٨] «يقول تعالى ذكره: قالَ سليمانُ للهدهد: سَنَنْظُرُ فيما اعتذرتَ به من العذر، واحتججت به من الحجةِ لغيبتِك عنا، وفي ما جئْتَنا به من الخبر (أصدقت) في ذلك كلّه (أم كنت من الكٰذبين) فيه، (اذهب بكتٰبى هٰذا فالقه إليهم ثم تولَّ عنهم فانظر ماذا يرجعون»)[٩].

٨ ـ اتصال الحيوان بالحيوان

ومنه اتصال النملة بقومها في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] «وهذه النملة قالت هذا المعنى ـ الذي لا يصلح له إلا هذه العبارة ـ قولاً فهمه عنها النمل، فسمعه سليمان (عليه السلام) على بعده، وجاءت

---

(٧) أبو محمد عبد الحق بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ١٤٢١.

(٨) أبو عبد الله محمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (الرياض: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ج ٨، ص ٢١٥.

(٩) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٨، ص ٤٤ ـ ٤٥.

المخاطبة كمن يعقل، لأنها أمرتهم بما يؤمر به من يعقل»[١٠].

وحين ننظر في جميع النماذج السابقة للاتصال اللغوي في القرآن الكريم نرى كيف اكتملت عناصر الاتصال اللغوي في كل موقف اتصالي، فوصلت الرسالة واضحة، وكانت الاستجابة ظاهرة، وكان التنوّع كذلك قائماً بين أطراف الاتصال الرئيسة من مرسل ومستقبل.

إن المتأمل في هذه النماذج وغيرها مما يزخر به القرآن الكريم، يتعلّم منها ـ بلا شك ـ كيف يستطيع أن يتصل بالآخرين ويتفاعل معهم، فيتعلّم كيف يسأل، وكيف يجيب، وكيف ينصح ويوجّه، وكيف يطلب ويقول، ويستمع ويقرأ، ويكتب ويتحدّث... إلى غير ذلك من طرائق الاتصال اللغوي؛ فالقرآن الكريم كتاب هداية وتعليم في شتى العلوم والمعارف، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

الجدول الرقم (٢ ـ ١)

أشكال الاتصال اللغوي في القرآن الكريم

السورة	الآية	المرسل	المستقبل	صورة الاتصال
١. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾				
الحجر	٢٨	الله سبحانه وتعالى	الملائكة	اتصال الله تعالى بمخلوقاته
٢. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾				
ص	٦٩	الملائكة	الملائكة	اتصال الملائكة بالملائكة
٣. قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾				
الزمر	٧٣	خزنة الجنة	المتقون	اتصال الملائكة بالإنسان
٤. قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾				
الكهف	٣٧	صاحبه	صاحب الجنتين	اتصال الإنسان بالإنسان

يتبع

(١٠) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ص ١٤١٦.

تابع

٥. قال تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾				
النمل	٣٩	عفريت من الجن	سليمان (ﷺ)	اتصال الإنسان بالجن
٦. قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾				
الأحقاف	٢٩	نفر من الجن	قومهم	اتصال الجن بالجن
٧. قال تعالى: ﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾				
النمل	٢٧	سليمان (ﷺ)	الهدهد	اتصال الإنسان بالحيوان
٨. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾				
النمل	١٨	النملة	النمل	اتصال الحيوان بالحيوان

ثانياً: وظائف الاتصال اللغوي في القرآن الكريم

للاتصال اللغوي وظائفه المتنوعة في الحياة، كل وظيفة منها تحقق الحاجات والرغبات للفرد والمجتمع.

وبعد التأمل في القرآن الكريم يمكن أن نقول إن من أهم وظائف الاتصال اللغوي ما يأتي:

١ ـ الوظيفة الدعوية والإعلامية

تهتم عملية الاتصال اللغوي في القرآن الكريم بأمر الدعوة إلى الله تعالى، وتحرص على أن يبلّغ المرسِل ما أُرسل به تاماً واضحاً، سواء أكان ذلك المرسَل رسولاً نبياً، أم كان داعية من عامة الناس.

والدعوة إلى الله تعالى أو إعلام الناس وإيصال الخبر لهم، مبنية على الاتصال اللغوي بشكل رئيس، يقول (ﷺ): «لِيُبْلغِ الشاهِدُ الغائبَ، فربّ مبلغ أوعى من سامع...»(١١). وقد أكدّت ذلك الكثير من الآيات القرآنية.

---

(١١) محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري** (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ٣٠٤، رقم الحديث (١٧٤١).

وتتمثل الوظيفة الدعوية للاتصال اللغوي في تحقيق غايتين «أعني استجابة الناس وتقواهم، والإعذار إلى الله عز وجل، وهما الغايتان المذكورتان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]»(١٢).

ففي مجال الدعوة إلى الله تعالى يقول جل وعز: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥] إن الحثّ على التحلي بالحكمة واستخدام أحسن الأقوال مع المدعوين ـ مع مراعاة أحوالهم ـ فيه دعوة إلى توظيف الاتصال اللغوي الفاعل الذي ينتج منه تغذية راجعة إيجابية، تتمثل في قبول الدعوة والإيمان بها.

يقول الشوكاني ـ في تفسير هذه الآية ـ مبيناً كيفية استخدام الاتصال اللغوي لوظيفة الدعوة: «أمر الله سبحانه رسوله أن يدعو أمته إلى الإسلام فقال: (ادع إلى سبيل ربك) وسبيل الله هو الإسلام، (بالحكمة) أي: بالمقالة المحكمة الصحيحة، قيل: وهي الحجج القطعية المفيدة لليقين، (والموعظة الحسنة) وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها. قيل: وهي الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدّمات مقبولة؛ قيل: وليس للدعوة إلّا هاتان الطريقتان، ولكن الداعي قد يحتاج مع الخصم الألدّ إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة، وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الداعي محقّاً وغرضه صحيحاً، وكان خصمه مبطلاً وغرضه فاسداً»(١٣).

ثم ختمت الآية بتحديد دور الداعية في الدعوة والتبليغ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: «إنما عليك البلاغ والدعوة،

---

(١٢) يحيى محمد زمزمي، **الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، ط ٢ (عمّان: دار المعالي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص ٤٣.

(١٣) محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، ط ٢ (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج ٣، ص ٢٥٥.

وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا إليك بل الله أعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم»[١٤].

وفي مجال الإعلام والتبليغ نجد أن القرآن الكريم قد أكدّ هذا الجانب في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]؛ فلم يدعُ هنا إلى البلاغ فحسب، بل اشترط لهذا البلاغ أن يكون بيّناً للمتلقي؛ حتى تصل الرسالة إليه واضحة لا يشوبها أي تشويش، والبلاغ المبين «أي البين في نفسه الموضِّح لكل من سمعه ما يراد منه لا غيره»[١٥].

إن وظيفة الدعوة إلى الله وتبليغها إلى الناس تتضمن استخدام أساليب متنوعة ترغيباً وترهيباً، تبشيراً وتحذيراً، ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال الاتصال اللغوي المناسب لكل أسلوب من هذه الأساليب كـ «الدعوة بالحكمة والنظر في أحوال المخاطبين وظروفهم... والطريقة التي يخاطبهم بها، والتنويع في هذه الطريقة حسب مقتضياتها، فلا تستبد به الحماسة والاندفاع والغيرة، فيتجاوز الحكمة في هذا كله وفي سواه. وبالموعظة الحسنة التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمق المشاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية... وبالجدل بالتي هي أحسن بلا تحامل على المخالف، ولا ترذيل له وتقبيح»[١٦]. والدعوة إلى الله بأحسن الأقوال تتم من خلال الاتصال اللغوي الناجح ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

إن القرآن الكريم من خلال الإشارة إلى وظيفة الاتصال في الدعوة والإعلام يضع لنا المعيار الحقيقي الضامن لنجاح عملية الاتصال اللغوي ويحدّده في استخدام الحكمة أولاً، ثم انتقاء الموعظة الحسنة، واختيار

---

(١٤) ناصر الدين عبد الله البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (بيروت: دار الجيل، [د. ت.])، ص ٣٩٦.

(١٥) برهان الدين أبو الحسن البقاعي، **نظم الدُرر في تناسب الآيات والسور**، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج ٢، ص ٥٣٧.

(١٦) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط ٢ (القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، ج ٤، ص ٢٢٠٢.

الطريقة المناسبة للمجادلة، كل ذلك مع بلاغ مبين «يُبِينُ عن معناه لِمَنْ أبْلَغَه، ويُفْهِمَهُ من أُرْسِلِ إليه»(١٧).

٢ ـ الوظيفة التربوية والتعليمية

يتعلّم الإنسان من خلال الاتصال، فيتعرف عن طريقه على خبرات ومعارف لم يكن يدركها من قبل، فيتلقى المعرفة من تجاربه الشخصية أو من اتصاله بغيره من بني البشر، وقوام ذلك الاتصال الذي يحصل فيه على المعرفة هو اللغة.

والإنسان يتعلّم ويعلّم ـ غالباً ـ من خلال الاتصال اللغوي، ويربي الناشئة ويغرس فيهم القيم، وينمي لديهم المهارات، ويعدّل السلوك كذلك.

وقد بعث الله تعالى أنبياءه وأنزل كتبه لتعليم البشرية وتربيتهم وتوجيههم للهداية، وكان سبيل ذلك التعلُّم الاتصال اللغوي، فقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]. يقول ابن كثير: «يذكّر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد (ﷺ) إليهم يتلو عليهم آيات الله مبينات، ويزكيهم، أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويعلمهم الكتاب، وهو القرآن، والحكمة وهي السنة، ويعلمهم ما لم يكونوا يعلمون»(١٨)، والوظيفة التربوية التعليمية للاتصال اللغوي ظاهرة في هذه الآية، فقراءة القرآن الكريم على أسماع المؤمنين صورة من صور الاتصال اللغوي، والتزكية والتعليم تنطلق من خلال ذلك.

والتزكية هي «أقرب الكلمات وأدلها على معنى التربية، بل تكاد التزكية والتربية تترادفان في إصلاح النفس وتهذيب الطباع... [و] التعليم، وتعني به الآية تنوير الذهن بما يفتقر إليه من هدايات كثيرة في عالم الغيب والشهادة، أي في عالم المادة وما وراء المادة. والقرآن كتاب تضمّن علوماً إنسانية شتى في العقائد والتشريع والتاريخ والأخلاق»(١٩).

---

(١٧) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٤، ص ٢١٦.

(١٨) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ١، ص ٢٠١.

(١٩) محمد الغزالي، «نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع،» ورقة قدمت إلى: **بحوث** =

٣ ـ الوظيفة الاجتماعية

يستخدم الناس الاتصال اللغوي في حياتهم الاجتماعية، ويتمثل ذلك في التعامل اليومي بين أفراد المجتمع لقضاء الحاجات والتفاهم المتبادل، كما إن توجيه أفراد المجتمع من أجل تنظيم الحياة وتبادل المصالح يتم من خلال الاتصال اللغوي، فنحن «كثيراً ما نتكلم في البيت وفي المصنع وفي السوق وفي الشارع ولا نقصد إلى نقل أفكار معينة أو تأثير في سلوك السامعين. يبدو ذلك مثلاً في عبارات التحايا والوداع والمجاملة. . إن هذه العبارات هي بالأحرى تمثيل لعادات اجتماعية يقصد بها إلى تقوية الروابط البشرية وإشباع النزعة والاشتياق نحو الجماعية»(٢٠) التي لا يمكن أن تتحقق من دون الاتصال اللغوي.

إن التآلف بين الراعي والرعية مثلاً، أو الإصلاح بين الناس في مختلف أمور الحياة، أو الصلح بين الزوجين ونحوها، كل هذه القضايا الاجتماعية وغيرها تعدّ من الجوانب التي دعا القرآن الكريم إلى العناية بها، ومراعاة أحوال أطراف الاتصال فيها، وبيّن أن للاتصال اللغوي الدور الأكبر في تحقيق الأمن الاجتماعي لجميع الأفراد، وأنه الطريق إلى إيجاد الحلول لها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] والفظّ «الغليظ، والمراد به ههنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك (غليظ القلب) أي: لو كنت سيء الكلام، قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم»(٢١)؛ فالعلاقة بين الراعي والرعية تقوم على الرفق واللين في القول والعمل، ما ينتج عنه اجتماع وتآلف فيدوم الاتصال بجميع أحواله.

وفي معالجة الخلاف بين الزوجين يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤] ومعنى (فعظوهن) أي: «فانصحوهن،

= **ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية**، ط ٢ (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحوث التربوية والنفسية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ١.

(٢٠) كمال بشر، **علم اللغة الاجتماعي**، ط ٣ (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٩٧)، ص ٢٩ ـ ٣٠.

(٢١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ١، ص ٤٢٩.

وقولوا لهن اتقين الله وارجعن عما أنتن عليه»[٢٢]؛ فكان الوعظ هو الخطوة الأولى من خطوات هذا الإصلاح الاجتماعي، وهو نمط لا يكون إلا من خلال الاتصال اللغوي.

إن المشاهد القرآنية على الوظيفة الاجتماعية للاتصال اللغوي في القرآن الكريم كثيرة جداً، ولكننا نكتفي بهذه الأمثلة طلباً للإيجاز.

٤ ـ الوظيفة النفسية

يتمثل الجانب النفسي للغة في كونها عملية إرادية؛ ولذا فإن للاستخدام الأمثل للاتصال اللغوي أثره النفسي على المرسل أو المستقبل؛ فعندما يستخدم المرسل الاتصال اللغوي بصورة صحيحة، ويتمكن من القدرة على صياغة رسالة لغوية واضحة، يظهر أثرها على المتلقي من خلال استجابته الإيجابية؛ فإن ذلك يبعث في نفس المرسل ارتياحاً وسعادة، والعكس يكون إن لم تكن تلك الرسالة مفهومة أو كانت ردة الفعل من المتلقي سلبية.

والطمأنينة حالة نفسية إيجابية تكون نتيجة لاتصال ناجح، سواء أكان ذلك الاتصال لغوياً أم غير لغوي. وقد بيّن القرآن الكريم أن إدخال الطمأنينة في نفس المتلقي يكون من خلال الاتصال اللغوي؛ ففي مثل قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥] تكون كلمة (مستمعون) «أشدّ مبالغة من (سامعون) لأن أصل الاستماع أنه تكلّف السماع والتكلف كناية عن الاعتناء. . . والجمع بين قوله: (بئايْتنا) وقوله: (إنا معكم مستمعون) تأكيد الطمأنة ورباطة لجأشهما»[٢٣].

والاستماع مهارة اتصال لغوية «فليس يوصف الله تبارك وتعالى بطلب الاستماع، وإنما المقصد إظهار التَّهَمُّم ليعظم أُنس موسى (عليه السلام)»[٢٤]. وفي استخدامه هنا لفتة جميلة، وهي أن الله تعالى سامع ويسمع كل شيء، ولا يحتاج إلى الاستماع الذي هو في حق المخلوق ميزة، ولكنه تعالى قال:

---

(٢٢) محمود شهاب الدين الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ج ٣، ص ٢٤ ـ ٢٥.

(٢٣) محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية، [د. ت.])، ج ١٩، ص ١٠٩.

(٢٤) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ص ١٣٩٦.

(مستمعون) مبالغة في طمأنة موسى (عليه السلام) بأنه في رعاية الله وتحت سمعه وبصره.

والذي يؤكّد مراعاة الجانب النفسي في الاتصال اللغوي ما ورد في القصة نفسها ـ ولكن في موطن آخر ـ حيث قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وقد ذكر زمزمي أن تهيئة الجو المناسب للحوار ـ الذي هو طريقة من طرائق الاتصال اللغوي ـ يساعد كثيراً في نجاحه، وبيّن أن التعارف بين طرفي الاتصال من أهم وسائل تهيئة الجو المناسب في بداية اللقاء، ومن ذلك ما قاله الملك الذي أرسل إلى مريم: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] فأخبرها عن حقيقته ثم أعلمها بمهمته، ومنه ما جاء في قصة الملائكة مع لوط (عليه السلام) قال تعالى عنهم: ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١] فهاهم أُولاء الملائكة يعرفون لوطاً بأنفسهم قبل أن يأمروه بإخراج أهله.

ومن تلك الوسائل أيضاً طرح أسئلة في غير موضوع الحوار لتهيئة نفسية الطرف الآخر، ومن ذلك ما بدأ الله تعالى به من سؤال موسى (عليه السلام) عن العصا وهو يعلم، وذلك قبل أن يرسله إلى فرعون، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه: ١٧ ـ ١٨] فكان سؤاله هذا للتخفيف من خوفه[٢٥].

٥ ـ الوظيفة العقلية

الاتصال اللغوي ليس مجرد رسالة يشترك فيها المرسل والمستقبل وفق الأسس والمفاهيم التي وضعها المرسل، ولكنه تفاعل عقلي مشترك بين أطراف تلك العملية.

وقد ذكر الحدري ـ مبيناً تعدّد الوظائف العقلية للإنسان ـ أن «العقل ـ الذي جعله الإسلام مناط التكليف بأعظم قضية في الوجود وهي عبادة الله تعالى بمفهومها الشامل ـ يقوم بوظائف كثيرة، منها وظيفة التفكير في كل ما

(٢٥) زمزمي، **الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، ص ١١٨ ـ ١٢٣.

من شأنه أن يحقق النفع للعبد في أمور دينه ودنياه، في حدود قدراته وإمكاناته، خلافاً لمن ظن أن خطاب الله تعالى في القرآن الكريم إنما يتوجه إلى جانب واحد من جوانب القدرات العقلية التي يتمتع بها الإنسان»(٢٦)، ومن تلك الوظائف التفكير اللغوي، وهو ما يكون قبل النطق للمرسل، وبعد الاستماع للمستقبل.

إن صياغة المرسل لفكرته في قالب لغوي ـ يجري على مقتضيات اللغة المشتركة بينه وبين المستقبل ـ مرتبطة بنشاط المخ أو الجهاز العصبي في المخ، حيث تتولى وظائف المخ إرسال تعليماتها على هيئة مثيرات عصبية إلى أعضاء النطق؛ لتعطي القالب اللغوي الصامت وجوداً مادياً؛ ليبدأ الوجه الآخر من عملية التواصل اللغوي، ونعني به استقبال الرسالة المنطوقة وفهم فحواها بعد استماع الأذن لها ونقلها إلى المخ عن طريق مثيرات عصبية(٢٧).

فالمرسل عندما يبدأ بصياغة رسالته، فإنه يقوم بعملية التفكير ثم الصياغة ثم النطق، وكذلك المستقبل في تفسيره لتلك الرموز وفهمها.

وقد أشار القرآن الكريم إلى الوظيفة العقلية للاتصال اللغوي من خلال التأكيد على بعض العمليات العقلية في سياق الحديث عن الاتصال اللغوي؛ فقال تعالى داعياً إلى التذكّر: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان: ٥٨] «أي إنما يسّرنا هذا القرآن الذي أنزلناه سهلاً واضحاً بيناً جلياً بلسانك الذي هو أفصح اللغات وأجلاها وأعلاها (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) أي يتفهمون ويعلمون»(٢٨).

وقال سبحانه وتعالى داعياً إلى إعمال العقل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] «أي أنزلناه مجموعاً أو مقروءاً بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه، وتستعملوا فيه عقولكم»(٢٩). وقال تعالى داعياً إلى التدبر: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وكما هو ملاحظ من سياق هذه الآيات، أن الدعوة إلى استخدام

---

(٢٦) خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن الحدري، **منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية** (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ١٣.

(٢٧) حلمي خليل، **اللغة والطفل دراسة في ضوء علم اللغة النفسي** (بيروت: دار النهضة العربية، [د. ت.])، ص ٥٥ ـ ٥٦ (بتصرف).

(٢٨) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ١٥٨ ـ ١٥٩.

(٢٩) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ص ٣٠٩.

العمليات العقلية جاء في سياق الممارسات اللغوية من تحدّث بلغة سليمة، وتوافق بين لغة أطراف الاتصال، أو من قراءة بتدبّرٍ، أو استماع واعٍ، وهذه هي المهارات الرئيسة للاتصال اللغوي.

وبعد؛ فقد تطرق القرآن الكريم إلى عدد من وظائف الاتصال اللغوي، فأشار إلى الوظيفة الدعوية والإعلامية، ووضع بعض الأسس المهمة التي يجب على المرسل السير عليها في سبيل بيان دعوته وتوضيحها. كما أشار إلى الوظيفة التربوية التعليمية، وأن مبدأها يكون بالاتصال اللغوي بأي من مهاراته. وأشار إلى الوظيفة الاجتماعية للاتصال اللغوي من خلال استخدامه في التآلف الاجتماعي بين أفراد المجتمع الواحد. وبيّن أن له آثاره النفسية على المرسل والمستقبل؛ تلك الآثار التي تظهر عليهما قبل عملية الاتصال أو أثناءها أو بعدها. وأخيراً بيّن أن الاتصال اللغوي هو تفاعل عقلي مشترك بين أطرافه.

ثالثاً: طرائق الاتصال اللغوي في القرآن الكريم

للاتصال اللغوي في القرآن الكريم عدد من الطرائق التي يستخدمها المرسل لتوجيه أفكاره إلى الآخرين، منها القصة وضرب المثل والحوار ـ بأنواعه ـ والوعظ:

١ ـ القصة

القصة في اللغة: يقول ابن فارس: «القاف والصاد أصلٌ صحيح يدلُّ على تتبُّع الشيء. من ذلك قولهم: اقتصَصْتُ الأثَر، إذا تتبَّعتَه. . . ومن الباب القِصَّة والقَصَص، كلُّ ذلك يُتَتَّبع فيذكر»[٣٠].

والقصة اصطلاحاً: هي فن من فنون الأدب النثري تعالج القضايا الإنسانية، وهي إحدى طرق التعبير عن الأحاسيس والمشاعر ووصف الحياة[٣١].

إن المتلقي يتشوق إلى القصة، وإلى تتبع أحداثها، ومعرفة نهايتها،

---

(٣٠) أبو الحسين أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٢ (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، مادة (قصص).

(٣١) محمد التونجي، **المعجم المفصل في الأدب** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ج ٢، ص ٧٠٦ ـ ٧٠٧.

فتتعطش النفوس إلى استقبالها، وتتوجه الآذان إلى سماعها، ثم تأخذ منها التجربة والمعرفة، والعبرة والعظة.

وقد استخدم القرآن القصة للعظة والعبرة، وتسليةً للنبي (ﷺ)، كما أمر الله نبيه في كتابه «أن يقصّ على قومه القصص؛ ليكون لهم فيها عبرة وموعظة، وليتخذوا منها منطلقاً إلى التفكير السليم القويم الذي يهديهم إلى الحق حيث قال ـ علت كلمته ـ ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]»(٣٢).

واستخدم الرسول (ﷺ) القصة في دعوته لتبليغ رسالته، ودعوة الناس إلى نور الإسلام.

وقد وردت القصة في القرآن الكريم بمشاهد متكاملة متتابعة كما هي في قصة يوسف (عليه السلام) في سورة يوسف، أو مشاهد جزئية يكمّل بعضها البعض كما هي في قصة موسى(عليه السلام) في مواضع متعددة من القرآن الكريم، فكانت بذلك طريقة من طرائق الاتصال اللغوي مع متلقيه.

وقد جاء القصص القرآني متنوعاً بتنوع الموضوعات؛ فطرح قضية العقيدة والتوحيد، وأشار بعناية إلى العبادات والمعاملات، وناقش بوضوح الجوانب النفسية والاجتماعية والاقتصادية، واهتمّ بالتربية والتعليم. كل ذلك كان من خلال عرض مشوّق لقصص الأنبياء والرسل مع أقوامهم، وقصص أصحاب الجنة وأصحاب النار، وقصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وغيرها من القصص القرآني ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

إن مدار أحاديث الناس في المجالس والمنتديات يغلب عليه طابع القصة، فتجد الحوار القائم بين الأطراف غالباً ما يدور حول قصص، أو يكون متضمناً لبعض القصص التي تمر على المتحدث أو ينقلها عن غيره، بهدف التسلية أو العظة والعبرة ونقل التجربة.

---

(٣٢) عبد الرحمن رأفت الباشا، **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**، ط ٤ (القاهرة: دار الأدب الإسلامي، ١٩٩٨م)، ص ٢١٧.

٢ ـ ضرب المثل

المثل في اللغة: يقول ابن منظور: «المَثَل: الشيء الذي يُضرَب لشيء مثلاً فيجعل مِثْلَه... ومَثَلُ الشيء أَيضاً صفته... ويقال: تمثَّل فلانٌ ضرب مَثَلاً، وتَمَثَّلَ بالشيء ضربه مَثَلاً»(٣٣)، و«المثل مأخوذ من المثال، وهو: قول سائر يُشَبَّه به حال الثاني بالأول»(٣٤).

ويُعرَّف اصطلاحاً: بأنه «جملة وجيزة ذات مفهوم عميق، تدلّ على نتيجة إثر تجربة واقعية»(٣٥).

وقد بيّن ابن عبد ربه أهمية المثل فقال عنه: «هو وشي الكلام، وجوهر اللفظ، وحَلْيُ المعاني، والتي تخيّرتها العرب، وقدَّستها العجم، ونُطِق بها في كل زمان، وعلى كل لسان؛ فهي أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسِرْ شيءٌ مسيرها، ولا عمّ عمومها»(٣٦).

وقد استخدمه القرآن الكريم ضمن طرائق الاتصال اللغوي، لتبسيط معنى أو إيصال تجربة بهدف التفكّر والتذكّر والتعقل «لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني»(٣٧)؛ فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١] يقول ابن عاشور: «أراد منها أن يتفكروا فإن لم يتفكروا بها فقد سُجّل عليهم عنادُهم ومكابرتهم،

---

(٣٣) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، [د. ت.])، مادة (مثل).

(٣٤) أحمد بن محمد الميداني، **مجمع الأمثال**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٣ (دمشق: دار الفكر، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، ج ١، ص ٥.

(٣٥) التونجي، **المعجم المفصل في الأدب**، ج ٢، ص ٧٥٧.

(٣٦) أحمد بن محمد بن عبد ربه، **العقد الفريد** (بيروت: دار الكتاب العربي، [د. ت.])، ج ٣، ص ٦٦.

(٣٧) عبد الله بن أحمد النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (بيروت: دار القلم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ج ٢، ص ٨٢٦.

فالإشارة بتلك إلى مجموع ما مرّ على أسماعهم من الأمثال الكثيرة»[٣٨].

٣ ـ الحوار

الحوار في اللغة: من (الحوْر) وهو: «الرجوع عن الشيء وإلى شيء، حارَ إلى الشيء وعنه حَوْراً... رجع عنه وإليه... والمُحَاوَرَة: المجاوبة. والتَّحاوُر: التجاوب»[٣٩]. و«تَحاوَرُوا: تَراجَعُوا الكلامَ بينهمْ»[٤٠].

وفي الاصطلاح: «أن يتناول الحديثَ طرفان أو أكثر، عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول أمر معين، وقد يصلان إلى نتيجة، وقد لا يقنع أحدهما الآخر، ولكن السامع يأخذ العبرة ويُكوِّن لنفسه موقفاً»[٤١].

والحوار بمفهومه الشامل يعدّ «من العوامل المهمة التي تساعد على وضوح التفكير وسلامته، وعلى التخلص من الأخطاء والعوائق التي تحول دون الوصول إلى الحقيقة»[٤٢]، لذلك احتفى به القرآن الكريم وقدّم لنا العديد من النماذج الرائعة للحوار الناجح.

لقد كان الحوار في القرآن الكريم طريقة من طرائق الاتصال اللغوي بين جميع أطرافه، فدار الحوار بين الله تعالى وملائكته، وبين الأنبياء وأقوامهم، وبين الابن وأبيه، وبين النملة وقومها، في أسلوب حواري فريد، يقوم على التوضيح والبيان في الكلمة، ومعرفة الطرف الآخر، واستجلاب الحجج والبراهين المقنعة.

ومن تلك النماذج ما يأتي:

- حوار الله عز وجل مع ملائكته بشأن خلق آدم (عليه السلام)[٤٣].

---

(٣٨) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ٢٨، ص ١١٧.

(٣٩) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حور).

(٤٠) مجد الدين محمد الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ط ٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، مادة (حور).

(٤١) عبد الرحمن النحلاوي، **أصول التربية الإسلامية وأساليبها** (دمشق: دار الفكر، [د. ت.])، ص ٢٠٦.

(٤٢) مصطفى محمد المشهداني، **الحوار ودوره في الدعوة والتربية والثقافة** (الدوحة: دار الثقافة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٢٢.

(٤٣) سورة البقرة: الآية ٣٠.

● حوار إبراهيم (عليه السلام) مع قومه(٤٤) وحواره مع أبيه(٤٥).

● حوار نوح (عليه السلام) مع ابنه(٤٦).

● حوار صاحب الجنتين لصاحبه(٤٧).

تأمل مثلاً هذا الحوار في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ويدخل في دائرة الحوار ما يأتي:

أ ـ المناظرة

والمناظرة في اللغة: «من النظير أو من النظر بالبصر»(٤٨) وهي «أن تُناظِر أخاك في أمر إذا نَظَرْتُما فيه معاً كيف تأْتيانه»(٤٩).

واصطلاحاً: «حوار ومناقشة، أو محاضرة يشترك فيها اثنان أو أكثر، بحيث يتبنى كلّ واحد رأياً مخالفاً يحاول أن يعرضه مع براهينه تأييداً لرأيه، ودحضاً لرأي خصمه»(٥٠).

وقد جاءت المناظرة في القرآن الكريم، وكانت ضمن طرائق الاتصال اللغوي، ومن ذلك ما دار بين موسى (عليه السلام) وفرعون، قال تعالى عن فرعون: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ (٥٣)﴾ [طه: ٤٩ ـ ٥٣]. وقد ذكر الرازي «أن فرعون كان شديد القوة عظيم

---

(٤٤) سورة الشعراء: الآيات ٦٩ ـ ٨٢.

(٤٥) سورة مريم: الآيات ٤١ ـ ٤٨.

(٤٦) سورة هود: الآيتان ٤٢ ـ ٤٣.

(٤٧) سورة الكهف: الآيات ٣٧ ـ ٤١.

(٤٨) محمد عبد الرؤوف المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق محمد رضوان الداية (بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص ٦٧٨.

(٤٩) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نظر).

(٥٠) التونجي، **المعجم المفصل في الأدب**، ج ٢، ص ٨٢٨.

الغلبة كثير العسكر، ثم إن موسى (عليه السلام) لما دعاه إلى الله تعالى لم يشتغل معه بالبطش والإيذاء، بل خرج معه في المناظرة لما أنه لو شرع أولاً في الإيذاء لنسب إلى الجهل والسفاهة، فاستنكف من ذلك وشرع أولاً في المناظرة، وذلك يدل على أن السفاهة من غير الحجة شيء ما كان يرتضيه فرعون مع كمال جهله وكفره»[51] وهكذا تستمر المناظرة في حوار عقلي حتى نهايتها.

ب ـ المجادلة

المجادلة في اللغة: مِنْ «جادَلَه أي خاصمه مُجادلة وجِدالاً، والاسم الجَدَل، وهو شدَّة الخصومة»[52] والجدال «مقابلة الحجة بالحجة»[53].

واصطلاحاً: هو «دفع المرء خصمه عن إفساد قوله: بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة»[54].

قال الله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الأنفال: ٦].

ويظهر من خلال الآيات التي ورد فيها الجدل والمجادلة في القرآن الكريم أنها لا تكون إلا في سياق الذم[55] ـ إلا في ثلاثة مواضع[56] ـ وذلك للتنفير منها، يقول المشهداني: «وقد نفّر الإسلام من الجدال، حقاً كان أم باطلاً، حيث يكون الانتصار عنده أهم من إظهار الحق، وتقوى الطباع السيئة من عناد وأثرة ولجاجة بالباطل وهي مما تهبط بالنفس التي أراد

---

(٥١) فخر الدين محمد بن عمر الرازي، **التفسير الكبير**، ط ٤ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج ٢٢، ص ٥٦.

(٥٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (جدل).

(٥٣) المصدر نفسه.

(٥٤) علي بن محمد الجرجاني، **التعريفات** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)، ص ٧٤.

(٥٥) انظر على سبيل المثال: سورة الأنعام: الآيتان ٢٥ و١٢١، سورة الأنفال: الآية ٦، سورة الرعد: الآية ١٣، سورة الكهف: الآية ٥٩، سورة الحج: الآيتان ٣ و٨، وسورة غافر: الآيات ٤، ٣٥، ٥٦، ٦٩.

(٥٦) زمزمي، **الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، ص ٢٤. وقد ذكر أن لفظ الجدل ورد في **القرآن الكريم** ٢٩ مرة، كلها في سياق الذم إلا في ثلاثة مواضع هي: [النحل: ١٢٥]، [العنكبوت: ٤٦]، و[المجادلة: ٤]، أما في بقية المواضع فإما أن تكون في سياق عدم الرضا عن الجدل، أو عدم جدواه، أو افتقاده شرطاً أساسياً كطلب الحق.

الإسلام لها السمو والترفع وحب الحق والدفاع عنه والوقوف عنده»[٥٧].

ومع أن القرآن الكريم قد نهى عن الجدال ونفّر منه، إلا أنه ضبطه بضابط الإحسان عند الحاجة إليه، فقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ فإذا كانت المجادلة منضبطة بالتي هي أحسن فإنها مجادلة مقبولة، لأنها تحقق الهدف منها وهو إظهار الحق، لا الانتصار للنفس.

ج ـ المحاجّة

المحاجّة في اللغة: تقول: «حاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجاً نازعه الحُجَّةَ، وحَجَّه يَحُجُّه حَجّاً غلبه على حُجَّتِه... واحْتَجَّ بالشيءِ اتخذه حُجَّة.. . والتحاجُّ: التخاصُم»[٥٨].

واصطلاحاً: يقول المناوي: «المحاجة تثبيت القصد والرأي لما يصححه»[٥٩].

والمحاجّة هي حوار بين طرفين أو أكثر فيه تخاصم وجدال، أو إيراد برهان يحتج به طرف على طرف، ومنه قوله تعالى: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٦].

والمحاجّة تطلق على «التخاصم والجدال وهي عندئذ مذمومة، وتطلق الحجة على البرهان والدليل وما يُرَدُّ به على الخصم، فإن كانت حقاً وصحيحة فهي ممدوحة مطلوبة كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنعام: ٨٣] وإن كانت بالباطل فهي مذمومة كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ [الشورى: ١٦]. مع أن الغالب في إطلاق المحاجّة الذم وذلك بالنظر إلى المقصد وهو دفع الخصم بغض النظر عن الحق»[٦٠].

---

(٥٧) المشهداني، **الحوار ودوره في الدعوة والتربية والثقافة**، ص ٩.

(٥٨) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حجج).

(٥٩) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص ٦٤٠.

(٦٠) زمزمي، **الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، ص ٢٩.

د ـ السؤال والجواب

السؤال في اللغة: تقول: «سَأَلْته عن الشيء سُؤالاً ومَسْألة... استخبرته»[٦١].

وفي الاصطلاح: قال الراغب: «السؤال استدعاء معرفة أو ما يؤدّي إلى معرفة»[٦٢].

والجواب في اللغة: «رَجْعُ الكلام، تقول: أَجابَه عن سُؤَاله، وقد أَجابه إجابة»[٦٣].

وفي الاصطلاح: هو ما يصل «من فم القائل إلى سمع المستمع، لكن خصّ بما يعود من الكلام دون المبتدأ من الخطاب والجواب يقال في مقابلة السؤال»[٦٤].

وغالباً ما يبدأ أي حوار بين طرفين أو أكثر بالسؤال من أحدهما والجواب من الآخر، وتعدّ هذه الطريقة «ظاهرة اجتماعية [يستعملها] الإنسان، لتحقيق أهداف مختلفة، تسعى في مجملها إلى تحصيل المعارف والخبرات، التي تسهم في بناء جسور الاتصال والتفاهم والتعارف والمودة بين الناس»[٦٥].

والسؤال والجواب في الحوار القرآني كثير جداً، وإليك واحداً من هذه النماذج:

قال تعالى عن موسى والخضر عليهما السلام: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا

---

(٦١) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سأل).

(٦٢) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص ٤١٧.

(٦٣) ابن منظور، المصدر نفسه، مادة (جوب).

(٦٤) المناوي، المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

(٦٥) نزيه سعيد باعيسى، «مهارات الاتصال اللغوي لمدير المدرسة ودورها في تفعيل عملية الاتصال مع المعلمين داخل المدرسة،» (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢)، ص ٥٣.

تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾ [الكهف: ٦٥ ـ ٧٢] وهكذا يستمر السؤال والجواب في حوار اتصالي لغوي حتى نهاية القصة.

٤ ـ الوعظ

والوعظ في اللغة: النُّصْح والتذْكير بالعَواقِب [٦٦]. واصطلاحاً: هو «التذكير بالخير في ما يرقّ له القلب»[٦٧].

وقد ورد الخطاب الوعظي في القرآن الكريم على لسان الأنبياء والصالحين في دعوتهم لأقوامهم، وكانت طريقة من طرائق الاتصال اللغوي بينهم، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٣].

وبعد؛ فإن التنوع في طرائق الاتصال اللغوي في القرآن الكريم بين القصة وضرب المثل والحوار والوعظ، يمدّ المتلقي بثراء اتصالي لغوي خصب، يتيح له الانتقاء المناسب للطريقة الأنسب، فيستخدم كل لون في ميدانه، ويسلك لكل قلب طريقاً.

رابعاً: مقومات الاتصال اللغوي كما وردت في القرآن الكريم

يمكننا أن نصف عملية الاتصال اللغوي بأنها ناجحة، إذا تحققت فيها بعض المقومات المهمة، التي تعتمد بالدرجة الأولى على قدرات المرسل أو المستقبل في اكتساب هذه المقومات والتعامل معها.

وبالتأمل في القرآن الكريم ـ ومن خلال تتبع آياته ـ يمكننا أن نذكر أهم مقومات الاتصال اللغوي، وهي على النحو الآتي:

---

(٦٦) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وعظ).

(٦٧) الجرجاني، **التعريفات**، ص ٢٥٣.

١ ـ العلم والخبرة السابقة

العلم في اللغة: يقول ابن منظور: «العِلْمُ نقيضُ الجهل... وتقول: عَلِمَ وفَقِهَ أي تَعَلَّم وتَفَقَّه... وعَلِمَ الأمرَ وتَعَلَّمَه أَتقنه»(٦٨).

واصطلاحاً: «هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع... وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به»(٦٩).

والخبرة في اللغة: تقول خبرت الأمر «أَي علمته، وخَبَرْتُ الأَمرَ أَخْبُرُهُ إذا عرفته على حقيقته»(٧٠).

واصطلاحاً: هي «المعرفة ببواطن الأمور»(٧١).

وليس من المعقول أن يتحقق النجاح لعملية الاتصال اللغوي من دون الغلم، فالعلم من أهم مقوماته، وهو أن يكون لدى المرسل أو المستقبل علم ومعرفة بالموضوع الذي تدور حوله عملية الاتصال.

وليس المقصود من العلم والمعرفة هنا الإحاطة بجل المعارف والعلوم، ولكن القصد هو أن يكون لدى أطراف الاتصال اللغوي الحد الأدنى من العلم والمعرفة التي يقوم ويقوى معها اتصالهم؛ فالمعرفة بالموضوع الذي يدور حوله الاتصال اللغوي، وفهم مداخله، والقدرة على الخوض فيه وطرحه يمكّن ـ بلا شك ـ الوصول إلى اتصال لغوي ناجح ومؤثر.

وهذا ما يدعو إليه القرآن الكريم في كثير من آياته. فالدعوة إلي الله، أو النصح والإرشاد، أو التوجيه؛ نجد أن القرآن الكريم يؤكد أهمية وجود العلم والمعرفة لدى أطراف الاتصال اللغوي فيها.

فالدعوة إلى الله والنصح والتوجيه تقوم على العلم والمعرفة، وأي اتصال لغوي يكون بين طرفين أو أكثر يقوم على العلم أولاً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]؛ فطلب منهم

(٦٨) ابن منظور، المصدر نفسه، مادة (علم).
(٦٩) الجرجاني، المصدر نفسه، ص ١٥٥.
(٧٠) ابن منظور، المصدر نفسه، مادة (خبر).
(٧١) الجرجاني، المصدر نفسه، ص ٩٧.

التفقه في الدين قبل إنذارهم لقومهم، فكان العلم والمعرفة مطلباً قبل الاتصال اللغوي لغرض الإنذار والدعوة.

وإبراهيم (عليه السلام) لم يدع أباه إلا بعد أن جاءه من العلم ما يعضد قوله ويقوي حجته، فكان العلم قبل الاتصال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣] يقول ابن عاشور: «وأراد إبراهيم علم الوحي والنبوءة... وتفريع أمره بأن يتبعه على الإخبار بما عنده من العلم دليل على أن أحقية العالِم بأن يُتبع مركوزة في غريزة العقول لم يزل البشر يتقصّون مظانّ المعرفة والعلم لجلب ما ينفع واتقاءِ ما يضر»[٧٢] قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧].

وفي المقابل يحذِّر الله تعالى من الخوض في أي موضوع بغير علم، ويبيّن عظم المسؤولية، فيقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] يقول الطبري: «ولا تقُلْ ما ليس لك به علمٌ»[٧٣].

وتظهر أهمية الخبرة السابقة لدى المتلقي في قصة موسى (عليه السلام) مع الخضر (عليه السلام) عندما قال له الخضر (عليه السلام): ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨] أي: «وكيف تَصْبِر يا موسى على ما ترى مني من الأفعال التي لا علم لك بوجوهِ صوابِها، وتُقِيمُ معي عليها، وأنت إنما تحكم على صوابِ المصُيبِ وخطأ المخطئ بالظاهر الذي عندك، وبِمَبْلغ علمِك، وأفعالي تقعُ بغيرِ دليلٍ ظاهرٍ لرأي عينِك على صوابها؛ لأنَّها تُبتَدأُ لأسبابٍ تحدُثُ آجلةً غيرَ عاجلةٍ، لا علم لك بالحادثِ عنها»[٧٤]؛ فمن الصعوبة بمكان الصبر من دون علم، وذلك ما كان يهدّد انقطاع عملية الاتصال اللغوي بينهما عليهما السلام.

٢ ـ الوضوح والبيان والتفصيل في الرسالة

الوضوح في اللغة: «وَضَحَ الشيءُ يَضحُ وُضُوحاً... واتَّضَحَ أَي بان»[٧٥]، وهو بيان اللفظ وتأديته للمعنى المناسب له بعيداً عن الغموض.

(٧٢) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ١٦، ص ١١٥ ـ ١١٦.
(٧٣) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٤، ص ٥٩٣.
(٧٤) المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٣٣٤.
(٧٥) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وضح).

والبيان في اللغة: «الفصاحةُ واللَّسَنُ... وفلان أَبْيَنُ من فلانٍ، أي أفصح منه وأوضح كلاماً. والبَيانُ: ما يَتَبَيَّنُ به الشيءُ من الدَّلالة وغيرها»(٧٦).

وفي الاصطلاح: «عبارة عن إظهار المتكلِّم المراد للسامع»(٧٧).

والتفصيل في اللغة: يقول ابن منظور: «التفصيل التبيين»(٧٨).

وفي الاصطلاح: هو «البيان عن كل قسم بما يزيد على ذكره فقط»(٧٩).

إن وضوح الرسالة وبيانها وتفصيل محتوياتها مقوّم من مقومات الاتصال اللغوي، فإذا كان المرسل حريصاً على أن تكون رسالته واضحة، ومدركاً لأهمية البيان والتفصيل ساعد ذلك على إيجاد استجابة ناجحة من قبل المتلقي.

والرسالة الواضحة البيّنة المفصّلة هي التي تقوم على العبارة السهلة السلسة، المفهومة من الجميع، الموجزة من غير إخلال «ولا شك أن حوارات الكتاب والسنة وما فيهما من أجوبة وردود وأدلة وشواهد، قد تميزت بالوضوح والبيان من حيث الالتزام باللغة الفصحى الواضحة، وجمال العرض ومناسبة الألفاظ للمعاني، والسلامة من التطويل الممل والاختصار المخل، والتنزه عما لا فائدة فيه ولا طائل من ورائه، وكل ذلك مسلّم به واضح بيّن لا يحتاج إلى استدلال»(٨٠).

يقول الجاحظ: «وقال اللّه تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]؛ لأنَّ مدار الأمر على البيان والتبيُّن وعلى الإفهام والتَّفهُّم، وكلّما كان اللّسانُ أبْيَنَ كان أحمدَ، كما إنّه كلما كان القلبُ أشدّ استبانة كان أحمد، والمفهِمُ لك والمتفهِّم عنك شريكان في الفضل، إلّا أنّ المفهِم أفضل من المتفهِّم وكذلك المعلِّم والمتعلِّم»(٨١).

---

(٧٦) إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠)، مادة (بين).

(٧٧) الجرجاني، **التعريفات**، ص ٤٧.

(٧٨) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (فصل).

(٧٩) الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، **الفروق في اللغة**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط ٤ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ٤٩.

(٨٠) زمزمي، **الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، ص ٣٢٦.

(٨١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٧ (القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج ١، ص ١١.

وقد أكّد القرآن الكريم أهمية التبيين والإيضاح في إنجاح عملية الاتصال اللغوي، وأنه مدعاة لإعمال العقل وفهم الرسالة، فقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًاۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٦] «(قد فصلنا الأيٰت) أي: [قد] وضّحناها وبيّناها وفسّرناها، (لقوم يذّكرون) أي: لمن له فهم ووعي يعقل عن الله ورسوله»(٨٢).

٣ ـ الإقناع

الإقناع في اللغة: من (قنع) تقول: «قَنِعَ بنفسه قَنَعاً وقَناعةً رَضِيَ... [و] الإقْناعُ رفع الرأس والنظر في ذُلٍّ وخُشُوعٍ»(٨٣).

واصطلاحاً: يُعَرَّف بأنه «استخدام الكلمة المنطوقة والمكتوبة والإشارات ولغة الجسم والحجة والمنطق للتأثير على اعتقادات وسلوك المستقبلين»(٨٤).

تدور حلقة الاتصال اللغوي حول الإقناع، فكل طرف من أطرافه لديه فكرته وتصوره الذي يريد إقناع الآخرين به، حتى في الأمور اليسيرة التي يتشارك فيها أكثر من طرف في مناقشة أو محادثة، تجدهم جميعاً يحرصون على إقناع بعضهم البعض بأفكارهم المنبعثة من خبراتهم الشخصية.

ويعدّ الإقناع من مقومات الاتصال اللغوي المهمة، ويتطلب من أطراف الاتصال إيراد الحجج والبراهين لإقناع الآخرين بأفكارهم، أو طلب البراهين ممن هو غير مقتنع حتى يأتي بالحق، أو يقنعك بما لديه إن كان محقاً، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] أي: «قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فحكموا لأنفسهم بالجنة وحدهم، وهذه مجرد أمانٍ غير مقبولة إلا بحجة وبرهان، فأتوا بها إن كنتم صادقين، وهكذا كل من ادعى دعوى، لا بد أن يُقِيمَ البرهان على صحة دعواه، وإلا فلو قلبت

---

(٨٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٢، ص ١٨٢.

(٨٣) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قنع).

(٨٤) إبراهيم أبو عرقوب، **الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي** (عمّان: دار مجدلاوي، ١٩٩٣)، ص٢٦٣.

عليه دعواه، وادعى مُدَّع عكسَ ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان، علم كذبهم بتلك الدعوى»[^٨٥]. فلما لم يكن لديهم دليل أو برهان يعضّد قولهم سقطت دعواهم.

٤ ـ الهدوء النفسي

إن الاتصال اللغوي مع الآخرين يتطلب من أفراده نفسية مطمئنة متزنة، قادرة على ضبط انفعالاتها وتقييد تفاعلاتها، متحلية بهدوء نفسي «ذلك الهدوء الناجم عن قوة وإرادة، والذي يصحبه ترتيب للأفكار وحسن استماع للخصم، وفهم واستيعاب لكلامه، وتمييز بين ما يمكن إقراره وما يجب رده، ومراقبته لتصرفات الطرف الآخر، وليس الهدوء الصادر عن خمول وخور، وضعف وسوء فهم أو لامبالاة»[^٨٦].

إن الاتصال اللغوي الناجح يتطلب الهدوء النفسي وانشراح الصدر والبعد عن الاضطراب، وهذا ما طلبه موسى (عليه السلام) من ربه في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨] فلما أمره الله تبارك وتعالى «بالذهاب إلى فرعون الطاغي لعنه الله عرف أنه كلف أمراً عظيماً وخطباً جسيماً يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط وصدر فسيح، فاستوهب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه، ويجعله حليماً حمولاً يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات، وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه»[^٨٧].

إن التحلّي بالارتياح النفسي والطمأنينة الراسخة ينعكس بصورة مباشرة على الرسالة، فوضوحها والقدرة على فهمها وفكّ رموزها والتفاعل معها، كل ذلك يتأثر بالحالة النفسية لأطراف الاتصال اللغوي.

---

[^٨٥]: (٨٥) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان** (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ص ٦٢ ـ ٦٣.

[^٨٦]: (٨٦) زمزمي، **الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، ص ٢٥٩.

[^٨٧]: (٨٧) جار الله محمود الزمخشري، **تفسير الكشاف** (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ٦٥٤.

٥ ـ التوافق اللغوي والثقافي بين المرسل والمستقبل

التوافق في اللغة: من (وفق) و«وَفْقُ الشيء ما لاءمه... وتقول هذا وَفْقُ هذا»(٨٨).

وأقصد به أن تكون لغة المرسل ولغة المستقبل واحدة، فعندما تتناسب لغة المرسل مع لغة المستقبل فإن ذلك مؤذنٌ ببدء عملية اتصال لغوي ناجحة، ليس هذا فحسب، بل إن التناسب بين ثقافة المرسل وثقافة المستقبل هو مقوّم أيضاً من مقومات الاتصال اللغوي، وتقترب المسافة بينهما وتبتعد وفق التوافق اللغوي والخلفية الثقافية لكلٍ.

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤]. يقول الزمخشري شارحاً ذلك:

«(إلا بلسان قومه ليبين لهم) أي ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه، فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به»(٨٩)؛ فكان التوافق اللغوي بين الرسول (ﷺ) وقومه سبيل فهمهم لما يقول، فمنهم من يؤمن به استجابة للدعوة، ومنهم من يكفر فلا يكون لهم حجة بعد الرسل.

٦ ـ الإيمان بالفكرة

كلما كان هناك إيمان بالفكرة أو الموضوع المرغوب أو الرسالة الاتصالية بين أطراف الاتصال كان ذلك سبباً في وجود اتصال لغوي ناجح. وإلا كيف يمكنك أن تتواصل مع الآخرين وتؤثّر فيهم وأنت لا تؤمن بفكرتك التي تروّج لها؟!

فمن مقومات الاتصال اللغوي الإيمان بالقضية التي يدعو إليها الإنسان، والإخلاص في الدعوة إليها؛ وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النمل: ٨٠ ـ ٨١]. يقول البغوي: «(إلا من يؤمن بئايٰتنا) إلا من يصدّق بالقرآن أنه من الله، (فهم مسلمون)

---

(٨٨) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وفق).

(٨٩) الزمخشري، المصدر نفسه، ص ٥٤٤.

مخلصون»[٩٠] فالتصديق والإخلاص إيمان قادهم إلى الاستجابة لهذه الدعوة.

٧ ـ الصدق والأمانة في نقل الرسالة

الصدق في اللغة: يقول ابن فارس: «الصاد والدال والقاف أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره. من ذلك الصدق: خلاف الكذب، سمّي لقوته في نفسه، ولأن الكذب لا قوة له، هو باطل، وأصل هذا من قولهم شيء صدق، أي صلب. ورمح صدق»[٩١].

واصطلاحاً: هو «حصول الشيء وتمامه، وكمال قوته، واجتماع أجزائه، كما يقال: عزيمة صادقة. إذا كانت قوية تامة، وكذلك محبة صادقة وإرادة صادقة. . . ومن هذا أيضاً: صدق الخبر، لأنه وجود المخبر بتمام حقيقته في ذهن السامع»[٩٢].

والأمانة في اللغة: ضدّ الخيانة، ويقال: الأَمانَة والأَمَنَةُ[٩٣].

واصطلاحاً: هي «خلق ثابت في النفس يعفُّ به الإنسان عما ليس له به حق، وإن تهيّأت له ظروف العدوان عليه من دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس، ويؤدي به ما عليه أو لديه من حق لغيره، وإن استطاع أن يهضمه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس»[٩٤].

إن نقل الرسالة كما هي من دون زيادة أو نقصان، تسهم في إقامة اتصال لغوي ناجح، حيث إن ذلك يمنح المرسل أو المستقبل الثقة، فإذا توشّحت تلك الرسالة بصفاء الصدق ونقاء الأمانة تحقّقت أهدافها، وكانت مقبولة من جميع أطراف الاتصال اللغوي. وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا

---

(٩٠) أبو محمد الحسين البغوي، **معالم التنزيل**، ط ٣ (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج ٦، ص ١٧٦.

(٩١) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة (صدق).

(٩٢) محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين)**، تحقيق أحمد الرفاعي وفارس الحرستاني (بيروت: دار الجيل، [د. ت.])، ج ٢، ص ٣١٤.

(٩٣) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة (أمن).

(٩٤) صالح بن حميد [وآخرون]، **موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم** (ﷺ) (جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ج ٣، ص ٥٠٩.

مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥] وقد ذكر ابن كثير احتجاج الرسول (ﷺ) بصدقه وأمانته عندما طلب منه كفار قريش تبديل القرآن الكريم فقال: «يخبر تعالى عن تعنّت الكفار من مشركي قريش الجاحدين الحقّ المعرضين عنه، أنهم إذا قَرَأ عليهم الرسول (ﷺ) كتاب الله وحُجَجه الواضحة قالوا له: (ائت بقرءان غير هٰذا) أي: رد هذا وجئنا بغيره من نمط آخر، أو بَدّله إلى وضع آخر، قال الله لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه: ﴿مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآىِٕ نَفْسِىٓ﴾ [يونس: ١٥] أي: ليس هذا إليَّ، إنما أنا عبد مأمور، ورسول مبلغ عن الله، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ثم قال محتجاً عليهم في صحة ما جاءهم به: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ [يونس: ١٦] أي: هذا إنما جئتكم به عن إذن الله لي في ذلك ومشيئته وإرادته، والدليل على أني لست أتقوله من عندي ولا افتريته أنكم عاجزون عن معارضته، وأنكم تعلمون صدقي وأمانتي منذ نشأت بينكم إلى حين بعثني الله عز وجل»(٩٥).

إن التأكيد على أهمية الصدق والأمانة في نقل الرسالة، كان ديدنَ الأنبياء والرسل في خطابهم لأقوامهم، يقول زمزمي: «ولما كان أمر الصدق والأمانة من الأهمية بمكان، حرص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على إبراز هذا الجانب قبل محاورة أقوامهم، فهذا هود (عليه السلام) يلخص مهمته ودوره في كلمات معدودة: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨] بل هؤلاء الأنبياء من نوح إلى هود إلى صالح إلى لوط إلى شعيب كل منهم يقول ويعلن بهذه الكلمات ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧] - كما في سورة الشعراء، قبل الدخول في أي نقاش أو حوار»(٩٦).

وقد أكدّ القرآن الكريم فضيلة الصدق، فأشار إلى صدقه تعالى وإلى صدق أنبيائه وكتبه والمؤمنين، وبيّن جزاء الصادقين وعظيم أجرهم، كل ذلك حتى يتحرّى المسلم الصدق في نيته وقوله وعمله، فتكون كل رسالة يبعثها رسالة صادقة مؤثرة.

ومسؤولية الإنسان عما ينقله أو يقوله تحتّم عليه الالتزام بالصدق والأمانة

---

(٩٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٢، ص ٤٢٤.

(٩٦) زمزمي، **الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**، ص ٣٣٧.

في كل كلمة يقولها أو حادثة يرويها، ما ينعكس إيجاباً على قدرته اللغوية في الاتصال بالآخرين، يقول سيد قطب: «إن التثبُّتَ من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم، ومنهج الإسلام الدقيق. . . والأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف من الأمانة العقلية القلبية التي يعلن القرآن تبعتها الكبرى، ويجعل الإنسان مسؤولاً عن سمعه وبصره وفؤاده، أمام واهب السمع والبصر والفؤاد. . .

إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب. أمانة يُسأل عنها صاحبها، وتسأل عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعاً. أمانة يرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة، وكلما روى الإنسان رواية»[٩٧].

٨ ـ التدرُّج في نقل المعلومة

التدرج في اللغة: من (درج)، يقول ابن منظور: «دَرَجُ البناءِ. . . مَراتِبُ بعضها فوق بعض. . . ويقال دَرَّجْتُ العليل تَدْريجاً إذا أَطعمته شيئاً قليلاً»[٩٨].

واصطلاحاً: هو «الإتيان بالشيء قليلاً قليلاً»[٩٩].

إن تنظيم أفكارك، وترتيبها ومن ثم إخراجها للمتلقي في رسائل قصيرة، متدرجة، تنقل إليه معلومة أو فكرة أو مسألة، كل ذلك يسهم في نجاح عملية الاتصال اللغوي، بخلاف ذكر المعلومات دفعة واحدة من دون تريث أو تنسيق أو تدرّج؛ فإن ذلك يزعج المتلقي، ويجعل الأمور مختلطة في ذهنه، فتضعف قدرته على الاستيعاب، ما ينتج منه الضعف في التغذية الراجعة، وهذا المؤشر يؤدي إلى ضعف في الاتصال اللغوي.

وقد بيّن لنا الله تبارك وتعالى أهمية مراعاة التدرُّج مع المتلقي، فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]. يقول الزمخشري في بيان الحكمة من إنزال القرآن الكريم منجّماً: «والحكمة فيه: أن نقوّي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه؛ لأنّ المتلقن إنما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئاً بعد شيء، وجزأ

---

(٩٧) قطب، **في ظلال القرآن**، ج ٤، ص ٢٢٢٧.

(٩٨) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (درج).

(٩٩) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ١، ص ١٩٣.

عقيب جزء»[١٠٠] وكذلك المتلقي لحديثك كلما كان الاتصال اللغوي معه مبنياً على التدرج في الإرسال كان ذلك أجدى لوضوح الرسالة وبيان أفكارها وسهولة استيعاب معانيها.

ولعل المتأمل في دعوة الأنبياء إلى أقوامهم يرى أن مبدأ التدرج كان طريقتهم، فكانت البداية دعوتهم إلى توحيد الله تعالى، ثم يأتي الحديث بعد الدعوة إلى التوحيد متنقلاً من فكرة إلى أخرى حتى تصل المعلومة كاملة واضحة بيّنة إليهم، تأمل هذا الاتصال اللغوي بين إبراهيم (عليه السلام) وقومه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾ [العنكبوت: ١٦-١٨] يقول ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: إن إبراهيم (عليه السلام) «دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والإخلاص له في التقوى، وطلب الرزق منه وحده لا شريك له... ثم [أخبرهم] أن الأصنام التي يعبدونها والأوثان، لا تضر ولا تنفع، وإنما اختلقتم أنتم لها أسماء، سميتموها آلهة، وإنما هي مخلوقة مثلكم... وهي لا تملك لكم رزقاً، (فابتغوا عند الله الرزق) أي: فاطلبوا (عند الله الرزق) أي: لا عند غيره، فإن غيره لا يملك شيئاً، (واعبدوه واشكروا له) أي: كلوا من رزقه واعبدوه وحده، واشكروا له على ما أنعم به عليكم... وقوله: (وإن تكذّبوا فقد كذب أمم من قبلكم)، أي: فبلغكم ما حلّ بهم من العذاب والنكال في مخالفة الرسل (وما على الرسول إلا البلٰغ المبين) يعني: إنما على الرسول أن يبلغكم ما أمره الله تعالى»[١٠١].

إن التدرّج في الاتصال اللغوي يعطي المستقبل فرصة لاستيعاب الرسالة، وفهم محتواها، ومن ثم يساعده ذلك على أداء استجابة صحيحة متوافقة مع مضمون الرسالة، وتهيّئة تلك الاستجابة وتعدّه لاستقبال الخطوة الأخرى.

وبعد؛ فقد أظهر القرآن الكريم من خلال السياق العام للكثير من الآيات بعضاً من ملامح المقومات الأساسية للاتصال اللغوي، والتي تتمثل في علم

(١٠٠) الزمخشري، **تفسير الكشاف**، ص ٧٤٥.

(١٠١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٣، ص ٤١٨ ـ ٤١٩.

المرسل والمستقبل، وخبرتهما السابقة، ووضوح الرسالة وبيانها، والقدرة على الإقناع، والهدوء النفسي، مع الإيمان بالفكرة، والصدق والأمانة في نقل الرسالة، ومراعاة التدرُّج في ذلك.

إن عناصر الاتصال اللغوي الأساسية عندما تمتلك ناصية هذه المقومات فإنها تؤذن باتصال لغوي ناجح يؤدي وظائفه ويحقق أهدافه.

خامساً: معوِّقات الاتصال اللغوي كما نبّه إليها القرآن الكريم

عندما لا يتمكّن المرسل أو المستقبِل من إقامة عملية اتصال لغوي، فإن الاتصال اللغوي يمتنع قبل أدائه، أو ينقطع أثناء أدائه، فإن ذلك نتيجة لبعض العوامل والمتغيرات التي طرأت أو قد تطرأ في البيئة الاتصالية.

ومعوقات الاتصال تتمثل في «كافة المتغيرات التي تمنع أو تعيق عملية تبادل المعلومات أو الأفكار أو المشاعر أو تؤخر إرسالها واستقبالها أو تحرّف أو تشوه معناها، وتؤدي إلى رفضها من قبل الجمهور المستهدف»(١٠٢).

وبالتأمل في القرآن الكريم، ومن خلال تتبع آياته، يمكننا ذكر أهم معوقات الاتصال اللغوي كما ذكرها القرآن الكريم وأشار إليها، وهي على النحو الآتي:

١ ـ الجهل

الجهل في اللغة: «خِلاف العلم. وقد جَهِلَ فلانٌ جَهْلاً وجَهالَةً»(١٠٣).

وفي الاصطلاح: «هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه»(١٠٤) وهو كذلك «التقدم في الأمور المبهمة بغير علم»(١٠٥).

والجهل جهلان: الجهل الذي هو ضد العلم، والجهل الذي هو ضد الحلم، وكلا النوعين يعدُّ من معوقات الاتصال اللغوي، فعندما يكون أحد أطراف

---

(١٠٢) أبو عرقوب، **الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي**، ص١٧١.

(١٠٣) الجوهري، **الصحاح**، مادة (جهل).

(١٠٤) الجرجاني، **التعريفات**، ص ٨٠.

(١٠٥) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص ٢٦٠.

الاتصال اللغوي جاهلاً، فإنه من الصعوبة التعامل معه، أو استمرار التواصل.

وقد شنّع القرآن الكريم على من يحاور أو يجادل أو يكذّب ما سمعه من دون علم لديه، فقال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨] «قال بعض العلماء في قوله في هذه الآية الكريمة (بغير علم) أي بدون علم ضروري، حاصل لهم بما يجادلون به (ولا هدى) أي استدلال، ونظر عقلي، يهتدي به العقل للصواب (ولا كتٰب منير) أي وَحْي نير واضح، يعلم به ما يجادل به، فليس عنده علم ضروري ولا علم مكتسب بالنظر الصحيح العقلي، ولا علم من وَحْي، فهو جاهل محض من جميع الجهات»(١٠٦).

وقد أكدّ الحدري على أن الجهل من أكبر معوقات التفكير العلمي، والتفكير وظيفة من وظائف اللغة وبتعطّله تتعطّل اللغة وينقطع الاتصال، حيث قال: «وما من شكّ أن الجهل ـ على الصفة التي ذمّها القرآن الكريم ـ من أكبر معوقات التفكير العلمي، إذ كيف يبني الجاهل تفكيره من خلال خطوات علمية مدروسة، وهو لا يعلم ماذا يقول، وكيف يناقش قضية لم يعلمها، أو على أقل تقدير لم يحط بها علماً، وهو ما أنكره المولى سبحانه حين قال عن الجاهلين المكذبين بأمر لم يطلعوا عليه، ولم يحيطوا به علماً حين قال سبحانه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]»(١٠٧).

وقد نهى الله تعالى عن المحاجّة بغير علم، وأنكر على أهل الكتاب ذلك، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [آل عمران: ٦٥ ـ ٦٦]؛ فالله تبارك وتعالى لم يصفهم بالعلم حقيقة «وإنما أراد إنكم تستجيزون محاجّته في ما تدعون علمه، فكيف تحاجونه في ما لا علم لكم به البتة؟»(١٠٨)؛ فجهلهم بما

---

(١٠٦) محمد الأمين المختار الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج ٥، ص ٢٦.

(١٠٧) الحدري، **منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية**، ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩.

(١٠٨) الرازي، **التفسير الكبير**، ج ٨، ص ٢٥٤.

في كتبهم السماوية جعل كلّاً من اليهود والنصارى يدّعون انتساب إبراهيم (عليه السلام) إليهم، مع أنه أتى قبل موسى وعيسى عليهما السلام. يقول السعدي: «وقد اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه، وفيها أيضاً حث على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ»(١٠٩).

إن استخدام طرائق الاتصال اللغوي بمختلف أنواعها من الصعوبة أن تؤتي ثمارها مع المتلقي الجاهل؛ لأنه يضع أمام عملية الاتصال اللغوي الكثير من العوائق التي تمنعه من الإفادة من محتويات الرسالة، وتمنع الآخرين من إفادته.

٢ ـ الإعراض

أعرض في اللغة: «مِن أَعْرَضَ عن الشيء إذا ولَّاه ظهره»(١١٠).

والإعراض اصطلاحاً: هو «الإضراب عن الشيء... أي أخذت عرضاً أي جانباً غير الجانب الذي هو فيه»(١١١).

والإعراض مانع للاتصال بجميع أنواعه بما في ذلك الاتصال اللغوي، ألا ترى أن امتناع السماع وهو اتصال لغوي كان نتيجة للإعراض كما جاء في قوله سبحانه: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤﴾ [فصلت: ٣ ـ ٤]؛ فهو كتاب فصّلت آياته ووضّحت بلسان عربي مبين، فيه من البشارة والنذارة «مما يوجب أن يُتَلقَّى بالقبول، والإذعان، والإيمان، والعمل به، ولكن أعرض أكثر الخلق عنه إعراض المستكبرين، (فهم لا يسمعون) له سماع قبول وإجابة، وإن كانوا قد سمعوه سماعاً، تقوم عليهم به الحجة الشرعية»(١١٢).

كما إن الإعراض كان معوِّقاً أيضاً لمجرد الاتصال اللغوي مع المنافقين، فيمتنعون عن الاتصال بالصّدِّ والإعراض، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ

(١٠٩) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، ص ١٣٤.
(١١٠) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (عرض).
(١١١) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص ٧٦.
(١١٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، ص ٧٤٤ ـ ٧٤٥.

﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١] أي: يعرضون عنك إعراضاً.

٣ ـ الاستكبار

ومعناه في اللغة: يقول الجوهري: «التَكَبُّرُ والاسْتِكْبارُ: التَّعظُّم»[١١٣]، ويقول ابن منظور: «الاستكبار الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبّراً»[١١٤].

وفي الاصطلاح: عرّفه الحدري بقوله: «أن يرى الإنسان نفسه أعلى من الحق المؤيَّد بالدليل النقلي أو العقلي فيرفضه عناداً وتنقيصاً واستخفافاً»[١١٥].

إن الامتناع عن قبول الحق ورفضه والتعالي عن سماعه يمثل مُعَوِّقاً حقيقياً للاتصال اللغوي؛ لأن المستكبر «يرى نفسه أكبر من الآخرين، بسبب ما أوتي من ذكاء أو منزلة اجتماعية، أو مكانة علمية، أو مال، أو بنين، أو غير ذلك، فهو يرى نفسه أكبر من الدليل، أو أعظم من أن يستجيب لأحد»[١١٦]؛ فيكون ذلك الاستكبار سبباً في الوقوع في الخطأ والابتعاد عن إدراك الصواب، يقول ابن الجوزي: «إن اقتصار الرجل على علمه إذا مازجه رؤية لنفس حبس من إدراك الصواب نعوذ بالله من ذلك»[١١٧].

لقد ذمّ الله تعالى الاستكبار في مواضع كثيرة من القرآن الكريم لأنه «يعمي البصيرة عن قبول الصواب الذي يعضده الدليل، ويملي على صاحبه قبول الخطأ الذي لا يقوم على دليل شرعي أو عقلي»[١١٨] قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

لقد منع الاستكبار المنافقين عن قبول الحق وعن استغفار الرسول (ﷺ) لهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ

(١١٣) الجوهري، **الصحاح**، مادة (كبر).

(١١٤) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (كبر).

(١١٥) الحدري، **منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية**، ص ٤٢٦.

(١١٦) المصدر نفسه، ص ٤٢٨.

(١١٧) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، **صيد الخاطر**، تحقيق عبد الرحمن البر (المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، ص ١٧٠.

(١١٨) المصدر نفسه، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [المنافقون: ٥]؛ فكان من حال المنافقين أنهم (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) أي: «صَدوا وأعرضوا عما قيل لهم، استكباراً عن ذلك، واحتقاراً لما قيل لهم، ولهذا قال: (ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون)»(١١٩).

لقد كان الاستكبار معطّلاً لجميع أجهزة الاستقبال لدى الإنسان، ومن ذلك ما جاء في حال المشركين المكذبين في قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجاثية: ٨].

وما جاء أيضاً في حال قوم نوح (عليه السلام) عند دعوته لهم، قال الله تعالى عن نبيه: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧]؛ فكان الاستكبار هو المحرك لإغلاق جميع قنوات الاتصال لديهم.

٤ ـ الخلل في إحدى أدوات الاتصال

المقصود بأدوات الاتصال الأعضاء الجسمية التي يستخدمها الإنسان في عملية الاتصال، فيستخدم الأذن للسمع، والعين للبصر، واللسان للنطق، واليد والرأس للإيماء.

وللاتصال مع الآخرين قنوات خارجية، تلتقط الرسائل بأدواتها المختلفة، ثم تنقلها إلى القلب والعقل، ودور هذه القنوات نقل الرسالة المحسوسة الخارجية إلى أجهزة التفسير والفهم وفكّ الرموز.

ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن تعطّل أداة من هذه الأدوات يترتب عليه انقطاع لعملية الاتصال اللغوي، فكيف يستطيع أن يتواصل مع الآخرين من فقد سمعه أو فقد بصره، أو فقد القدرة على استخدام لسانه. . . كما إن ذلك الانقطاع في عملية الاتصال يعقبه انقطاع أيضاً في الوظيفة العقلية له، فلن يكون هناك فهم أو تفسير أو فكّ للرموز بتعطل واحدة من هذه القنوات؛ لذا نجد أن الله تعالى كثيراً ما يربط بين فقد السمع أو طمس القلب وبين العمليات العقلية، يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]. ويقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ

---

(١١٩) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ٣٩٤.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]. وهذه الآيات لا يمكن أن تدرك إلا من خلال الحواس التي هي قنوات الاتصال بشكل عام.

ومن الإشارات القرآنية أيضاً إلى خطورة الخلل في إحدى أدوات الاتصال اللغوي ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]. يقول السعدي: «أي: إذا نبههم اللّه فلم ينتبهوا، وذكرهم فلم يتذكروا، وهداهم بالآيات والعبر فلم يهتدوا، فإن اللّه تعالى يعاقبهم ويطبع على قلوبهم، فيعلوها الران والدنس، حتى يختم عليها، فلا يدخلها حق، ولا يصل إليها خير، ولا يسمعون ما ينفعهم، وإنما يسمعون ما به تقوم الحجة عليهم»[١٢٠]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥].

وتعطُّل تلك الأدوات يورث الغفلة التي تمثل عائقاً للاتصال بشكل عام، قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [النحل: ١٠٨]. ويبيّن السعدي ذلك في تفسيره لهذه الآية حيث يقول: «فلما اختاروا الكفر على الإيمان منعهم الله الهداية فلم يهدهم لأن الكفر وصفهم، فطبع على قلوبهم فلا يدخلها خير، وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فلا ينفذ منها ما ينفعهم ويصل إلى قلوبهم. فشملتهم الغفلة وأحاط بهم الخذلان»[١٢١].

إن الخلل في إحدى آلات الاتصال يعدّ سبباً رئيساً في فشل عملية الاتصال اللغوي سواء أكان ذلك الخلل إعاقة خَلْقيَّة أم خُلُقِيَّة.

٥ ـ التشويش في الكلام

التشويش في اللغة: قال ابن منظور: «أَصله التَّهْوِيش وهو التَخْلِيطُ، وقال الجوهري في ترجمة شيش: التَّشْوِيش التَّخْلِيطُ وقد تَشَوّش عليه الأَمْرُ»[١٢٢].

وهو أن يتحدث المستقبل فيختلط حديثه بحديث المرسل فلا تصل الرسالة واضحة إليه أو إلى غيره من المستقبلين.

---

(١٢٠) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، ص ٢٩٨.

(١٢١) المصدر نفسه، ص ٤٥٠.

(١٢٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (شوش).

والهدف منه قطع عملية الاتصال بين المرسل والمستقبل بالتحدث بصوت مرتفع أو منخفض؛ لإشغال المرسل عن إيضاح رسالته، أو لشغل المستقبل عن تلقي الرسالة أو التأثر بها، وقد يكون التشويش من المستقبل نفسه، أو من عوامل خارجية تؤثّر في العملية الاتصالية، فهاهم أولاء كفار قريش يحضّون بعضهم بعضاً على عدم السماع للقرآن الكريم وعلى التشويش باللغو فيه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] ومعنى (والغوا فيه) أي: «أكثروا الكلام فيختلط عليه ما يقول»[١٢٣] و«أتوا باللغو عند قراءته ليتشوش على القارئ»[١٢٤] فـ «لم يكتف المستقبل (الذين كفروا) بعدم سماع الرسالة (لا تسمعوا لهٰذا القرءان) وإنما تعداه للتأثير على بيئة الاتصال حتى لا تصل واضحة للمستقبلين الجدد (والغوا فيه)»[١٢٥]فكان ذلك التشويش بالكلام مانعاً من نجاح عملية الاتصال اللغوي.

٦ ـ فظاظة اللسان وقسوة القلب

الفظاظة في اللغة: جفافٌ وسوء جانب، يقول الفيروزبادي: «الفَظُّ الغليظُ الجانِبِ، السيئ الخُلُقِ، القاسِي الخَشِنُ الكلامِ»[١٢٦] والقسوة «الصَّلابةُ في كل شيء»[١٢٧].

والفظاظة في اللسان: الغلظة فيه تقول: «رجل فَظٌّ ذو فَظاظةٍ جافٍ غليظٌ في مَنطقِه»[١٢٨].

والقسوة في القلب: يقصد بها «ذهاب اللِّين والرحمة والخشوع منه»[١٢٩].

كما إن لين الكلام ورقة القلب مدعاة إلى التقارب واستدامة الاتصال اللغوي والاشتياق إليه، فإن الغلظة في الكلام وقسوة القلب من معوقات الاتصال اللغوي، يقول تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ

(١٢٣) البغوي، **معالم التنزيل**، ج ٧، ص ١٧١.

(١٢٤) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ١٢، ص ١١٩.

(١٢٥) عصام عبد العظيم أحمد، **دليلك إلى الاتصال الفعال من منظور إسلامي** (القاهرة: ألفا للنشر والتوزيع، [د. ت.])، ص ٨٠.

(١٢٦) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة (فظظ).

(١٢٧) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (قسا).

(١٢٨) المصدر نفسه، مادة (فظظ).

(١٢٩) المصدر نفسه، مادة (قسا).

ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. يقول ابن كثير: «الفظ: الغليظ، والمراد به هاهنا غليظ الكلام؛ لقوله بعد ذلك: (غَلِيظَ الْقَلْبِ) أي: لو كنت سيِّئَ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفاً لقلوبهم»[١٣٠].

وقال تعالى مبيناً أن الاستجابة لا تكون إلا من ذوي القلوب اللينة: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] أي: «أما آن للمؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله، أي: تلين عند الذكر والموعظة وسماع القرآن، فتفهمه وتنقادُ له وتسمع له وتطيعه»[١٣١]؛ فخشوع القلب يعني نجاح الاتصال، وقسوته تعني الفشل.

إن فظاظة اللسان عائق مصدره المرسل، وقسوة القلب عائق مصدره المستقبل، وعملية الاتصال اللغوي تمتنع بواحد منهما، فكيف إذا اجتمعا؟!

٧ ـ السخرية والاستهزاء

السخرية في اللغة: يقول ابن منظور: «سَخِرَ منه وبه سَخْراً... هزئ به»[١٣٢] والاستهزاء في اللغة: من «الهُزْءُ والهُزُؤُ: السُخْرية. تقول: هَزِئْتُ منه وهَزِئْتُ به»[١٣٣] ويظهر من المعنى المعجمي للفظين أنهما بمعنى واحد؛ إلا أن العسكري يفرّق بين اللفظين فيقول: «الفرق بين الاستهزاء والسخرية: أن الإنسان يُستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يُستهزأ به من أجله، والسخر يدل على فعل يسبق من المسخور منه، والعبارة من اللفظين تدل عن صحة ما قلناه وذلك أنك تقول: استهزأت به فتعدى الفعل منك بالباء والباء للإلصاق كأنك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله، وتقول: سخرت منه فيقتضي ذلك من وقع السخر من أجله، كما تقول: تعجبت منه فيدل ذلك على فعل وقع التعجب من أجله»[١٣٤]. قال

---

(١٣٠) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ١، ص ٤٢٩.
(١٣١) المصدر نفسه، ٤/ ٣٣٢.
(١٣٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (سخر).
(١٣٣) الجوهري، **الصحاح**، مادة (هزأ).
(١٣٤) العسكري، **الفروق في اللغة**، ص ٢٤٩.

تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام: ١٠].

والسخرية والاستهزاء هما دأب من لا يريد أن يسمع، فإنه يلجأ إليهما، يقول جل وعز مخاطباً أهل الضلال يوم القيامة: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٩ ـ ١١٠].

٨ ـ اللعب واللهو

اللعب في اللغة: يقول ابن منظور: «اللَّعِبُ واللَّعْبُ ضدُّ الجِدّ»[(١٣٥)].

واصطلاحاً: «عملٌ للذّة لا يراعى فيه الحكمة»[(١٣٦)].

واللهو في اللغة: «ما لَهَوْت به ولَعِبْتَ به وشغَلَك... يقال لهَوْتُ بالشيء أَلهُو به لَهْواً وتَلَهَّيْتُ به إذا لَعِبتَ به وتَشاغَلْت وغَفَلْتَ به عن غيره»[(١٣٧)].

واصطلاحاً: «اللهو الشيء الذي يلتذّ به الإنسان ثم ينقضي وقيل ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه»[(١٣٨)].

والفرق بين اللعب واللهو «أنه لا لهو إلا لعب وقد يكون لعب ليس بلهو لأن اللعب يكون للتأديب»[(١٣٩)].

قال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢ ـ ٣] يقول ابن عاشور: «(ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون * لاهية قلوبهم) جملة مبينة لجملة (وهم فى غفلة معرضون) لبيان تمكّن الغفلة منهم وإعراضهم، بأنهم إذا سمعوا في القرآن تذكيراً لهم بالنظر والاستدلال اشتغلوا عنه باللعب واللهو، فلم يفقهوا معانيه وكان حظهم منه سماع

---

(١٣٥) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (لعب).

(١٣٦) العسكري، المصدر نفسه، ص ٢٤٨.

(١٣٧) ابن منظور، المصدر نفسه، مادة (لها).

(١٣٨) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص ٦٢٩.

(١٣٩) العسكري، **الفروق في اللغة**، ص ٢٤٨.

ألفاظه»[١٤٠]، ومع أنهم استمعوا ولم يسمعوا فقط إلا أن اللعب واللهو حالا من دون الاستفادة من ذلك الاستماع، فكأنه لم يتم أي اتصال لغوي أصلاً.

٩ ـ الاختلاف اللغوي بين المرسل والمستقبل

من الصعوبة بمكان أن يتم اتصال لغوي بين طرفين أو أكثر وليس بينهم توافق لغوي؛ ولأن الاتصال وظيفة من وظائف اللغة فلا بد من أن تتحد لغة المرسل مع لغة المستقبل حتى يتم اتصال لغوي ناجح يحقق الهدف.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٤] أي: «لو أنزل القرآن كله بلغة العجم، لقالوا على وجه التعنت والعناد: (لولا فصلت ءايٰته أعجمى وعربى) أي: لقالوا: هلّا أُنزل مفصلاً بلغة العرب، ولأنكروا ذلك فقالوا: أعجمي وعربي؟ أي: كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه»[١٤١]، وإن كان إنكارهم هنا في الأصل عناداً وتعنّتاً منهم، إلا أنهم كانوا سيحتجون بعدم التوافق اللغوي في صدّهم وإعراضهم لو نزل القرآن أعجمياً!

١٠ ـ التحريف والتبديل في الرسالة

التحريف في اللغة: «الحَرْف في الأصل: الطَّرَفُ والجانِبُ... وحَرْف الشيء: ناحِيَتُه... وتَحْرِيفُ القلم: قَطُّه مُحَرَّفاً... وتَحْرِيف الكَلِم عن مواضِعِه: تغييره»[١٤٢].

واصطلاحاً: «التحريف الإمالة وتحريف الشيء إمالته كتحريف العلم وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين»[١٤٣].

والتبديل في اللغة: «تبديل الشيء تغييره وإن لم تأْتِ ببدل... وحقيقته أَن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أُخرى»[١٤٤].

---

(١٤٠) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ١٧، ص ١١.
(١٤١) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ١١١.
(١٤٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (حرف).
(١٤٣) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص ١٦٣.
(١٤٤) ابن منظور، المصدر نفسه، مادة (بدل).

واصطلاحاً: هو «تغيير الشيء عن حاله»[١٤٥].

فالتحريف تغيير في الشيء، والتبديل تغيير الشيء ذاته، وعندما تتعرض الرسالة إلى تحريف أو تبديل فإن ذلك يؤثر سلباً في سلامة الاتصال اللغوي، وينعكس ذلك التحريف أو التبديل على صدقية المرسل وكونه يعدُّ ظلماً للمتلقي في تبليغه خلاف الحق، يقول الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]. «وتأويل قوله: (فبدل)، فغيّر. ويعني بقوله: (الذين ظلموا) الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله. ويعني بقوله: (قولا غير الذى قيل لهم): بدّلوا قولاً غير الذي أُمِرُوا أن يقولوه، فقالوا خِلافَه. وذلك هو التبديل والتّغْيير الذي كان منهم»[١٤٦].

وقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥] «أي: فلا تطمعوا في إيمانهم وحالتهم لا تقتضي الطمع فيهم، فإنهم كانوا يحرّفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني ما أرادها الله، ليوهموا الناس أنها من عند الله، وما هي من عند الله، فإذا كانت هذه حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم، يصدون به الناس عن سبيل الله، فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟! فهذا من أبعد الأشياء»[١٤٧].

إن التحريف في لفظ الرسالة أو معناها، أو تبديلها هو مانع ومعوّق من أعظم معوّقات الاتصال اللغوي، وإلا كيف ستصل الرسالة الصحيحة إلى المتلقين وقد حُرّفت أو بدّلت.

١١ ـ اللَّبْس وعدم الإبانة وكتمان الحق

اللبس في اللغة: «لَبَسَ عليه الأمرَ يَلْبِسُهُ: خَلَطَهُ. وألْبَسَهُ: غَطَّاهُ. وأمرٌ مُلْبِسٌ ومُلْتَبِسٌ: مُشْتَبِهٌ. والتَّلْبِيسُ: التَّخْلِيطُ»[١٤٨].

---

(١٤٥) العسكري، **الفروق في اللغة**، ص ٣٠٩.
(١٤٦) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١، ص ٧٢٣.
(١٤٧) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، ص ٥٦.
(١٤٨) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة (لبس).

واصطلاحاً: هو «إظهار الباطل في صورة الحق»[١٤٩].

والكتمان في اللغة: «الكاف والتاء والميم أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على إخفاء وسَتر. من ذلك كَتَمت الحديثَ كتْماً وكِتماناً»[١٥٠].

والكتمان اصطلاحاً: «السكوت عن المعنى»[١٥١]، وهو عدم البوح بالمعلومة وإخفاؤها وسترها عن الآخرين.

إن التواصل مع من يلبّس الحق بالباطل، ويخلط بين الحقائق، أو لا يستطيع الإبانة والتوضيح فيه صعوبة كبيرة؛ لذا فإن عملية الاتصال اللغوي في هذه الحالة سوف تكون ضعيفة، وقد دعا القرآن الكريم إلى الابتعاد عن ذلك، وأكّد على المرسل أن يكون واضح الرسالة، وأن لا يخلط بين الأمور حتى تتضح الرؤيا لدى المتلقي، وأن لا يكتم المرسل ما يعلم من الحق، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً التلازم بين لبس الحق بالباطل وبين كتمان الحق: «فإنه من لبس الحق بالباطل فجعله ملبوساً به خفي من الحق بقدر ما ظهر من الباطل، فصار ملبوساً. ومن كتم الحق احتاج أن يقيم موضعه باطلاً فيلبس الحق بالباطل»[١٥٢]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]. يقول ابن عاشور شارحاً ومبيناً معنى اللَّبْس والكتمان في هذه الآية: «ولبس الحق بالباطل تلبيس دينهم بما أدخلوا فيه من الأكاذيب والخرافات والتأويلات الباطلة، حتى ارتفعت الثقة بجميعه. وكتمان الحق يحتمل أن يراد به كتمانهم تصديق محمد (ﷺ) ويحتمل أن يراد به كتمانهم ما في التوراة من الأحكام التي أماتوها وعوّضوها بأعمال أحبارهم وآثار تأويلاتهم، وهم يعلمونها ولا يعملون بها»[١٥٣]. إذ إن التلبيس والكتمان يفقدان الثقة في ما يودّ المرسل

(١٤٩) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، **تلبيس إبليس** (بيروت: دار الكتب العلمية، [د. ت.])، ص ٣٧.

(١٥٠) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، مادة (كتم).

(١٥١) العسكري، **الفروق في اللغة**، ص ٢٨١.

(١٥٢) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ج ٧، ص ١٧٢.

(١٥٣) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ٣، ص ٢٧٩.

إيداعه في نفوس المتلقين، فلا يتم الاتصال بصورته المطلوبة، ولا يتحقق الهدف منه إن تمّ.

١٢ ـ عدم مطابقة القول الفعل

يضعف الاتصال اللغوي بين المرسل والمستقبل إذا لم يتصف المرسل بمطابقة القول الذي يدعو إليه بالعمل الذي يقوم به، فيكون ذلك معوِّقاً من معوِّقات الاتصال اللغوي، أي إن المتلقي لن يتقبل من مرسل هذه حاله، يقول تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]؛ فحينما يحدّثك شخص عن الأمانة وفضلها وأهميتها، وهو مضيّع لها ومعلوم ذلك عنه، كان ذلك مدعاة إلى فشل الاتصال.

١٣ ـ الحالة النفسية

يُقْصَدُ بها عدم الاستعداد النفسي من قبل المرسل أو المستقبل نتيجة لمتغيرات داخلية أو خارجية طارئة كالخوف والقلق والغضب والخجل قد يتعرض لها الفرد في موقف معيّن.

ومعلوم لدى علماء النفس أن القدرة على الاتصال بالآخرين بمهارة يدعمها حالة نفسية عالية، تسهم في دفع الفرد إلى التفاعل مع الآخرين والاتصال بهم بصورة جيدة، وفي المقابل فإن العزلة والابتعاد عن الآخرين، والانقطاع عنهم، أو حتى عدم المشاركة والتفاعل مع اتصاله بهم سببه الرئيس هو الحالة النفسية التي يعيشها الفرد.

فالخوف والقلق والغضب والخجل كل هذه تغيُّرات نفسية تطرأ على الفرد عند تعرّضه لموقف معيّن فتكون معوِّقاً من معوِّقات الاتصال اللغوي.

وقد أخبر الله تعالى على لسان موسى (عليه السلام) أن القدرة على الاتصال اللغوي مرهونة بانشراح الصدر، وأن الإخفاق في ذلك سببه الخوف والقلق وضيق الصدر، فقال جل وعز: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ [الشعراء: ١٢-١٤]. أي: «رب إني أخاف تكذيبهم إياي ويضيق صدري انفعالاً منه ولا ينطلق لساني من سجن اللكنة وقيد العي بانقباض الروح الحيواني الذي تتحرك به العضلات الحاصل عند ضيق الصدر واغتمام

القلب، والمراد حدوث تلجلج اللسان له عليه السلام بسبب ذلك كما يشاهد في كثير من الفصحاء إذا اشتد غمهم وضاقت صدورهم، فإن ألسنتهم تتلجلج حتى لا تكاد تُبين عن مقصود»[١٥٤]، فكان نفيه (عليه السلام) لانطلاق اللسان مبنياً على ضيق الصدر الذي كان نتيجة للخوف من التكذيب له، وكل هذه تفاعلات نفسية لموقف طارئ.

خلاصة

وخلاصة القول، إن عملية الاتصال اللغوي لا يمكن أن تتم، أو لا يمكن أن تؤتي ثمارها ـ على الأقل في الحد الأدنى لها ـ إذا تعرضت لواحد أو أكثر من هذه المعوقات، وحتى يتمكن الفرد من إتمام العملية الاتصالية اللغوية بينه وبين الآخرين؛ ينبغي عليه أن يكون حريصاً على تجنب هذه المعوقات، واكتساب العديد من المقوّمات التي يستطيع أن يمتلكها من خلال الممارسة والتدريب بعد التأمل والتدبر لما جاء منها في القرآن الكريم.

وبعد؛ فإن القرآن الكريم اهتمّ كثيراً ببيان أطراف الاتصال اللغوي، وهما (المرسل والمستقبل)، وهما عنصران مهمان من عناصر الاتصال اللغوي، وقد تنوّعت أشكال الاتصال اللغوي في القرآن الكريم باختلاف أطرافه؛ فكان هناك اتصال الله تعالى بمختلف مخلوقاته، واتصال الملائكة، واتصال الإنسان، واتصال الجن، واتصال الحيوان؛ فقدّم لنا نماذج من الاتصال الرائع، الذي أظهر لنا بعضاً من وظائف الاتصال اللغوي في مواضع متعددة، واستخدم بعضاً من طرائقه، ونوه بمقوماته، وحذّر من معوقاته ضمن عرضه لهذه النماذج.

---

(١٥٤) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ١٠، ص ٦٥.

الفصل الثالث

مهارات الإرسال اللغوي
في القرآن الكريم

تمهيد

الطبيعة الاجتماعية للإنسان تحتّم عليه أن يقيم علاقات مختلفة مع الآخرين، ومن الصعوبة بمكان أن يبني الفرد منّا تلك العلاقات الاجتماعية، أو يتفاعل مع الآخرين من دون اتصال لغوي.

وتبدأ هذه العلاقات الاتصالية من خلال عمليات الإرسال اللغوي التي يمارسها الإنسان عند الرغبة في التعبير عن مشاعره أو نقل أفكاره، أو عند الرغبة في تحقيق حاجاته في الحياة.

وعن طريق هذه العمليات يستطيع الفرد نقل أفكاره إلى الآخرين، والتأثير فيمن حوله، وتحقيق أهدافه، ويمكن له ذلك باستخدام مهارتي الإرسال اللغوي: التحدُّث والكتابة.

ويصنّف بعض التربويين هاتين المهارتين على أنهما مهارتا إنتاج(١) لأن الفرد خلال استخدامه لهما ينتج الرسالة اللغوية التي يوجهها إلى المستقبل.

والتحدُّث مهارة إرسال شفوية، وهي من أكثر المهارات اللغوية

---

(١) مرضي غرم الله الزهراني، «فعالية مجمّعات تعليمية في تنمية المهارات اللغوية لدى طلاب المستوى الأول في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى واتجاهاتهم نحوها،» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ج ١، ص ٥٥.

استخداماً في الحياة بعد الاستماع، ويمارس من خلالها الفرد اتصاله بالآخرين بطريقة مباشرة، فيحقق أهدافه، وينقل أفكاره، ويعلّم ويتعلم، ويقنع ويوضح.

أما **الكتابة** فهي مهارة إرسال كتابية، تجاوز الإنسان من خلالها العوائق الزمنية والمكانية، فعبّر بها عن مشاعره، وأرسل أفكاره، وعلّم وأقنع وأثّر في شخص المستقبِل مهما كان الزمان أو المكان.

وفي هذا الفصل، سوف أتناول مهارتي الإرسال اللغوي في القرآن الكريم، مناقشاً المفهوم والألفاظ والأهداف والمهارات وشيئاً من الآداب لكل مهارة منهما.

أولاً: التحدُّث في القرآن الكريم

التحدّث هو المهارة الأولى من مهارات الإرسال اللغوي. وهو المهارة اللغوية التي يعبّر الإنسان بها عما في نفسه من أفكار أو مشاعر أو أحاسيس، أو عن كل ذلك معاً، وخلال هذه المهارة تنتقل هذه الأفكار أو المشاعر أو الأحاسيس إلى الأفراد الآخرين الذين نخاطبهم.

والتحدّث عنوان المتكلم، ومظهره أمام الآخرين. وكثيراً ما نحكم على شخصية الإنسان أو ثقافته أو اتجاهاته أو ميوله من خلال حديثه.

١ ـ مفهوم التحدّث

التحدّث هو مهارة الإرسال اللغوي التي تمثّل الجانب الشفهي في عملية الاتصال، وقد عرّفه أحدهم بأنه: «ذلك الكلام المنطوق الذي يعبّر به المتكلم عما في نفسه من هاجسة أو خاطرة... وما يزخر به عقله من رأي أو فكر، وما يريد أن يزوّد به غيره من معلومات أو نحو ذلك، في طلاقة وانسياب، مع صحة في التعبير وسلامة في الأداء»[٢].

وهو ظاهرة اجتماعية وضرورة بشرية لتحقيق الاتصال مع الآخرين، على صورة رموز صوتية منطوقة تراعى فيها سلامة اللغة وصحة التعبير.

(٢) محمد صلاح الدين مجاور، **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية أسسه وتطبيقاته** (الكويت: دار القلم، ١٩٧٤)، ص ١٨٩.

٢ ـ ألفاظ التحدُث في القرآن الكريم ومعانيه

عبرّ القرآن الكريم عن التحدّث بخمسة ألفاظ هي: (الحديث) و(الكلام) و(القول)، و(الخطاب) و(اللغو). وجاءت كل لفظة منها على عدد من الصيغ، لكل منها معان تتفق تارة وتختلف تارة أخرى، نناقشها فيما يأتي:

أ ـ الحديث

جاءت لفظة (الحديث) معرّفة بـ (أل) بمعنى واحد في عدة مواضع من كتاب الله (ما عدا في آية واحدة[٣] من سورة لقمان فأتت بمعنى كل ما يلهي عن طاعة الله) ويقصد بها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ [النجم: ٥٩] يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره لمشركي قريش: أفمن هذا القرآن أيها الناس تعجبون»[٤].

كما إنها جاءت مجردة من(أل) التعريف أو بصيغة الفعل بعدة معان منها ما يأتي:

(١) القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠].

(٢) الكلام في النفس يسمى حديثاً، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢].

(٣) ما يلقى من القول، قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

(٤) الخبر، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١].

(٥) الكلام بين طرفين أو المحادثة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣].

---

(٣) سورة لقمان: الآية ٦.

(٤) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق عبد الله التركي (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ج ٢٢، ص ٩٦.

ب ـ الكلام

جاء التعبير عن الكلام في القرآن الكريم بعدة صيغ لكل صيغة منها عدد من المعاني نجملها في ما يأتي:

(١) القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

(٢) الكتب السماوية الأخرى، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

(٣) كلمة التوحيد أو كلمة الشرك، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

(٤) أمر الله وقضاء حكمته، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

(٥) القول، وما يُتحدّث به، قال تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

(٦) الوعيد بالعذاب، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٩].

ج ـ القول

تنوّعت ألفاظ التعبير بالقول في القرآن الكريم وتعددت صيغه وصوره، فجاءت في **محيط المعاني** الآتية:

(١) القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

(٢) الكلام، وما يتحدث به، وقد جاء هذا المعنى في أكثر الآيات

موصوفاً بصفة تناسب حال المخاطبين[٥] قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

(٣) الأمر والحكم، قال تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩].

(٤) العذاب، قال تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٥].

د ـ الخطاب

جاء (الخطاب) في القرآن الكريم بلفظ واحد ومعنى واحد في ثلاث آيات[٦] قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] والمقصود بفصل الخطاب أي: «البيّن من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه... والمراد بفصل الخطاب: الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل»[٧].

هـ ـ اللغو

وغالباً ما يأتي لفظ (اللغو) للتعبير عن القبيح أو الباطل من القول[٨] قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]. واللغو من الكلام القبيح[٩].

وإن جاءت ألفاظ التحدّث في القرآن الكريم بصيغ متعددة إلا أنها تمثّل في مجملها مهارة الإرسال المنطوق، الذي يقوم على تحويل الأفكار والمشاعر والأحاسيس والمعارف إلى رموز صوتية منطوقة لتحقيق الاتصال اللغوي بهدف نقلها إلى الآخرين.

---

(٥) سوف نناقش ذلك في الصفحات القادمة.

(٦) سورة ص: الآيتان ٢٠ و٢٣، وسورة النبأ: الآية ٣٧.

(٧) عبد الله بن أحمد النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (بيروت: دار القلم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ج ٣، ص ١٤٨١.

(٨) انظر: سورة مريم: الآية ٦٢، سورة المؤمنون: الآية ٣، وسورة القصص: الآية ٥٥.

(٩) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **تفسير الجلالين** (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ص ٤٤١.

إلا أن بعض علماء اللغة يميّز بين بعض هذه المصطلحات، ومنهم (ويدسون)، حيث بيّن أن «الكلام (Speaking) يقصد به القدرة على الاستخدام الصحيح للغة (Usage)، بينما يقصد بالتحدّث (Talking)، القدرة على الاستخدام المناسب للغة في سياقها والتحدّث هنا بخلاف الكلام، يشمل اللغة اللفظية واللغة المصاحبة. وعندما يؤدي أحد أطراف عملية الاتصال دور المتكلم، فإن الجانب الإنتاجي في الموقف يطلق عليه ويدسون لفظ القول (Saying)»[١٠].

ومن خلال ما سبق، يظهر أن ألفاظ التحدُّث جميعها يجمعها الجانب الإنتاجي لأحد أطراف عملية الاتصال اللغوي، ويمكن تسميته: (ما يُلقى من الكلام أو الحديث أو القول).

٣ ـ أهمية التحدّث

يعدّ التحدث من أهم مهارات الاتصال اللغوي وأكثرها انتشاراً بعد الاستماع. وهو وليد الاستماع؛ فلا يمكن أن يتحدث الإنسان ما لم يكن يسمع.

وهو «وسيلة الإبانة والإفصاح عما في نفس الإنسان من فكرة أو خاطرة أو عاطفة أو نحوها»[١١]، ومن خلاله تستطيع أيضاً الحكم على الآخرين فهو «نشاط لغوي تظهر من خلاله ثقافة المرء ومدى اطلاعه... ودليل على ما لدى الإنسان من عمق فكري ونضج عقلي، ودليل على مدى ما عند الإنسان من قدرة على العرض والشرح والتفسير»[١٢].

وبالتحدّث أيضاً يحقق الفرد حاجاته ومطالبه في الحياة، ومن خلاله يحقق التفاهم مع الآخرين: لتبادل المنافع، وتنظيم أمور الحياة. وهو «وسيلة أساسية من وسائل الاتصال بين الجنس البشري، فهو يمكّننا من تبادل وجهات النظر، والتأثير في المواقف والاتجاهات، وبناء علاقات اجتماعية»[١٣].

---

(١٠) رشدي أحمد طعيمة، **المهارات اللغوية: مستوياتها ـ تدريسها ـ صعوباتها** (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ١٨٦.

(١١) حسن جعفر الخليفة، **فصول في تدريس اللغة العربية**، ط ٤ (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٢٤٩.

(١٢) مجاور، **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية أسسه وتطبيقاته**، ص ١٩٤.

(١٣) أحمد بن راشد بن سعيد، **فن الكلام: مدخل إلى الاتصال العام** (الرياض: دار جبل الشيخ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧)، ص ٤.

والتحدّث مهم في جميع مجالات الحياة، فهو وسيلة التوجيه والإرشاد، وقناة التبادل الاجتماعي بين الأفراد، وطريق العلم، وسبيل التعليم.

وإذا كان الصمت حكمة كما يقال، فإن التحدّث بيان وبلاغة، و«البيان من الكلام هو الذي مَنَّ الله به على عِباده، فقال: (خلق الإنسٰن * علمه البيان). والعِلْم كلُّه لا يُؤدِّيه إلى أَوْعية القُلوب إلا اللسان، فنَفْع المنطق عام لقائله وسامعه»(١٤).

وقد حفل القرآن الكريم بالكلمة المنطوقة، وبيّن هدفها وأثرها ودورها في حياة الإنسان. قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾ [الرحمن: ١ ـ ٤]. وقال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠].

وقد أشار الرسول (ﷺ) إلى أهمية الكلمة المنطوقة وأثرها في المتلقي؛ فعن زيد بن أسلم قال: سمعت ابن عمر يقول: جَاءَ رجلان مِنْ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا فَقَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): «إنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْراً»(١٥). والبيان ـ كما ذكر العسقلاني ـ نوعان: «الأول مَا يُبَيِّن بِهِ الْمُرَاد، وَالثَّانِي تَحْسِين اللَّفْظ حَتَّى يَسْتَميل قُلُوب السَّامِعِينَ. وَالثَّانِي هُوَ الَّذِي يُشَبَّه بِالسِّحَرِ»(١٦) لعظيم أثره في نفوس المتلقين، يقول جيمس (James): إن المتحدّث الجيد هو الذي لديه القدرة على استخدام أساليب بناء الكلام والمحادثة، ولفت انتباه الحاضرين أو المستمعين، مع إعطائهم شعوراً بالرضا، وإعطاؤهم فرصة للمشاركة يجعل المحادثة أكثر فعالية، كما إن التحفيز المسبق من خلال تهيئة الجمهور يساعد كثيراً على توصيل ما يريده المتحدث من الآخرين(١٧).

والإسلام عندما أرشد إلى أهمية التحدّث لم يترك المسألة بلا توضيح أو بيان، بل وجه إلى الاعتناء بالكلمة، والتفكير فيها قبل خروجها من فم

---

(١٤) أحمد بن محمد بن عبد ربه، **العقد الفريد** (بيروت: دار الكتاب العربي، [د. ت.])، ج ٢، ص ٤٧٥.

(١٥) محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري** (بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ٩٨٣، رقم الحديث (٥١٤٦).

(١٦) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري** (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج ١٠، ص ٢٥٣.

(١٧) James H. Byrns, *Speak for Yourself: An Introduction to Public Speaking*, 4th ed. (New York: McGraw-Hill, 1997), pp. 11-13.

الإنسان، ودعا إلى اختيار أحسن القول وأطيبه، ورسم لنا معايير الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة وبيّن أثر كل منهما في حياة الناس. ولنقرأ بتأمل هذه الآيات الكريمة لعلنا نتلمّس فيها عناية القرآن الكريم بالكلمة واهتمامه بها اهتماماً فائقاً؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦][١٨]؛ فهذه صورة رائعة ذكر الله تعالى فيها مثلاً للكلمة الطيّبة من خلال بيان صفات الشجرة الطيّبة، فهي طيبة، ثابتة الأصل راسخة الجذور، مرتفعة الأغصان سامقة، لها ثمارها المفيدة.

وكذلك هي الكلمة الطيبة في كونها منطلقة من أصل ثابت من العلم والمعرفة، والحق والصدق والعدل، فهي قوية في تأثيرها، عالية في مقامها، سامقة في الفضاء، ثمارها يانعة، يقطفها ويُفيد منها القائل والسامع.

وأما الكلمة الخبيثة فهي على صورة متضادة مع الكلمة الطيبة، يقول ابن عاشور: «وكذلك القول في تمثيل حال الكلمة الخبيثة بالشجرة الخبيثة على الضد بجميع الصفات الماضية من اضطراب الاعتقاد، وضيق الصدر، وكدر التفكير، والضر المتعاقب. وقد اختصر فيها التمثيل اختصاراً اكتفاءً بالمضاد، فانتفت عنها سائر المنافع للكلمة الطيبة»[١٩].

---

(١٨) يقول الرازي في تفسيره لهذه الآيات: إن الله تعالى «ذكر شجرة موصوفة بصفات أربع ثم شبه الكلمة الطيبة بها: فالصفة **الأولى**، لتلك الشجرة كونها طيبة، وذلك يحتمل أموراً .**أحدها**: كونها طيبة المنظر والصورة والشكل. **وثانيها**: كونها طيبة الرائحة. **وثالثها**: كونها طيبة الثمرة يعني أن الفواكه المتولدة منها تكون لذيذة مستطابة. **ورابعها**: كونها طيبة بحسب المنفعة يعني أنها كما يستلذ بأكلها فكذلك يعظم الانتفاع بها، ويجب حمل قوله: شجرة طيبة، على مجموع هذه الوجوه لأن باجتماعها يحصل كمال الطيب. والصفة **الثانية**، قوله: (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) أي راسخ باق آمن الانقلاع والانقطاع والزوال والفناء. . . والصفة **الثالثة**، قوله: (وَفَرْعُهَا في السماء) وهذا الوصف يدل على كمال حال تلك الشجرة من وجهين: **الأول**: أن ارتفاع الأغصان وقوتها في التصاعد يدل على ثبات الأصل ورسوخ العروق. **والثاني**: أنها متى كانت متصاعدة مرتفعة كانت بعيدة عن عفونات الأرض وقاذورات الأبنية فكانت ثمراتها نقية ظاهرة طيبة عن جميع الشوائب. والصفة **الرابعة**، قوله: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ والمراد: أن الشجرة المذكورة كانت موصوفة بهذه الصفة، وهي أن ثمرتها لا بد أن تكون حاضرة دائمة في كل الأوقات». انظر: الفخر محمد بن عمر الرازي، **التفسير الكبير**، ط ٤ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج ١٩، ٨٩ ـ ٩١.

(١٩) محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية، [د. ت.])، ج ١٣، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

٤ ـ أهداف التحدُّث في القرآن الكريم

يعدّ التحدُّث من أهم مهارات الاتصال اللغوي وأكثرها استخداماً «وكلما نجح الإنسان في إجادة فن الكلام وامتلاك زمام الفصاحة والبلاغة.. كان أقدر على التأثير في الآخرين وتوجيههم الوجهة التي يريدها»[٢٠]؛ لذلك ينبغي للمتحدث أن يدرك أن لحديثه أهدافاً، وأن قدرته في التأثير على الآخرين تقوم على معرفته بتلك الأهداف، والعمل على تحقيقها.

ومن خلال تتبع الآيات التي فيها إشارة إلى التحدّث يمكننا أن نجمل أهداف المتحدّث في ما يأتي:

أ ـ أن يبلّغ الخبر ويُحْسن الإفهام

يهدف المتحدّث من إرسال ما لديه من معلومات إلى إعلام الآخرين وإفهامهم. والتحدّث وسيلة لذلك، فالكلمة الطيبة، والموعظة الحسنة، والقول المعروف، كل ذلك من مكونات الكلام الجيد. قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]؛ فجاء الإعلام مع الإفهام في عبارات واضحة بيّنة، والكلمة تطلق «على الجملة المفيدة. كما قال ههنا ثم وصفها بقوله: (سواء بيننا وبينكم) أي: عدل... نستوي نحن وأنتم فيها. ثم فسرها بقوله: (ألّا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً) لا وثناً ولا صليباً ولا صنماً ولا طاغوتاً ولا ناراً ولا شيئاً، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له»[٢١]؛ فكان التحدّث هنا هو «وسيلة الإفهام ودليل الاقتناع وأداة الإقناع»[٢٢]، ومن أجل ذلك نستخدمه في اتصالنا بالآخرين.

ب ـ أن يعبّر عما في نفسه

يحتاج الإنسان منا إلى استخدام الكلام للتعبير عما في نفسه من أفكار

---

(٢٠) عوض القرني، **حتى لا تكون كلاً.. طريقك إلى التفوق والنجاح**، ط ٨ (جدّة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص ١٢١.

(٢١) إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط ٩ (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ج ١، ص ٣٧٩.

(٢٢) محمد صالح سمك، **فن التدريس للتربية اللغوية** (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨)، ص ٣١٥.

ومشاعر، أو الإفصاح عن رسالة معيّنة، وهذا ما احتاج إليه موسى (عليه السلام) عندما خشي ألا ينطلق لسانه بالتعبير عما في نفسه. قال تعالى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ [الشعراء: ١٣] فيعني من قوله: (ولا ينطلق لساني)، أي: «في التعبير عما ترسلني إليهم به»[٢٣].

ج ـ أن يوضح فكرته ويبيّنها للمتلقي

إن المتحدّث الواعي هو الذي يهدف في حديثه إلى مراعاة البيان والوضوح «أي إبلاغ الفكرة بوضوح، واللغة هي وسيلة ذلك. ويتعين على الإنسان الراغب في إيصال فكرته استخدام الكلمات المعبّرة حقاً عن هذه الفكرة، أي الكلمات الواضحة المحدّدة»[٢٤]. ويقصد بالبيان «كل شيء كشف لك قناع المعنى الخفي حتى يتأدى إلى الفهم ويتقبله العقل»[٢٥].

وعندما لا تكون الصورة واضحة في أذهان المتلقين، فإننا نحتاج إلى استخدام التحدّث لتوضيح تلك الصورة، وبيان تفاصيلها، قال تعالى: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤] والمقصود «أحسن بياناً . . . أي يُبيِّنُ لهم عني ما أخاطبُهم به»[٢٦].

د ـ أن يقْنع الآخرين ويؤثر في نفوسهم

إن للتحدّث في النفوس تأثيراً بالغاً، وقد أخبر (ﷺ) عن ذلك التأثير، فعن عبدِ الله بن عمرَ رضي الله عنهما «أنه قَدِمَ رجلانِ من المشرق فخطبا، فعجِبَ الناسُ لبيانهما، فقال رسولُ (ﷺ): إن من البيان لسحراً، أو إن بعض البيان سحرٌ»[٢٧] والبيان ما يتّضح منه المعنى وما يؤثر بقوة اللفظ وجودة الإلقاء وتناسب العبارات في نفوس المتلقين.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ

---

(٢٣) برهان الدين أبو الحسن البقاعي، **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور**، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج ٥، ص ٣٥١.

(٢٤) ابن سعيد، **فن الكلام: مدخل إلى الاتصال العام**، ص ٦٦.

(٢٥) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج ٢، ص ٩٤.

(٢٦) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٨، ص ٢٤٩.

(٢٧) البخاري، **صحيح البخاري**، ص ١٠٨٩، الحديث الرقم (٥٧٦٧).

﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]؛ فجاء الإقناع والتأثير في المتلقين من كون القصة واقعية ليس فيها افتراء، وفيها تصديق وتفصيل وهدى ورحمة للمؤمنين. وإذا كان للتحدّث تأثير فإن «أبرز أشكال هذا التأثير هو الإقناع. والإقناع هو جعل الآخر يقبل بوجهة نظرك مختاراً وليس مرغماً»[٢٨].

هـ ـ أن يتصل بالآخرين (الاتصال الإنساني)

إن من أهم أهداف استخدام مهارة التحدّث اتصال الفرد مع الناس «اتصالاً يقدره على تحقيق أغراضه من الفهم والإفهام»[٢٩]؛ فالإنسان اجتماعي بطبعه، يحتاج إلى التواصل مع أفراد مجتمعه لقضاء حاجاته وتنظيم حياته. وأسهل طرق الاتصال وأيسرها هو التحدّث، فدعا القرآن الكريم إلى العناية بالقول، وحثّ على الاهتمام بأحسنه واختيار أفصحه لأنه سبيل ذلك الاتصال. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ [الإسراء: ٢٣].

٥ ـ مهارات التحدث كما وردت في القرآن الكريم

من خلال تتبّع الآيات القرآنية؛ يمكننا أن نبرز أهم مهارات التحدّث التي يشير إليها القرآن الكريم، وهذا بيان بأهمّها:

أ ـ سلامة النطق

إن من أهم مهارات الكلام: النطق السليم للحروف، وإخراجها من مخارجها الأصلية. وهذا ما طلبه موسى (عليه السلام) من ربه عندما قال: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: ٢٧] أي: «العجمة التي كانت فيه من جمرة النار التي أطفأها في فيه وهو طفل»[٣٠]؛ فإن موسى (عليه السلام) لا يعجزه التعبير، ولا ينقصه البيان،

---

(٢٨) محمد بلال الجيوسي، **أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني** (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص ١٩٩.

(٢٩) عبد الفتاح حسن البجة، **أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها**، ط ٢ (الإسكندرية: دار الكتاب الجامعي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٣٧.

(٣٠) أبو عبد الله محمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (الرياض: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ج ٦، ص ١٩٢.

وإنما أراد أن يطلق الله لسانه بالمنطق؛ لأن سلامة النطق سبيل الفهم، ولذا جاءت بعدها ﴿يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي﴾ [طه: ٢٨] أي: «يعلموا ما أقوله لهم ويفهموه»[٣١].

وسلامة النطق تتطلب من المتحدّث «القدرة على التّحكم في سرعة حركة اللسان داخل الفم بما يسمح بضبط وتنظيم منطوق الكلمات والألفاظ»[٣٢]؛ فتخرج واضحة بيّنة صحيحة لا لبس فيها ولا اختلاف؛ ولذا فإن طريقة النطق تعدّ «من العوامل المهمة لنجاحك كمتحدّث. حيث سيتوقف عليها مدى فهم المستمع لما تقول، ومدى إدراكه لما تحمله كلماتك من دلالات»[٣٣].

ب ـ الدِّقة في التعبير

الدِّقة في التعبير مهارة من مهارات التحدُّث تسهم في بيان المعنى وإزالة اللبس، وتعني من ناحية التأكّد أن الكلمات التي يستخدمها الإنسان تؤدي المعنى الذي يقصده بعناية. . . ولذلك فإن المتحدّث محتاج إلى حصيلة لغوية كبيرة تمكّنه من اختيار الكلمات ذات المعنى الدقيق، لتلبية متطلبات حديثه. ومن ناحية أخرى، تعني دقّة المعلومات التي يقدّمها وصحتها[٣٤]. وكلما كانت اللفظة أو العبارة التي يستخدمها المتحدّث متطابقة مع المعنى الذي يريد، كانت الرسالة ناجحة، وكانت التغذية الراجعة من قبل المتلقين إيجابية.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤]. يقول الطبري: «يقول تعالى ذكره: قالت الأعراب: صدّقنا بالله ورسوله، فنحن مؤمنون. قال الله لنبيه محمد (ﷺ): قل يا محمد لهم لمْ تؤمنوا ولستم مؤمنين ولكن قولوا أسلمنا. . . لأن القوم كانوا صدّقوا بألسنتهم، ولم يصدّقوا قولهم بفعلهم، فقيل لهم: قولوا أسلمنا،

---

(٣١) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٩٣.

(٣٢) محمد عبد الغني هلال، **مهارات الاتصال** (القاهرة: مركز تطوير الأداء والتنمية، ١٩٩٩)، ص ٩٢.

(٣٣) محمد منير حجاب، **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة**، ط ٤ (القاهرة: دار الفجر، ٢٠٠٣)، ص ١٠٤.

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٩٨.

لأن الإسلام قول والإيمان قول وعمل»[٣٥]؛ فطلب الدقة في التعبير عن الموقف عند التحدّث.

ج ـ البيان والفصاحة

البيان وفصاحة اللسان مطلب من مطالب التحّدث، ومهارة مهمة من مهاراته، إذ من خلاله يفهم المستمع، ويدرك ما يلقيه إليه المتحدث.

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف: ٩٣] فهم «لا يبينون لغيرهم كلاماً...»[٣٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤] أي: «أحسن بياناً... يبين لهم عني ما أريد أن أخاطبهم به»[٣٧].

يقول الجاحظ: وإن «البيان يحتاج إلى تمييزٍ وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج وجَهارة المنطق، وتكميل الحروف وإقامة الوزن، وأنّ حاجة المنطق إلى الحلاوة، كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأن ذلك من أكثر ما تُستمال به القلوب وتُثْنَى به الأعناق، وتزيَّن به المعاني»[٣٨].

والكلام البيّن الفصيح هو الواضح في ذهن السامع كما هو في ذهن المتكلم، ويمكن تحقيقه من خلال: اللغة السهلة والمادة المنظمة المتسلسلة والكلمات الواضحة البعيدة عن الغموض والتعقيد[٣٩]، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان كلام رسول الله (ﷺ) كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه»[٤٠].

---

(٣٥) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٢١، ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩.

(٣٦) محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، ط ٢ (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج ٣، ص ٣٩٠.

(٣٧) الطبري، المصدر نفسه، ج ١٨، ص ٢٤٩.

(٣٨) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تحقيق عبد السلام هارون، ط ٧ (القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج ١، ص ١٤.

(٣٩) حجاب، **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة والدعاة**، ص ٩٧ (بتصرف).

(٤٠) سليمان بن الأشعث أبو داود، **سنن أبي داود** (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، [د. ت.])، ج ٤، ص ٢٦١، الحديث الرقم (٤٨٣٩).

قال بعضهم:

وما حسن الرّجال لهم بحسنٍ إذا ما أخطأ الحَسَنَ البيانُ

كفى بالمرء عيباً أن تراه له وجهٌ وليس له لسانُ[41]

د ـ الإقناع وقوة التأثير

وهذه المهارة تتطلب من المتحدّث أن يكون لديه علم أو خبرة سابقة بالموضوع الذي يتحدّث فيه، ويتطلب كذلك منه القدرة على أن يسوق الحجج والبراهين والأدلة التي يستطيع من خلالها أن يقنع الآخرين ويؤثر فيهم؛ فيحقق بذلك هدفاً مهماً من أهداف الكلام.

وتميل بعض الدراسات إلى القول: بإننا لن نستطيع التأثير في الآخرين «إلا إذا اعتمدنا في ما نقول على الأدلة المقنعة عقلياً، أو على الشواهد والحقائق المادية التي يمكن إثباتها، وكلما اعتمد كلامنا على المنطق أو الحقائق كان ذلك أسهل وأيسر في إقناع المستمعين»[42].

ومن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨] ومعنى قوله: (أتقولون على الله) أي: «قولاً لا تعلمون حقيقته وصحته، وتُضِيفون إليه ما لا يجوز إضافته إليه جهلاً منكم بما تقولون بغير حُجَّةٍ ولا برهانٍ»[43]؛ فسقطت دعواهم لسببين: **أحدهما**: القول بغير علم. **وثانيهما**: القول بغير دليل ولا حجة.

إن المتحدّث المقنع هو الذي يملك المعلومة، ويملك معها الأدلة والحجج على صحة ما يقول، وفي الآية السابقة «دليل على أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة»[44]، وما هو جهالة فإنه ليس بمقنع ولا مؤثر.

---

(٤١) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، **الكامل في اللغة والأدب** (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج ٢، ص ٣٨٤. ولم يذكر المبرد قائل هذين البيتين.

(٤٢) عبد الله علي مصطفى، **مهارات اللغة العربية** (عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ١٤٩.

(٤٣) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٢، ص ٢٢٩.

(٤٤) محمود شهاب الدين الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ج ٦، ص ١٥٦.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ٤ ـ ٥] «أي ليس لها مستند سوى قولهم، ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم»[٤٥] والكلام المقبول والمؤثر هو ما كان له مستند ودليل وحجة، ولهذا خُتمت الآية بقوله تعالى: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾.

هـ ـ التفكير قبل التعبير

معلوم أن الإنسان يفكّر أولاً ثم يعبّر، وخلاف ذلك يكون ترديداً بلا فهم، أو مجادلة بلا وعي، أو تقليداً بلا تعقّل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥] فهم هنا ساروا خلاف الأصل، لأنهم عبّروا فحسب ومن دون تفكير، والدليل هو أن الكلمة تخرج من أفواههم «والتعبير بالفعل المضارع لاستحضار صورة خروجها من أفواههم تخييلاً لفظاعتها. وفيه إيماءٌ إلى أن مثل ذلك الكلام ليس له مصدر غير الأفواه، لأنه لاستحالته تتلقاه وتنطق به أفواههم وتسمعه أسماعهم ولا تعقله عقولهم لأن المحال لا يعتقده العقل ولكنه يتلقاه المقلد دون تأمل»[٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] يقول النسفي: «إنما قيد بالأفواه مع أن القول لا يكون إلا بالفم لأن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب ثم يترجم عنه اللسان، وهذا الإفك ليس إلا قولاً يدور في أفواهكم من غير ترجمة عن علم به في القلب»[٤٧] مثل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

وعليه فإن التحدّث عملية تبدأ بالتفكير وتنتهي بالنطق «لأنه يستدعي من المتعلّم عدة عمليات عقلية معقّدة، لا بد أن يتهيأ لها ذهنه من حيث: استحضار المعاني والأفكار، واختيار ما يناسبها من الألفاظ والأساليب، وربط الجمل بعضها ببعضها الآخر، ومراعاة نسق الكلام في تنظيم الأفكار وتسلسل

---

(٤٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٣، ص ٧٦.
(٤٦) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ١٥، ص ٢٥٢.
(٤٧) النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج ٢، ص ١١٢٤.

المعاني»[٤٨]، ولذا فإن بعض علماء النفس يرون «أن التفكير والتعبير مظهران لعملية عقلية واحدة، فنمو كل منهما وارتقاؤه مرتبط بنمو الآخر وارتقائه كل الارتباط، وكلاهما مرتبط بتجارب الإنسان وخبراته في الحياة»[٤٩].

و ـ توصيل القولِ وتفصيله

إن قدرة المتحدّث على أن يصل حديثه بعضه ببعض، والقدرة على تفصيل المعلومة في تتابع متناسق، وفي تناسب متواصل كل ذلك مهارة تساعد المتلقي على فهم الرسالة واستيعابها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١]، والتوصيل «تكثير الوصل وتكراره يعني أن القرآن أتاهم متتابعاً متواصلاً وعداً ووعيداً وقصصاً وعبراً ومواعظ ليتذكروا فيفلحوا»[٥٠] ومعناه: «فصّلنا لهم القول»[٥١].

ز ـ مناسبة المقال للحال

اهتمّ القرآن الكريم بمراعاة أحوال المخاطبين وواقعهم الذي هم عليه، وأكّد ضرورة مخاطبة كل حالة بالخطاب والأسلوب المناسبين لها. ولا شك في أن هذه مهارة لغوية لا يتقنها إلا من تمرّس أو تدرّب على أساليب القول، فخَبَرَ أنجعَها في التعامل مع الآخرين وأكثرها أثراً.

ومن مناسبة المقال للحال «أن يأتي الكلام في موضعه؛ لأن الكلام في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع به. . . [و] لأن لكل مقام قولاً»[٥٢].

ومن خلال التأمل في الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر القول موصوفاً بصفة بعده، تظهر لنا الدعوة إلى مراعاة المتكلم لأحوال أصناف المخاطبين، والحرص على إعطاء كل صنف منهم حاجته في الخطاب، فيتحقق بذلك الهدف من التحدث في: الإعلام، أو التبليغ، أو الإقناع، والتأثير لتغيير السلوك.

---

(٤٨) سمك، **فن التدريس للتربية اللغوية**، ص ٣١٥.

(٤٩) المصدر نفسه، ص ٢٩٤.

(٥٠) النسفي، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٢٧٠.

(٥١) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٨، ص ٢٧٤.

(٥٢) أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، **أدب الدنيا والدين** (بيروت: دار الكتب العلمية،

وفي ما يلي نقف مع بعض أوصاف القول في القرآن الكريم:

(١) القول الميسور

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨]. إن إعراض الرسول (ﷺ) عن الذين أمره الله بأن يعطيهم حقوقهم هو بسبب انتظار رزق ييسره الله، فيبيّن الله تعالى لنبيه الكريم كيف يخاطب هذه الفئة من الناس، فيقول: «إن أعرضت يا محمد عن إعطائهم لضيق يدٍ فقل لهم قولاً ميسوراً، أي أحسن القول، وأبسط العذر، وادع لهم بسعة الرزق»(٥٣)، والتناسب هنا هو بين حال المخاطبين المعوزين، وبين القول الميسور؛ فالمعوز بحاجة إلى اليسر لسدّ حاجته، فإن لم يتيسر العطاء المادي سدّ العطاء المعنوي مسدّه إلى حين ساعة اليسر.

(٢) القول المعروف

قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥] «أي كلاماً ليناً تطيب به نفوسهم»(٥٤).

ويبدو أن النساء أو الأيتام ـ غالباً ـ هم المخاطبون بالقول المعروف(٥٥)، فالقول المعروف مناسب لحال ضعفهم وواقع حاجتهم العاطفية.

(٣) القول اللين

قال الله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]. و«القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه»(٥٦) وهو الكلام الدال «على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق، ويميّز به بين الحق والباطل، مع تجنّب أن يشتمل الكلام على تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله»(٥٧).

١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ص ٢٣٩.

(٥٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٥، ص ٢٤٩.

(٥٤) محمد بن محمد العمادي أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، [د. ت.])، ج ٢، ص ١٤٥.

(٥٥) القرآن الكريم: «سورة البقرة،» الآية ٢٣٥؛ «سورة النساء،» الآيتان ٥ و٨، و«سورة الأحزاب،» الآية ٣٢.

(٥٦) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٦، ص ٢٠٠.

(٥٧) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ١٦، ص ٢٢٥.

وهذا القول مناسب في مجال الدعوة إلى الله. وحري بكل داعية أن يقتبس من نور النبوة في الدعوة إلى الله «فإذا كان موسى أُمِر بأن يقول لفرعون قولاً ليناً، فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه»[58]؛ فإن الدعوة مع الرفق «أكثر تأثيراً في القلب، أما التغلّظ فإنه يوجب التنفير والبعد عن القبول»[59].

(٤) القول الكريم

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]؛ فيكون القول الكريم من الولد مع والديه قولاً لطيفاً ليناً، ويقدّم لهما «أحسن ما يمكن من التعبير عنه من لطف القول وكرامته مع التأدب والحياء والاحتشام»[60].

والكريم عادة يقدم لضيفه أفضل ما لديه، ويجتهد في إكرامه وبذل العطاء له بخلاف أي عطاء آخر، كذلك الولد مع أبويه فإنه يجتهد في أن يقول أحسن ما عنده من الكلام لأبويه. وقد ذكر الطبري في تفسيره لهذه الآية أن القول الكريم هو «أحسن ما تجد من القول»[61] وصفته أن يكون «ليناً طيباً حسناً بتأدّب وتوقير وتعظيم»[62].

(٥) القول السديد

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠] «أي مستقيماً لا اعوجاج فيه ولا انحراف»[63] وهو القول الذي يكون «قاصداً ومتوجّهاً إلى هدف الحقّ... وهو ما يوافق ظاهره باطنه، وقيل: ما فيه إصلاح»[64].

والقول السديد هو صفة لازمة للمؤمن التقي «وتقديم الأمر بالتقوى

---

(٥٨) القرطبي، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٢٠٠.

(٥٩) فخر الدين محمد بن عمر الرازي، **التفسير الكبير**، ط ٤ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج ١٣، ص ٣٣.

(٦٠) الشوكاني، **فتح القدير**، ج ٣، ص ٢٧٥.

(٦١) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٤، ص ٥٤٩.

(٦٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٣، ص ٣٧.

(٦٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٢٩.

(٦٤) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ١١، ص ٩٥.

مشعر بأن ما سيؤمرون به من سديد القول هو من شُعَب التقوى كما هو من شعب الإيمان. والقول: الكلام الذي يصدر من فم الإنسان ويعبر عما في نفسه. والسديد: الذي يوافق السداد. والسداد: الصواب والحقُ... فشمل القولُ السديد الأقوال الواجبة والأقوال الصالحة النافعة مثل ابتداء السلام وقول المؤمن للمؤمن الذي يحبّه: إني أحبك... ويشمل القولُ السديد ما هو تعبير عن إرشاد من أقوال الأنبياء والعلماء والحكماء»(٦٥).

(٦) القول البليغ

قال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]. لما كانت الفئة المقصودة بالخطاب هم المنافقين، احتاج الأمر إلى أن يكون الخطاب معهم بلغة أقوى، وبأسلوب أكثر تأثيراً؛ فكان القول البليغ الزاجر والرادع لهم أنسب الأقوال التي توجّه لهذا الصنف من الناس، يقول القرطبي: «أي أزجرهم بأبلغ الزجر في السر والخلاء»(٦٦)؛ فيكون القول البليغ بأن تنصحهم «فيما بينك وبينهم بكلام بليغ رادع لهم»(٦٧).

فيكون كلاماً «بليغاً طويلاً حسن الألفاظ حسن المعاني مشتملاً على الترغيب والترهيب والإحذار والإنذار والثواب والعقاب، فإن الكلام إذا كان هكذا، عظم وقعه في القلب»(٦٨) وكان أثره أكبر، ونتائجه أفضل.

٦ ـ آداب التحدُث

للتحدّث آداب كثيرة ينوه بها القرآن الكريم ويؤكد عليها بتكرارها في مواضع متعددة، وأحوال مختلفة. ومن خلال التأمّل في ذلك يمكننا أن نجملها في ما يأتي:

أ ـ تحري الصدق والحق في جميع الأقوال والحذر من الكذب وتجنّبه

الصدق باللسان هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها. وهو قول الحق

(٦٥) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ٢٢، ص ١٢٢.

(٦٦) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٣، ص ٢٦٥.

(٦٧) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ١، ص ٥٣٢.

(٦٨) الرازي، **التفسير الكبير**، ج ١٠، ص ١٢٤.

والإخبار عن الواقع الذي يعلمه المتحدّث. و«المتحدّث الصادق هو بالطبع الأكثر تأثيراً في مستمعيه... والصدق يعني أن يعكس حديثك حقيقة مشاعرك وأفكارك وآرائك»(٦٩).

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٠٥﴾ [الأعراف: ١٠٤ ـ ١٠٥] أي: «حريص على أن لا أقول على الله إلا الحق [ومعنى حقيق] واجب وحق علي ذلك أن لا أخبر عنه إلا بما هو حق وصدق»(٧٠).

ويقول الله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢] «وتقول ألسنتهم الكذب وتفتريه»(٧١).

وقد بيَّنت بعض الدراسات أن تأثر المستمع أو عدم تأثره لا يرجع بالضرورة إلى عدم اهتمامه بالرسالة أو عدم فهمه لها؛ وإنما يرجع ـ بالدرجة الأولى ـ إلى صدق المرسل، فإن تصديق المستقبل للرسالة يؤثر في دوافعه نحو قبولها(٧٢).

ب ـ مطابقة الأفعال للأقوال

من الأدب مع النفس ومع الآخرين أن يتحدّث الإنسان منّا بما يفعل، وألا يخالف فعله قوله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢ ـ ٣] أي: «لم تقولون القول الذي لا تصدقونه بالعمل، فأعمالكم مخالفة أقوالكم»(٧٣) ومن هنا تبدأ ثقة المستمع في المتحدّث تضعف، فلا يتقبل حديثه ولا يتأثر به.

---

(٦٩) حجاب، **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة والدعاة**، ص ٩٦.
(٧٠) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٢، ص ٢٤٦.
(٧١) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٤، ص ٢٦١.
(٧٢) المصدر نفسه، ص٩٧ (بتصرف).
(٧٣) المصدر نفسه، ج ٢٢، ص ٦٠٦.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦]؛ «أي يدلّون بكلامهم عن الكرم والخير ولا يفعلونه»(٧٤).

وهكذا يُستَنْتج أن المطابقة بين الباطن والظاهر عند الإنسان تكون متمثّلة في كلامه، ويعني من ناحية أخرى مطابقة أقواله لأفعاله وتصرفاته، وحينئذٍ سيعكس حديثه قدراً كبيراً من الثقة بالنفس(٧٥).

وقد ذكر ذلك الماوردي أثناء حديثه عن آداب الكلام فقال: الرجلُ «إن قال قولاً حَقَّقَهُ بِفِعله، وإذا تكلّم بكلام صدّقه بعمله، فإن إرسال القول اختيار، والعمل به اضطرار. ولأن يَفْعَل ما لم يقل أجمل من أن يقول ما لم يفعل»(٧٦).

ج ـ العدل في القول

آداب التحدّث ليست ترفاً أو حلية يتزين بها المتحدّث فحسب، بل إن بعضاً من هذه الآداب ضرورة ينبغي أن يلتزم بها المتحدّث، ومن ذلك العدل في القول، وهو التزام الموضوعية في الحديث من دون ميل أو تحيّز، والإنصاف وعدم الجور. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢] «فقولوا الحق بينهم، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا»(٧٧). ويدخل فيه ـ كما ذكر ذلك الرازي في تفسيره لهذه الآيةـ «ما يقول المرء في الدعوة إلى الدين، وتقرير الدلائل عليه، بأن يذكر الدليل ملخصاً عن الحشو والزيادة بألفاظ مفهومة معتادة قريبة من الأفهام، ويدخل فيه أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واقعاً على وجه العدل من غير زيادة في الإيذاء والإيحاش، ونقصان عن القدر الواجب، ويدخل فيه الحكايات التي يذكرها الرجل حتى لا يزيد فيها ولا ينقص عنها. . .»(٧٨).

---

(٧٤) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٧، ص ١٥٢.

(٧٥) حجاب، **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة والدعاة**، ص ٩٦.

(٧٦) الماوردي، **أدب الدنيا والدين**، ص ٢٤٤.

(٧٧) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٩، ص ٦٦٦.

(٧٨) الرازي، **التفسير الكبير**، ج ١٣، ص ١٨٠.

د ـ مناسبة نبرة الصوت للموقف الاتصالي

الصوت هو أداة الإنسان في التعبير عن حاجاته، ونبرته ارتفاعاً وانخفاضاً مطلب لتحقيق المعاني التي يعبّر بها، إلا أن ارتفاعه فوق الحاجة يعد سلوكاً سلبياً لا يقبله المستقبل، كما إن انخفاضه قد يؤثر في قدرة المستقبل على الفهم.

إن هناك أربعة أوصاف لطبقة صوت المتحدّث قد تصرف عنه المستمعين، وهي الصوت المرتفع جداً أو المنخفض جداً أو الحاد جداً أو الصاخب جداً(٧٩).

ولذا، فيجب على المتحدّث أن يختار «نغمة الصوت التي تناسب موضوع الحديث، ويجب أن تكون البداية بنغمة معتدلة وطبيعية مع الاحتفاظ بإمكانية تغيير نبرة الصوت مع تطور موضوع الحديث لخلق الأثر المناسب»(٨٠).

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] «لأن في الجهر عدم مبالاة بالمخاطب وظهور استعلاء وعدم تذلل»(٨١). وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]؛ فـ «هذه آيات أدّب الله تعالى بها عباده المؤمنين، فيما يعاملون به الرسول (ﷺ) من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام»(٨٢).

هـ ـ نقل الحديث كما ورد

عندما يسمع المرء حديثاً فإنه يجب عليه أن ينقله كما هو من دون زيادة أو نقصان لأن ذلك من الأمانة العلمية في النقل. والتبديل والتحريف في المنقول يضعف تأثيره في نفوس المتلقين. قال الله تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ

---

(٧٩) طارق السويدان، **فن الإلقاء الرائع**، ط ٣ (الكويت: الإبداع الفكري، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ١٨٢.

(٨٠) هلال، **مهارات الاتصال**، ص ٩١.

(٨١) محمد بن يوسف أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، ط ٢ (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)، ج ٤، ص ٤٥٣.

(٨٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ٢٢٠.

﴿ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] أي إنّهم «بدّلوا قولاً غير الذي أُمِرُوا أن يقولوه فقالوا خلافه»[٨٣].

و ـ الابتعاد عن ليّ اللسان تشدّقاً وتكلّفاً بالكلام

على المتحدّث أن يتجنب التشدّق والتقعّر في الحديث، وإن كان جمال الحديث وجاذبيته في جودة إلقائه، إلا أن البون واسع والفرق شاسع بين جمال الإلقاء وسفسطة الإطراء، فاللّيّ والتشدّق والتكلّف محذور وممقوت، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]. يقول الرازي: «إنّ ليَّ اللسانِ تَثَنّيه بالتشدُّق والتنطُّع والتكلُّف، وذلك مذموم»[٨٤].

ز ـ الحرص على استخدام الحسن والطيّب والمعروف من القول

من أدب الحديث انتقاء أحسن الألفاظ وأجمل العبارات، ومخاطبة الناس بلغة معروفة يفهمها الجميع. لذا فهي من سمات المؤمنين ومن هداية الله لهم، قال الله تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤] ومعناه أن الله تعالى «يرشدهم إلى أقوال، أي يلهمهم أقوالاً حسنة يقولونها بينهم»[٨٥].

قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣]. والقول المعروف «هو الذي يعرفه الناس، أي لا ينكرونه، فالمراد به القول الحسن»[٨٦].

وفي دعوة ربانية إلى التأدب في القول واختيار أحسنه يقول تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣]. «والمقصد الأهم من هذا التأديب تأديب الأمة في معاملة بعضهم بعضاً بحسن المعاملة وإلانةِ القول، لأن القول ينمّ عن

---

(٨٣) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١، ص ٧٢٣.

(٨٤) الرازي، **التفسير الكبير**، ج ٨، ص ٢٦٨.

(٨٥) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ١٧، ص ٢٣٤.

(٨٦) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٧.

المقاصد... ثم تأديبهم في مجادلة المشركين اجتناباً لما تثيره المشادة والغلظة من ازدياد مكابرة المشركين وتصلّبهم»[٨٧].

وخلاصة القول: إن القرآن الكريم عبّر عن مهارة التحدُّث بألفاظ متنوعة، وكان لكل لفظ منها معانٍ متعددة تجمعها: كل ما ينتجه الفرد من لفظ صوتي يحمل معنى يعبّر به عن أفكاره ومشاعره وينقلها إلى غيره.

وقد وجّه القرآن الكريم إلى العناية بالكلمة المنطوقة قبل إنتاجها، وتحمّل مسؤوليتها بعد إنتاجها، وأشار ضمن آيات متعددة إلى أهداف التحدُّث ومهاراته، وأنها تدور حول: الإعلام والإفهام؛ التعبير عما في النفس؛ توضيح الفكرة وبيانها؛ الإقناع وقوة التأثير؛ الاتصال الإنساني؛ سلامة النطق؛ الدقة في التعبير؛ التفكير قبل التعبير؛ مناسبة المقال للحال.

كما أكدّ القرآن الكريم آداب التحدّث، ومنها: تحرّي الصدق ومطابقة الكلام للفعل، والعدل في القول، ومناسبة نبرة الصوت للموقف الاتصالي، ونقل الحديث بلا تبديل أو تحريف، والابتعاد عن ليّ اللسان والتشدّق والتكلّف، والحرص على انتقاء أحسن القول وأطيبه، حتى تطيب النفوس وتتآلف القلوب.

إن للعناية بمهارة التحدُّث، والحرص على تعلُّم مهاراتها وآدابها أثراً كبيراً على شخصية الفرد، وبناء المجتمع، فهي المحرك الأول للمشاعر والأحاسيس، وهي سبيل نقل المعرفة من فرد إلى آخر، وهي مهارة الإفهام والتعليم.

ثانياً: الكتابة في القرآن الكريم

الكتابة هي المهارة الثانية من مهارات الإرسال اللغوي، وهي التحدّث المكتوب، يعبّر من خلاله الفرد عن كل ما يجول في خاطره من مشاعر وأحاسيس، وينقل من خلالها أفكاره من الصورة الصوتية إلى الصورة الرمزية، فإنّ «اللفظ كلمة تُنطَقُ فتُسْمَع، فهي حركة محسوسة بحاسة السمع، وتصويرها بحروف الهجاء ينقلها لتكون مرئية بحاسة البصر»[٨٨].

---

(٨٧) المصدر نفسه، ج ١٥، ص ١٣٢.

(٨٨) نيكتور الكك وأسعد علي، **صناعة الكتابة**، ط ٣ (بيروت: دار غندور، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص ٣٩.

والكتابة مهارة اتصال لغوي مهمة، استطاع عن طريقها الإنسان أن يتجاوز الاتصال المباشر الذي يكون بين متحدّث ومستمع، إلى اتصال غير مباشر لا يلتزم بمكان أو زمان أو أفراد، حيث يستطيع الفرد من خلالها أن يكتب أفكاره وما يريد أن ينقله إلى الناس في عصره أو في ما بعده من عصور، وفي بلده أو خارجه.

إن لمهارة الكتابة شرفاً عظيماً، ولها مكانة مرموقة في جميع المجتمعات البشرية؛ لأنها هي التي تسجل للإنسان تاريخه وحضارته، وتنقلها إلى الأجيال القادمة أو الحضارات المختلفة المعاصرة.

وفي ما يأتي بيان لموقع الكتابة وأهميتها وأهدافها ومهاراتها في القرآن الكريم.

١ ـ مفهوم الكتابة

إذا كان التحدُّث تعبيراً عن المعاني برموز منطوقة؛ فإن الكتابة هي تعبير عنها ولكن برموز مكتوبة؛ فهي «أداة من أدوات التعبير عما يجيش بالصدر، وترجمة للأفكار التي تعتمل في العقل، ووسيلة أداء لما بين الأفراد والجماعات، والأمم والمجتمعات، وطريقة من طرق قضاء الحاجات»(٨٩).

ويعرّفها الشنطي بأنها «تحويل الأصوات اللغوية إلى رموز مخطوطة على الورق، أو غيره، متعارف عليها، بقصد نقلها إلى الآخرين، مهما تناءى الزمان والمكان، وبقصد التوثيق والحفظ، وتسهيل نشر المعرفة»(٩٠)؛ فهي طريق آخر لحمل الرسالة والاتصال بين الناس، ولكنه طريق يتميّز بالتأني والإعداد الجيد للرسالة، وتجاوُز الحدود الزمنية والمكانية.

يقول ابن خلدون في شأن الكتابة: هي «رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس. [وهي] ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية... إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يميز بها عن الحيوان. وأيضاً

---

(٨٩) فاضل فتحي والي، **تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية** (حائل: دار الأندلس، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص ٢٨٩.

(٩٠) محمد صالح الشنطي، **المهارات اللغوية**، ط ٤ (حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص ٢٠٥.

فهي تطّلع على ما في الضمائر وتتأدّى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة، فتقضى الحاجات. . . ويطلع بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين، وما كتبوه في علومهم وأخبارهم، فهي شريفة بهذه الوجوه والمنافع»[٩١].

٢ ـ ألفاظ الكتابة في القرآن الكريم ومعانيها

ذُكِرت الكتابة في القرآن الكريم بألفاظ متعددة، معظمها مشتقّ من الفعل (كتب)، إلا في موضعين أتت مشتقة من الفعل (نسخ).

وقد جاء لكل منهما صيغ متعددة، لكل صيغة معناها المفهوم من مدلول الكلمة نفسها أو من سياق الحديث، وسنناقشها في ما يأتي:

أ ـ (كتب) ومشتقاتها

وقد جاءت على صور متعددة ومعانٍ مختلفة، فجاءت على صيغ الأفعال كلها، وبصور متنوعة من الأسماء، ومن أبرز معانيها ما يأتي:

(١) الكتابة بمعناها الأصلي: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فهذا «أمر منه تعالى بالكتابة والحالة هذه للتّوثقة والحفظ»[٩٢] والمراد هنا الكتابة بمعناها الحقيقي.

(٢) القرآن الكريم أو الكتب السماوية الأخرى: ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]؛ فهذا «مَدْحٌ من الله ـ عز وجل ـ لكتابه القرآن العظيم المنزّل على رسوله الكريم»[٩٣].

(٣) اللوح المحفوظ: قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ

---

(٩١) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون** (القاهرة؛ بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٦)، ص ٢٦٦.

(٩٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ١، ص ٣٤٢.

(٩٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٥٥.

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]؛ فالمراد بقوله سبحانه وتعالى: «(إلا في كتٰب مبين) هو اللوح المحفوظ»[٩٤].

(٤) التشريع والفرض والقضاء: قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

(٥) بمعنى اجعلنا: قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣] أي: «فأَثْبِتْ أسماءَنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق، وأقرُّوا لك بالتوحيد، وصدّقوا رُسُلَك، واتّبعوا أمرَك ونهيَك، فاجْعَلْنَا في عِدادِهم ومعهم في ما تكرمهم به من كرامتك»[٩٥].

(٦) الرسالة أو الخطاب: قال تعالى على لسان سليمان (عليه السلام): ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]؛ فكان الكتاب وسيلة اتصال بينه (عليه السلام) وبين بلقيس وقومها «وذلك أن سليمان (عليه السلام) كتب كتاباً إلى بلقيس وقومها، وأعطاه لذلك الهدهد فحمله»[٩٦] إليهم.

ب ـ (نسخ) ومشتقاتها

وقد جاءت بمعنى الكتابة في القرآن الكريم في موضعين فقط قال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩] أي: «إنا كنا نستكتِبُ حَفَظَتَنَا أعمالكم، فتثبتُها في الكتبِ وتكتُبها»[٩٧]؛ فالاستنساخ هنا بمعنى طلب الكتابة.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]. وفي نسختها أي: «في ما نُسِخَ فيها وكُتِب. . . والنسخ الكتابة»[٩٨].

---

(٩٤) المحلي والسيوطي، **تفسير الجلالين**، ص ١٥٨.

(٩٥) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٥، ص ٤٤٥.

(٩٦) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٣، ص ٣٧٤.

(٩٧) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٢١، ص ١٠٤.

(٩٨) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ٥، ص ٧١.

٣ ـ أهمية الكتابة

الكتابة ركن أساس في العملية الاتصالية حيث يستطيع المرسل من خلالها تجاوز الحدود الزمنية والمكانية في اتصاله بالآخرين. وهي الوجه الآخر للّغة المنطوقة، ولذا نجد أن العلماء المحدثين يقررون أن للغة وجهين: «**الأول**: منطوق، و**الثاني**: مكتوب، وهذان الوجهان لا بد منهما لتحقيق عملية الاتصال»(٩٩).

وبالكتابة يسجل الإنسان تاريخه وحضارته، وبها يحفظ حقوقه ويوثّقها، ولها دور كبير في تقدُّم البشرية ورقيّها. كما إنها وسيلة تعليم أصيلة، ولها أثر كبير في توجيه الأفراد والتأثير في سلوكهم. يقول ابن خلدون مبيناً بعضاً من فوائدها: «هي حافظة على الإنسان حاجته ومقيمة لها عن النسيان، ومبلغة ضمائر النفس إلى البعيد الغائب، ومخلدة نتائج الأفكار والعلوم في الصحف، ورافعة رتب الوجود للمعاني»(١٠٠).

وقد اهتمّ القرآن الكريم بهذه المهارة، وبيّن أهميتها ودورها في الحياة، حيث «افتتحت الرسالة بالقراءة والكتابة»(١٠١) وهذا دليل على أهميتها وعِظَم شأنها.

وقد أقسم الله تعالى بالقلم، وهو الأداة الرئيسة للكتابة «لما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط بها الوصف»(١٠٢). قال تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]. وللقلم مكانة عظيمة عند العارفين «لشرفه بأنه يكتب به القرآن، وكتبت به الكتب المقدسة، وتكتب به كتب التربية ومكارم الأخلاق والعلوم، وكل ذلك مما له حظ شرف عند الله تعالى»(١٠٣). وقدر ورد عن ابن عباس قوله: إن «أول ما خلق الله القلم»(١٠٤).

وفي إشارة إلى أهمية الكتابة في كونها مهارة اتصال لغوي ذكر

---

(٩٩) البجة، **أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها**، ص ١٥١.

(١٠٠) المصدر نفسه.

(١٠١) محمد الأمين المختار الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج ٩، ص ١٩٩.

(١٠٢) النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج ٣، ص ١٨٤٤.

(١٠٣) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ٢٩، ص ٦٠.

(١٠٤) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٢٣، ص ١٤٦.

القرطبي في تفسيره لهذه الآية معنى (وما يسطرون) أي: «وما يكتب الناس ويتفاهمون به»[(١٠٥)].

والكتابة أداة رئيسة للتعليم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤] «يعني الخط والكتابة؛ أي: علّم الإنسان الخط بالقلم»[(١٠٦)].

وللكتابة أثر كبير في حفظ العلم ونشره، ولها ارتباط وثيق به؛ فقد ربط الله تعالى بين القلم والعلم والتعليم في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ٣ ـ ٥]. يقول القرطبي: إن الله تعالى «علّم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، ونبّه على فضل علم الكتابة، لما فيه من المنافع العظيمة، التي لا يحيط بها إلا هو»[(١٠٧)].

وقد ذكر ابن كثير أن العلم يكون في الأذهان وفي اللسان وفي البنان، وأن العلم الذي يكون في الكتابة هو نتاج علم الأذهان وعلم اللسان، فقال: «والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان، وتارة يكون في الكتابة بالبنان، ذهني ولفظي ورسمي، والرسمي يستلزمهما من غير عكس، فلهذا قال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾. وفي الأثر: قيدوا العلم بالكتابة»[(١٠٨)].

ويظهر دور الكتابة وأهميتها أيضاً من خلال حفظ العلوم وتوثيقها، وتدوين الوقائع والحوادث فما «دوّنت العلوم، ولا قيّدت الحكم، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة؛ ولو لاها هي ما استقامت أمور الدين والدنيا»[(١٠٩)].

ولها أهمية كذلك في حفظ الحقوق بكتابتها كما أمر الله بذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وكذلك في كتابة العقود والاتفاقيات التجارية بين الأطراف المختلفة.

---

(١٠٥) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٩، ص ٢٢٥.
(١٠٦) المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٢٠.
(١٠٧) المصدر نفسه.
(١٠٨) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ٤، ص ٥٦٤.
(١٠٩) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٠، ص ١٢٠.

وفي بداية الدعوة الإسلامية أمر الرسول (ﷺ) أصحابه بالكتابة، ومنهم كتّاب الوحي الذين كانوا يكتبونه بين يديه. وفي تعامله (ﷺ) مع أسرى بدر فادى بعضهم على تعليم جماعة من المسلمين الكتابة، حيث لم يكن لدى بعض هؤلاء الأسرى مال، فجعل رسول الله (ﷺ) فِداءَهم أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة[١١٠].

وفي توجيه آخر للرسول (ﷺ) إلى العناية بالكتابة، وأنها سبيل التعليم ورد «عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه) قال: يا رسول الله، أأكتب ما أسمع منك من الحديث؟ قال: نعم فاكتب، فإن الله علّم بالقلم»[١١١].

وللكلمة المكتوبة مسؤولية يتحمّلها من كتبها، فكما إن الكلمة المنطوقة ملك للمتكلّم قبل أن ينطق بها، فإذا نطق لم يعد يملكها؛ فإن الكلمة ملك لكاتبها قبل أن تخطها يمينه، فإن كتبها لم يعد يملكها، بل هو مسؤول عن تبعاتها إن خيراً فخير، وإن شراً فشرّ، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] وفي هذا «بيان لجرمهم وإثبات لمجاهرتهم الله، وفرق بين من كتب وبين من أمر، إذ المتولي للفعل أشدّ مواقعة ممن لم يتولّه، وإن كان رأياً له»[١١٢].

٤ ـ أهداف الكتابة

من خلال استقراء الآيات القرآنية التي ذكرت فيها الكتابة، يمكننا أن نشير إلى أن أهداف الكتابة كما جاءت في القرآن الكريم تنحصر في ما يأتي:

أ ـ التوثيق والحفظ

يسعى الكاتب من خلال كتابته لما يهتم به من أمور إلى حفظ ما يكتبه

---

(١١٠) محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، **زاد المعاد في هدى خير العباد**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ج ٣، ص ١٠٢.

(١١١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٠، ص ١٢٠.

(١١٢) أبو محمد عبد الحق بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ١٠٥.

وتوثيقه[١١٣]، وتكاد تدور معظم الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الكتابة حول هذا الهدف.

ومن ذلك هدف الحفظ والتوثيق للحقوق المالية كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. حيث «القصد من الأمر بالكتابة التوثيق للحقوق، وقطع أسباب الخصومات»[١١٤].

ومنه أيضاً، ورد الحفظ والتوثيق للعقود والاتفاقيات في قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣]. يقول ابن عاشور شارحاً: «الكتاب: مصدر كاتب إذا عاقد على تحصيل الحرية من الرقّ على قدر معيّن من المال يُدفع لسيد العبد... وسمّوا ذلك كتابة لأن السيد وعبده كانا يسجلان عقد تنجيم عوض الحرية بصك يكتبه كاتب بينهما، فلما كان في الكتب حفظ لحق كليهما أطلق على ذلك التسجيل كتابة لأن ما يتضمنه هو عقد من جانبين»[١١٥].

وورد الحفظ والتوثيق لأعمال العباد وأقوالهم، في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]. أي: «نجمع له عمله كله في كتاب يُعطاه يوم القيامة»[١١٦].

وورد ذكر الحفظ والتوثيق للعلم في آية أخرى، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا﴾ [النبأ: ٢٩] «قيل: المراد به العلم، لأن ما كتب كان أبعد من النسيان»[١١٧]. ولأن «الكتابة هي النهاية من قوة العلم، ولهذا قال (ﷺ): قيدوا العلم بالكتابة»[١١٨].

---

(١١٣) يقول ذو الرمة لعيسى بن عمر مبيناً دور الكتابة في الحفظ والتوثيق: «اكتب شعري فالكتابُ أعجبُ إليّ من الحفظ إن الأعرابيّ لينسى الكلمة قد سَهِرتُ في طلبها ليلةً فيضَع موضِعَها كلمة في وزنها لا تساويها، والكتاب لا ينسى ولا يبدّل كلاماً بكلام». انظر: أحمد بن علي القلقشندي، **صُبح الأعشى في صناعة الإنشا** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ج ١، ص ٦٥.

(١١٤) عايد عبد الله الحربي، «آية الدين تفسيرها وفقهها،» **مجلة الجامعة الإسلامية** (المدينة المنورة)، السنة ٣٧، العدد ١٢٦ (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٢٥.

(١١٥) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ١٨، ص ٢١٩.

(١١٦) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٣، ص ٣٠.

(١١٧) الشوكاني، **فتح القدير**، ج ٥، ص ٤٥١.

(١١٨) الرازي، **التفسير الكبير**، ج ٣١، ص ٢٠.

وورد الحفظ والتوثيق لإقامة الحجة والبرهان بالمكتوب في موطن آخر، قال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الصافات: ١٥٧] «فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله»[١١٩] أو «هاتوا برهاناً على ذلك يكون مستنداً إلى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى»[١٢٠]. وورد الحفظ والتوثيق كذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: ١٠-١١] وهكذا كان هدف هذه الكتابة «إقامة الحجة على الإنسان»[١٢١].

ب ـ التعليم

يكون هدف الكاتب هنا إرسال معلومة إلى المتلقي، وتكون هذه المعلومة بصيغة رمزية، فيستخدمها الكاتب هنا للتعليم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤].

والكتابة «أداة المعلم في تعليم المتعلم. وأداة المتعلم في إيضاح ما تعلّم وإبرازه والكشف عن مدى فهمه»[١٢٢]. وإن «أعظم شاهد لجليل قدرها، وأقوى دليل على رفعة شأنها، أن اللهّ تعالى نسب تعليمها إلى نفسه، واعتدّه من وافر كرمه وإفضاله»[١٢٣] فقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ٣ ـ ٥].

ج ـ الإعلام والتبليغ

يستخدم الإنسان الكتابة بهدف إعلام الآخرين بخبر أو دعوة إلى خير، ووسائل الإبلاغ والإعلام تنوعت وتعددت في عصرنا الحاضر، ولكن تبقى الرسالة والمخاطبات الوسيلة الأنجع في تحقيق ذلك الهدف، قال تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَـٰبِى هَـٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل: ٢٨]. يقول ابن عاشور: «ألهم الله سليمان بحكمته أن يجعل لاتصاله ببلاد اليمن طريقَ المراسلة... فكتب إلى ملكة سبأ كتاباً لتأتيَ إليه وتدخلَ تحت طاعته وتُصلح ديانة قومها... ولم يزل تبادل الرسائل بين الملوك من سنّة الدول

(١١٩) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٩، ص ٦٤٣.
(١٢٠) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ٢٥.
(١٢١) الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج ٩، ص ٤٨.
(١٢٢) مجاور، **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية**، ص ٤٩٩.
(١٢٣) القلقشندي، **صُبح الأعشى في صناعة الإنشا**، ج ١، ص ٦٣.

ومن سنة الدعاة إلى الخير. وقد كتب النبي (ﷺ)إلى كسرى وقيصر»[١٢٤].

د ـ التنظيم لشؤون الإنسان في المجتمعات

تنظم الكتابة جميع شؤون الإنسان، ولها دور كبير في ذلك، فهي «قوام المعاملات التي تنظم شؤون الدولة محلياً ودولياً. فـ بها ومن خلالها تُنظّم شؤون الحكم والإدارة والسياسة والقضاء والتشريع والتوثيق والتمليك والتجارة والصناعة وسائر شؤون الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية»[١٢٥]. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وقال الله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور: ٣٣].

ومن ذلك المكاتبات الإدارية؛ ضبط أحوال الموظفين؛ تدوين السياسات العامة للدولة؛ توثيق الاتفاقيات الدولية إلى غير ذلك من الجوانب التي تمسّ شؤون الإنسان وترعى المحافظة على مصالحه؛ المحافظة على النظام العام للمجتمع.

٥ ـ مهارات الكتابة

من المهم جداً أن ندرك أن إتقان مهارات الكتابة ضرورة للقيام بالاتصال غير المباشر[١٢٦] مع الآخرين؛ فمن لم نتمكن من الاتصال معه تحدثاً واستماعاً، فإننا يمكن أن نتواصل معه كتابةً؛ ولهذا فإن التمكّن من مهارات الكتابة مطلب لتحقيق ذلك التواصل.

ويذكر ماكسين (Maxine)، بعضاً من العناصر[١٢٧] التي يجب أن يتنبّه إليها الكاتب عند كتابته ليكون تواصله ناجحاً، وهي:

---

(١٢٤) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ١٩، ص ٢٥٧.

(١٢٥) الشنطي، **المهارات اللغوية**، ص ٢٠٧.

(١٢٦) الاتصال المباشر هو ما كان بين المتكلم والمستمع وجهاً لوجه، وغير المباشر هو خلاف ذلك، ومنه ما كان بين الكاتب والقارئ.

(١٢٧) Maxine Hairston and Michael Keene, ***Successful Writing***, 4th ed. (New York; London: Norton, 1998), p. 8.

أ ـ أن تكون المادة المكتوبة ذات أهمية.

ب ـ أن تكون واضحة.

ج ـ أن تكون مترابطة الأفكار.

د ـ أن تُكتب بلغة سليمة فصحى وليس بلهجة عاميّة.

هـ ـ أن تلتزم بالقواعد النحوية.

ومن أهم مهارات الكتابة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم: وضوح الكتابة والتفصيل فيها، ذلك أن «الوضوح والتحديد والسلاسة في الفكرة»[١٢٨] مهمة جداً في إيصال الرسالة إلى المتلقي بدقة، واستيعابه لمحتواها، قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]. أي: «كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام»[١٢٩].

وفي الكتابة الجيدة المعبّرة «يجب أن نعطي القارئ فكرة واضحة عما نحاول أن نقول»[١٣٠] من خلال التناسب بين الكلمة والمعنى، والعناية بالتفصيل المعتدل الذي يخدم الفكرة، ويحملها إلى ذهن القارئ بسهولة ويسر من دون غموض أو تعقيد.

ووضوح الفكرة يمكن أن يبرز من خلال ما يأتي:

(١) اختيار اللفظ الصحيح الذي يعبّر عن المعنى المراد.

(٢) تنظيم هذه الألفاظ في منطقية وتسلسل [١٣١].

ومن الواضح أن تنظيم السطور ومراعاة التناسق «بين الحروف طولاً واتساعاً وتناسق الكلمات في أوضاعها وأبعادها»[١٣٢] يعدّ من المهارات

---

(١٢٨) سمك، **فن التدريس للتربية اللغوية**، ص ٣٣٧.

(١٢٩) جار الله محمود الزمخشري، **تفسير الكشاف** (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ٣٨٧.

(١٣٠) مصطفى، **مهارات اللغة العربية**، ص ١٨٠.

(١٣١) مجاور، **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية**، ص ٥٥٩ (بتصرف).

(١٣٢) مصطفى، المصدر نفسه، ص ١٦٣.

الكتابية ذات الاعتبار، فهي تسهّل على القارئ فهم المكتوب، وتعبرّ عن المعاني بدقة، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾ [الطور: ٢-٣]. أي: «مكتوب على وجه الانتظام، فإن السطر ترتيب الحروف المكتوبة»[١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١]. ويسطرون «مضارع سطَر... إذا كتب كلمات عدة تحصل منها صفوف من الكتابة»[١٣٤].

ويقصد بتنظيم الكتابة على وجه الإجمال: «الترتيب العام لقطعة مكتوبة، أو تحديد الهيكل العام لها، وللتنظيم [كذلك] أهمية كبيرة؛ لأنه هو الذي يحقق للقارئ القراءة السهلة السريعة»[١٣٥] والذي يضبط ذلك التنظيم تناسق السطور واتساق الحروف والكلمات.

وإتقان الخط على اتصال وثيق بمهارة الكتابة فهو «ليس مظهراً جمالياً، بل هو متمّم لصحة الكتابة؛ لأنه يوفر لها صفة الوضوح، فضلاً على الجمال الذي يجذب القارئ، فالخط الجميل يغري بالقراءة ويحدث أثراً نفسياً طيباً»[١٣٦]. والكتابة الجميلة هي الكتابة التي تتميّز بالدقة في كتابة حروفها، واتساق الحروف مع بعضها في الكلمة الواحدة، وانتظام الكلمات وانسجامها على سطر واحد.

ويضاف إلى ذلك، العناية بالرسم الإملائي وعلامات الترقيم والضبط النحوي والصرفي، فإنّ لهما دوراً كبيراً في توضيح المعاني وإبرازها للمتلقي، لأن الخطأ في واحد منها يترتب عليه خطأ في الفهم نتيجة لما التبس من المعاني في ذهن المتلقي.

٦ ـ بعض أدبيات الكتابة

يمكننا أن نستنبط بعض أدبيات الكتابة من خلال استقراء بعض الآيات القرآنية التي أشارت إليها، ومنها:

(١٣٣) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج ٨، ص ١٤٦.
(١٣٤) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ٢٩، ص ٦١.
(١٣٥) مصطفى، **مهارات اللغة العربية**، ص ١٨٣.
(١٣٦) الشنطي، **المهارات اللغوية**، ص ٢٠٦.

أ ـ كتابة الدين

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ويمكن أن نستنتج من هذه الآية الكريمة ما يلي:

(١) أن الهدف من الكتابة: حفظ الحقوق وتوثيقها.

(٢) أن من أهم صفات الكاتب ما يأتي:

(أ) **العدل**: والعدل من الصفات التي يجب أن يتحلى بها كل كاتب، فيتحرى الموضوعية والصدق والأمانة في ما يكتب أو ينقل ومعنى قوله تعالى: ﴿كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ أي: «كاتب مأمون على ما يكتب، يكتب بالاحتياط لا يزيد على ما يكتب ولا ينقص»(١٣٧).

(ب) **الكتابة على علم من الله**: بأن تكون على ما جاء عن الله تعالى ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ﴾ فـ «يكتب على ما علّمه الله، وأن لا يخلّ بشرط من الشرائط»(١٣٨) التي تحفظ بها الحقوق؛ فإن الله تعالى لما علّم الكاتب «الكتابة، وشرّفه بمعرفة الأحكام الشرعية، فالأَوْلى أن يكتب تحصيلاً لأخيه المسلم شكراً لتلك النعمة»(١٣٩).

(٣) أن من أهم صفات المملي ما يلي:

---

(١٣٧) النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج ١، ص ١٩٤.

(١٣٨) الحربي، «آية الدين تفسيرها وفقهها،» ص ٣٦.

(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(أ) **التقوى**: (وليتقّ الله ربه) أي: «في ما يمليه ويقرّ به»[١٤٠] وأن يتحرى الصدق والحق في ذلك اتقاء لله وخشية منه.

(ب) الحذر **من أن يبخس منه شيئاً**: (ولا يبخس منه شيئاً)؛ فهذا «نهي للذي عليه الحق عن البخس، وهو النقص في ما يمليه على الكاتب من إقرار بالدين وقدره وشرطه وأجله»[١٤١].

(ج) **العدل**: (فليملل وليه بالعدل) فليتحرَّ المملي الحق والإنصاف من دون زيادة أو نقصان.

(٤) أن من أبرز فوائد الكتابة وآثارها ما يأتي:

(أ) إن أول فوائد هذه الكتابة: العدل وإحقاق الحق، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

(ب) وثاني فوائدها: إثباتها، والإعانة على أدائها والقيام بها، يقول تعالى: ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

(ج) وثالث هذه الفوائد «منع الريب وما يترتب عليه»[١٤٢] فكل ما هو مثبت بالكتابة حق لا خلاف ولا تنازع فيه، وخلافه غير ذلك، يقول تعالى: ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾ [البقرة: ٢٨٢].

يعلّق الحافظ ابن كثير على هذه الفوائد قائلاً: «وقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾ أي: هذا الذي أمرناكم به من الكتابة للحق إذا كان مؤجلاً هو ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: أعدل ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أثبت للشاهد إذا وضع خطه ثم رآه تذكر به الشهادة، لاحتمال أنه لو لم يكتبه أن ينساه، كما هو الواقع غالباً ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟﴾ وأقرب إلى عدم الريبة، بل ترجعون عند التنازع إلى الكتاب الذي كتبتموه، فيفصل بينكم بلا ريبة»[١٤٣].

ب ــ كتابة الرسالة

الرسالة مجال من مجالات الكتابة، وهي وسيلة اتصال لغوي بين من بعدت

---

(١٤٠) المصدر نفسه، ص ٤٢.
(١٤١) المصدر نفسه، ص ٤٢.
(١٤٢) المصدر نفسه، ص ٧٦.
(١٤٣) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ١، ص ٣٤٣.

بهم المسافات. وهي «نوع من الكتابة التي يخاطب بها إنسانٌ إنساناً على الرغم من بعد الزمان والمكان، ليذكر له شيئاً معيناً، أو ليعبّر عن مشاعره نحوه. وهي الكتابة التي يخاطب بها الغائب بلسان القلم»[١٤٤]. وقد استخدمها الإنسان قديماً، وبخاصة في المراسلات التي كانت بين الملوك والقادة والزعماء.

وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم بلفظ (الكتاب) كما في قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٢٩-٣١].

حيث جاءت الكتابة في هذه الآيات بمعنى الرسالة «وذلك أن سليمان (عليه السلام) كتب كتاباً إلى بلقيس وقومها. وأعطاه ذلك الهدهد فحمله. . . فجاء إلى قصر بلقيس. . فألقاه إليها»[١٤٥]، ويظهر من خلال ذلك بعض أدبيات كتابة الرسائل، ومن أهمها:

(١) بدء الكتاب باسم المرسل.

(٢) ذكر البسملة في أول الكتاب.

(٣) عرض الموضوع بإيجاز واختصار.

وتظهر جميع عناصر الاتصال اللغوي من خلال هذه الرسالة، قال تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل: ٢٨-٣١].

الجدول الرقم (٣ ـ ١)
عناصر الاتصال اللغوي في مهارة الكتابة

مهارة الاتصال اللغوي (الكتابة)	المرسل	الرسالة	الوسيلة	المستقبل	التغذية الراجعة
	سليمان (عليه السلام)	الدعوة إلى التوحيد	رسالة مكتوبة	بلقيس ملكة سبأ	ملاحظة الأثر
	(إنه من سليمٰن)	(ألاّ تعلوا علّي وأتوني مسلمين)	(بكتٰبي)	(فألقه إليهم)	(فانظر ماذا يرجعون)

---

(١٤٤) أحمد فؤاد عليان، **المهارات اللغوية: ماهيتها وطرائق تنميتها**، ط ٢ (الرياض: دار المسلم، ٢٠٠٠)، ص ١٥٠.

(١٤٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٣، ص ٣٧٤.

٧ ـ أدوات الكتابة

يحتاج الكاتب إلى بعض الأدوات للقيام بعملية الكتابة، وقد تعدد ذكرها في القرآن الكريم، ومنها:

أ ـ القلم

وقد كان قديماً «شَظيَّة من قصب ترقق وتثقّف وتبرى بالسكين لتكون ملساء بين الأصابع، ويُجعل طرفها مشقوقاً في طول نصف الأنملة، فإذا بلّ ذلك الطرف بسائل المداد يخط به على الورق وشبهه»[١٤٦]. أما الآن فقد تعدّدت أنواعه وأشكاله بتعدد استخداماته.

وهو أهم أداوت الكتابة، يقول الطبري في ذلك: «القلم نعمة من الله عظيمة، لولا ذلك لم يقم ولم يصلح عيش»[١٤٧]. وقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى أهمية الكتابة من خلال القَسَم بالقلم وربط العلم به. قال الله تعالى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]. ويقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]. والقلم هو اللسان الذي يقول ما يمليه عليه الكاتب.

والقلم هو اللسان الثاني، الذي يعبر به الكاتب عن أفكاره، ويقدم عقله للناس من خلال كتاباته، وكما قيل: إن الكاتب عندما يكتب فكأنه يقدّم عقله للناس.

ب ـ المداد

وهو الحبر الذي يغذّي القلم فيكتب، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، يقول ابن كثير شارحاً: «يقول تعالى: قل يا محمد: لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه، (لنفد البحر) أي: [لفرغ البحر] قبل أن يفرغ من كتابة ذلك (ولو جئنا بمثله مدداً) أي: بمثل البحر آخر، ثم آخر، وهلم جرّا، بُحور تمده ويكتب بها، لما نفدت كلمات الله»[١٤٨].

---

(١٤٦) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٤٤٠ ـ ٤٤١.

(١٤٧) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٢٤، ص ٥٢٧.

(١٤٨) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٣، ص ١١٤.

ج ـ القرطاس والصحيفة والجلد

وهي ما يُكتب عليه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ٧] «والكتاب مصدر بمعنى الكتابة، والقرطاس الصحيفة»(١٤٩).

وقال تعالى: ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ٣]. والرَّق «ما يكتب فيه، وهو جلد رقيق، قال المبرد: الرقّ ما رقّ من الجلد ليكتب فيه»(١٥٠).

وقال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: ٥٢]. أي: «بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها»(١٥١).

خلاصة

خلاصة القول، إن لمهارة الكتابة دوراً وأهمية في عملية الاتصال اللغوي، فهي تمثّل مهارة الإرسال الثانية بعد التحدُّث، وقد عبّر عنها القرآن الكريم بعدد من الألفاظ التي يعود أصلها إلى كلمتين هما (كتب ونسخ).

وقد نبّه القرآن الكريم إلى أهمية الكتابة عندما افتتح بها الرسالة المحمدية، فذكر أنها طريق العلم، وربطها به في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]؛ فهي أداة رئيسة للتعليم.

كما إن أهداف الكتابة في القرآن الكريم كانت محددة في التوثيق والحفظ بصورة كبيرة، ثم التعليم والإعلام وتنظيم شؤون الإنسان في المجتمع.

أما مهارات الكتابة في القرآن الكريم فكانت تدور حول الوضوح والتفصيل والدِّقة، كما أكّد مهارة التنظيم والتناسق بين الحروف وجودة الخط.

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض أدبيات الكتابة، ومنها كتابة العقود وكتابة الحقوق وكتابة الرسائل.

---

(١٤٩) الشوكاني، **فتح القدير**، ج ٢، ص ١٢٧.
(١٥٠) المصدر نفسه، ج ٥، ص ١١٦.
(١٥١) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ١٥، ص ١٦٨.

وقد أشار إلى بعض أداوت الكتابة، ومن أهمها القلم، وكان للحديث عن القلم في سياق القَسَم دلالة على عِظَم شأنه، كما ذكر أيضاً المداد والقرطاس والصحيفة والجِلد في مواضع متفرقة.

إن الدور الكبير الذي تقوم به الكتابة في عملية الاتصال اللغوي بين الناس، ووظيفتها في حفظ الحقوق وتوثيقها، والتعليم، وتنظيم حياة الإنسان وعلاقته بالآخرين، تحتّم على الفرد العناية بها والحرص على تعلّمها وإتقان مهاراتها.

الفصل الرابع

مهارات الاستقبال اللغوي في القرآن الكريم

تمهيد

يحتاج الإنسان إلى المعرفة، وهو يبذل في سبيل الوصول إليها الكثير من الجهد، هذه المعرفة التي تكوّن لديه الكثير من الخبرات والمهارات التي يحتاج إليها في حياته بشكل عام.

لذا فإنه يتلقى المعارف والعلوم، ويبني خبراته وتصوراته من خلال استخدامه لمهارتَي الاستقبال اللغوي، وهما: الاستماع والقراءة.

إن التفاعل مع الآخرين، والتفاهم معهم، ومعرفة أفكارهم ومشاعرهم، والحصول على ما لديهم من علم ومعرفة يتمّ عبر قنوات الاستقبال لدى الفرد، فيستمع إلى ما يُقال في اتصال مباشر، ويقرأ ما يُكتب في اتصال غير مباشر.

وتصنّف هاتين المهارتين على أنهما مهارتا استيعاب[1] لأن الفرد من خلالهما يستطيع أن يستوعب ما يرسله الآخرون عن طريق استقباله للصوت الملفوظ أو الرمز المكتوب.

---

(١) مرضي غرم الله الزهراني، «فعالية مجمّعات تعليمية في تنمية المهارات اللغوية لدى طلاب المستوى الأول في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى واتجاهاتهم نحوها،» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م)، ج ١، ص ٥٥.

والاستماع، مهارة استقبال شفوية، وهي من أكثر المهارات استخداماً في حياة الفرد، ويستقبل من خلالها المعلومات أو المشاعر أو الأفكار التي يرسلها الآخرون تحدُّثاً، فيحقق أهدافه، ويتعلّم، ويتأثر بالمجتمع الذي حوله.

أما **القراءة**، فهي مهارة استقبال كتابية، يتجاوز من خلالها القارئ عوائق الزمن والمكان، فيتعلّم، وينمي شخصيته، ويبني أفكاره، ويربط فكره بفكر الآخرين.

وفي هذا الفصل سأتناول مهارتَي الاستقبال اللغوي (الاستماع والقراءة) في القرآن الكريم، مناقشاً المفهوم والألفاظ والأهداف والمهارات والآداب لكل مهارة منهما.

أولاً: الاستماع في القرآن الكريم

الاستماع هو المهارة الأولى من مهارات الاستقبال اللغوي، وهو مصدر التلقي الأول لدى الإنسان، إذ يستقبل من خلاله الرسائل الصوتية التي يبعثها الآخرون، يستقبلها عن طريق الأذن التي تقوم بدورها في إرسال تلك الإشارات إلى العقل لفكّ رموزها وفهمها وتفسيرها.

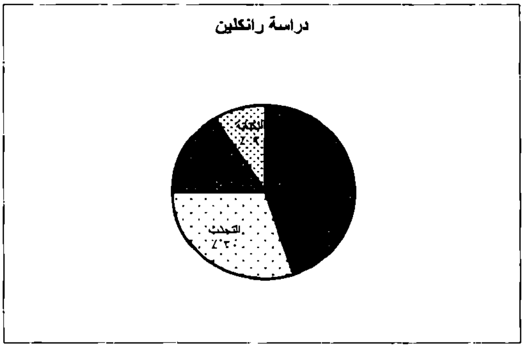
إن الاستماع عملية عقلية تتآزر فيها مجموعة من أعضاء الجسم لتحقيق هذا النشاط الإنساني الرئيس الذي يمكّن الفرد من التفاعل مع مجتمعه، والتفاهم مع الآخرين لتبادل المنافع والحاجات إلى جانب التحدّث.

ويستغرق الاستماع معظم وقت التواصل الذي نقضيه مع الآخرين؛ ففي دراستين أُجريتا، الأولى على راشدين (رانكلين، ١٩٢٩م)، والأخرى على طلبة جامعيين (باركر وآخرون، ١٩٨٠م)، تبيّن أن الاستماع احتلّ مساحة زمنية من نشاطاتنا التواصلية أكثر من غيره، وقد أكّدت دراسات أخرى نتائج هاتين الدراستين التي يوضحها الشكلان الآتيان [٢]:

(٢) محمد بلال الجيوسي، **أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني** (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص ٤٦.

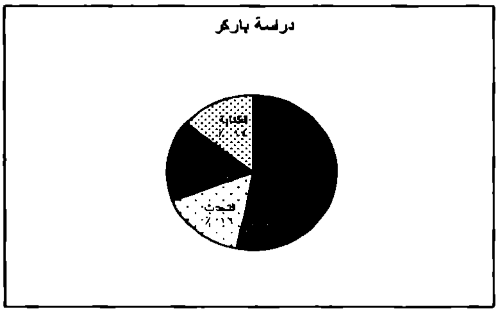
الشكل الرقم (٤ ـ ١)

نتائج دراسة رانكلين حول الاستماع



الشكل الرقم (٤ ـ ٢)

نتائج دراسة باركر حول الاستماع



١ ـ مفهوم الاستماع

يمثّل الاستماع الاستقبال اللغوي الشفهي، وقد عرّفته جمعية الاتصال الخطابي الأمريكية بأنه: «عملية استقبال واستيعاب الأفكار والمعلومات من الرسائل الشفهية... [و] يتضمن الفهم النقدي والواقعي للأفكار والمعلومات التي نحصل عليها عن طريق اللغة الشفهية»(٣).

ويعرّفه الجيوسي بأنه «جهد إيجابي مخلص مقصود وشاق، يتضمن

(٣) محمد منير حجاب، **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة**، ط ٤ (القاهرة: دار الفجر، ٢٠٠٣)، ص ٢٢.

الانتباه لرسالة ما، وإدراكها من وجهة نظر صاحبها، وفهمها على نحو متكامل، وتقييمها»[٤].

والاستماع هو المهارة الرئيسة من مهارات الاتصال اللغوي لأنه سبيل الفرد إلى الاتصال بالعالم الخارجي، كما إنه أساس في إتقان المهارات الأخرى بصورة جيدة، وله دور كبير في العملية التعليمية؛ فمعظم المناشط المدرسية تقوم على التفاعل اللفظي بين المعلم وتلاميذه.

٢ ـ ألفاظ الاستماع في القرآن الكريم ومعانيه

من خلال التتبّع للجذر (س م ع) في القرآن الكريم، تبيّنَ أنه جاء بألفاظ متعددة ومعان مختلفة، فجاءت بعض ألفاظه بصيغة الاسم، وانحصرت هذه الألفاظ في معنيين:

المعنى الأول: التعبير عن حاسة السمع وأداتها الأذن[٥] كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨] أي: «السمع الذي تسمعون به»[٦].

والمعنى الثاني: التعبير عن فعل السمع[٧] كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ١٠١]، أي: «لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلو عليهم...»[٨] فلا يقومون بفعل السمع.

وجاءت ألفاظ أخرى بصيغ الفعل ماضياً ومضارعاً وأمراً، فأتت بعدة معان منها: السماع المجرد بالأذن، والعلم، والمعرفة، والفهم، والقبول، والطاعة، والإجابة، والتصديق، والتدبّر، والتعقّل، والخبرة السابقة، أو دعوة إلى السماع أو التعجب.

---

(٤) الجيوسي، المصدر نفسه، ص ٤٧.

(٥) انظر: سورة البقرة: الآية ٧، سورة الأنعام: الآية ٤٦، سورة النحل: الآية ٨٧، وسورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٦) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق عبد الله التركي (الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج ١٧، ص ٩٦.

(٧) انظر: سورة هود: الآية ٢٠، سورة الحجرات: الآية ١٨، وسورة الشعراء: ٤ الآية ٢٢٣.

(٨) جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **تفسير الجلالين** (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ص ٣٦٤.

ومن الأمثلة على بعض تلك المعاني[٩] ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] يقول الطبري: قالوا: «سَمِعْنا قول ربنا، وأمره إيانا بما أمرنا به، ونهيه عما نهانا عنه»[١٠] ويقول ابن كثير: «أي: سمعنا قولك يا ربنا وفهمناه، وقمنا به وامتثلنا العمل بمقتضاه»[١١].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] أي: «سماع إصغاء وتفهّم وإرادة الحق»[١٢] وكذلك «يَقبلُ دعوتَك إلى الإيمان الذين يسمعون ما يُلقىٰ إليهم سماعَ تفهمٍ وتدبُّر»[١٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣] أي: «فاستمع لوحينا الذي نوحيه إليك وَعِه، واعمل به»[١٤] ففيه توجيه للمستمعين وتنبيه لهم.

إن تعدّد صيغ الاستماع في القرآن الكريم واختلاف معانيه يعطي دلالة مهمة على أهميته وعظم مكانته في الاتصال اللغوي، وهذا ما سنقف عليه في الآتي من الصفحات.

٣ ـ أهمية الاستماع في القرآن الكريم

منَّ الله سبحانه وتعالى على الإنسان بنعم كثيرة، فوهبه العقل الذي به يفكر، والقلب الذي به يتفكر، والأذن التي بها يسمع، واللسان الذي به يتكلم، والعين التي بها يبصر وغيرها من النعم التي أوجدها فيه، قال الله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

---

(٩) انظر: سورة البقرة: الآية ٩٣، سورة المائدة: الآية ١٠٨، سورة التغابن: الآية ١٦، سورة الأنعام: الآية ٣٦، وسورة الشعراء: الآية ٧٢.

(١٠) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٥، ص ١٥١.

(١١) إسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط ٩ (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ج ١، ص ٣٥٠.

(١٢) أبو عبد الله محمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (الرياض: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ج ٣، ص ٤١٨.

(١٣) محمد بن محمد العمادي أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، [د. ت.])، ج ٣، ص ١٣٠.

(١٤) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٦، ص ٣١.

إن حواس الإنسان الخمس هي وسائله التي يتواصل بها مع كل ما يحيط به في هذا الكون، ولكل حاسة دورها في ذلك، ولها أهميتها بالنسبة إلى الإنسان، ففقدان أي منها يؤثر حتماً تأثيراً سلبياً في قدراته؛ إلا أن هذا التأثير يظل متفاوتاً بين فقد حاسة أو أخرى.

وعندما نتأمل آيات القرآن الكريم التي أوردت ذكر بعض تلك الحواس، نجد أنها تربط بين تلك الأدوات ربطاً متناغماً، فتذكر السمع والبصر والقلب والعقل في مواطن الاتصال، وأثرها في بعضها.

وإذا كانت هذه الحواس الخمس بالنسبة إلى الإنسان «هي مدخلات المعلومات إلى عقله، فإن السمع والبصر يلعبان الدور الأكبر في استقبال المعلومات»[١٥] والتحصُّل على المعرفة.

وبالنظر إلى الآيات القرآنية التي جمعت بين السمع والبصر، نجد أن الله تعالى يقدم السمع على البصر في ١٨ موضعاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] وما ذاك إلا لفضل السمع على البصر كما يؤكّد ذلك جمعٌ من المفسرين فـ «التقديم دليل على التفضيل. . . ولأن بالسمع تصل نتائج عقول البعض إلى البعض، فالسمع كأنه سبب لاستكمال العقل بالمعارف، والبصر لا يوقفك إلا على المحسوسات، ولأن السمع متصرف في الجهات الست بخلاف البصر، ولأن السمع متى بطل بطل النطق»[١٦].

ولا شك أن المتأمل في حال من فقد السمع وقارنه بحال من فقد البصر، يجد أن فاقد السمع أكثر تضرراً، فعملية التواصل مع الآخرين من أصعب ما يكون، وسبل التعلّم والتعليم شاقة جداً، والقدرة على الاندماج مع المجتمع ضعيفة، يقول الطبري رحمه الله: «وجعل لكم السمع الذي تسمعون به الأصوات، فيفقه بعضكم عن بعض ما تتحاورون به بينكم»[١٧].

---

(١٥) محمد عبد الغني هلال، **مهارات الاتصال** (القاهرة: مركز تطوير الأداء والتنمية، ١٩٩٩)، ص ١١٦.

(١٦) فخر الدين محمد بن عمر الرازي، **التفسير الكبير**، ط ٤ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج ٢، ص ٢٩٥.

(١٧) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٤، ص ٣١٥.

وأهم من هذا وذاك ما يترتب على فقد حاسة السمع من فقد للنطق، وقد ذُكر ضمن قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] «إثبات النطق لأن من لم يسمع لم يتكلّم، وإذا وجدت حاسة السمع وجد النطق»[١٨].

وفي الآيات الكريمة التي تناولت السمع في القرآن الكريم إشارات إلى عظم هذه النعمة، ومن ذلك الآية في الفقرة السابقة، وأنه بنعمة السمع يتمكن الإنسان من المعرفة بعد الجهل من خلال تواصله بالآخرين، فإن «النفس الإنسانية لما كانت في أول الخلقة خالية من المعارف والعلوم بالله، فالله أعطاه هذه الحواس ليستفيد بها المعارف والعلوم»[١٩].

والسمع أول طريق العلم و«أسبق حواس العقل إلى وصل الإنسان بالكون»[٢٠]، وهو طريق الإدراك كما بيّن ذلك البقاعي فقال متحدثاً عن السمع والبصر: «هما طريقا الإدراك و(الفؤاد) الذي هو آلة الإدراك»[٢١]؛ فلا يستطيع الإنسان أن يتحصّل على ما يحتاجه من علم من دون السمع، فمن خلاله يستقبل المعلومات ويحلّلها وينقدها ويتفاعل معها.

وقد تتعطل حاسة السمع، قال تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]، ما يؤثر في عملية التعلّم وكسب المعارف، فالختم على القلوب «وعلى الأسماع التي بها تُدْرَكُ المسموعاتُ ومن قِبَلِهَا يُوصَلُ إلى معرفةِ حقائقِ الأنباءِ»[٢٢] مدعاة إلى عدم الفهم أو الوعي للمادة المسموعة، ومن ثم عدم الإفادة منها.

إن لجودة حاسة السمع أثراً كبيراً وفعّالاً في القدرة على فهم الكلام المسموع والتفاعل معه، إذ لا يستطيع الإنسان أن يستجيب أو يتأثر في حالة كون حاسة السمع معطّلة لديه، أو أنها غير جيدة.

وتتحمّل حاسة السمع مسؤولية عظيمة، ويظهر ذلك في عدد من الآيات

---

(١٨) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٥، ص ١٥١.

(١٩) الرازي، **التفسير الكبير**، ج ٢٠، ص ٢٥٠.

(٢٠) حجاب، **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة**، ص ١٣.

(٢١) برهان الدين أبو الحسن البقاعي، **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور**، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج ٤، ص ٣٨٠.

(٢٢) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١، ص ٢٦٥.

التي تؤكد هذا الأمر، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠]. يقول القرطبي في تفسيره للآية الأولى: «وعبّر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك لأنها حواس لها إدراك، وجعلها في هذه الآية مسؤولة»[٢٣]. ويبيّن الشوكاني أن في ذلك «إشارة إلى الأعضاء الثلاثة، وأجريت مجرى العقلاء لمّا كانت مسؤولة عن أحوالها شاهدة على أصحابها»[٢٤].

إنّ مسؤولية السمع تترتب على نوعية المادة المسموعة، وقدرة الإنسان على التعامل معها. وذلك يتوقف بالدرجة الأولى على عدد من العوامل التي سنناقشها في الصفحات القادمة.

٤ ـ مستويات الاستماع

جاء التعبير في القرآن الكريم عن الاستماع بصيغ متنوعة وألفاظ مختلفة، يتعدد بتنوعها واختلافها معنى كل لفظة في سياقها الخاص بها. وبناء على ذلك كان الاستماع في القرآن الكريم على خمسة مستويات، لكل منها مفهومه ودرجته وسياقه، نعرضها فيما يأتي:

أ ـ السماع

السماع مصدر للفعل سَمِعَ، يقول الجوهري: هو «في الأصل مصدرُ قولك: سَمِعْتُ الشيء سَمْعاً وسَماعاً»[٢٥]؛ فهو اسم للمسموع، يقول أبو هلال العسكري: «وأما السماع فيكون اسماً للمسموع يقال لما سمعته من الحديث هو سماعي... ويكون بمعنى السمع تقول: سمعت سماعاً كما تقول سمعت سمعاً»[٢٦].

---

(٢٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٥، ص ٢٦٠.

(٢٤) محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، ط ٢ (بيروت: دار المعرفة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج ٣، ص ٢٨٦.

(٢٥) إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح**، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠)، مادة (سمع).

(٢٦) الحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، **الفروق في اللغة**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط ٤ (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ٨١.

وعرّف أحدهم السماع بأنه «وصول الصوت إلى الأذن دون قصد أو انتباه»[٢٧]. وهذا التعريف على خلاف مفهوم السماع في القرآن الكريم ولدى علماء العربية، فإنّ استخدام هذا المستوى من مستويات الاستماع يعتمد على المستمع نفسه؛ لأن من «سمع يكون بقصد وبدونه»[٢٨] أي بغير قصد، وعليه فإن السماع يكون مقصوداً تارة، وغير مقصود تارة أخرى.

والسماع بقصد ورد في كثير من آيات القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]؛ فمن غير المعقول أنهم حرّفوه من دون فهمه، ومن غير المعقول أن يفهموه من دون سماعه بقصد، وهذا ما تثبته الآية في ختامها فقد عقلوه وهم يعلمون، يقول الطبري في تفسير هذه الآية: «(يحرفونه من بعد ما عقلوه) يعني: من بعد ما عقلوا تأويله»[٢٩]، فهم قد سمعوه و«فهموه على الجلية ومع هذا يخالفونه»[٣٠] بتحريفهم له، قال قتادة: «هم اليهود كانوا يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ووعوه»[٣١].

وما يدعّم هذا المدلول للسماع، ويوضّح مفهومه بصورة أكبر ما جاء في قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]. روى الطبري عن قتادة قوله: «سمعوا دعوة من الله فأجابوها، وأحسنوا فيها، وصبروا عليها»[٣٢]، فسماعٌ تعقبه استجابة حسنة لا يمكن أن نقول عنه إنه سماع غير مقصود!

إذاً، فالسماع منه ما يكون مقصوداً كما ورد فيما سبق من آيات، ومنه ما يكون غير مقصود، ويتمثل في الأصوات التي تصل إلى أذن السامع من دون

---

(٢٧) أحمد فؤاد عليان، **المهارات اللغوية: ماهيتها وطرائق تنميتها**، ط ٢ (الرياض: دار المسلم، ٢٠٠٠)، ص ٤٢.

(٢٨) أحمد محمد الفيومي، **المصباح المنير** (بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧)، مادة (سمع).

(٢٩) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٢، ص ١٤٤.

(٣٠) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ١، ص ١١٩.

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) الطبري، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣١٥.

قصد أو انتباه منه كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] فهم لم يقصدوا السماع هنا.

ب ـ الاستماع

الاستماع مصدر من الفعل استمع، يقول ابن منظور: «وسَمَّعَه الصوت وأَسمَعه اسْتَمَعَ له وتسَمَّع إليه أَصْغى»[٣٣] فتقول: استمع يستمع استماعاً.

ويقول الجوهري: «واسْتَمَعْتُ كذا، أي أصغيتُ، وتَسَمَّعْتُ إليه»[٣٤].

و«يقال (استمع) لما كان بقصد، لأنه لا يكون إلا بالإصغاء وهو الميل»[٣٥].

ويظهر من خلال التعريفات المعجمية للاستماع التأكيد على أن الاستماع يزيد على السماع بالإصغاء، الذي هو الميل والتوجه إلى المتحدث بالأذن والقلب والعقل، والإصغاء يتضمن معنى القصد، ويُظْهِر للمتحدّث أيضاً هذا المعنى.

ويؤكّد هذا المعنى أيضاً العسكري عندما عرّف الاستماع بأنه «استفادة المسموع بالإصغاء إليه ليفهم»[٣٦]. وفائدة هذا الميل ليست في جودة السماع فحسب، بقدر ما لها من تأثير في المتكلّم نفسه، فهو دائماً من يطلب الاستماع أو الإصغاء أو مراعاة السمع فتجده يقول: استمع أو أصغِ إليّ أو «راعني سمعك، أي: استمع لمقالتي»[٣٧]. أما في مقدار فائدة المستمع من المادة المسموعة فهذا يرجع بالدرجة الأولى إلى المتلقي نفسه، فهو من يضع نفسه في درجة الاستماع المناسبة إن كان سامعاً من دون قصد أو سامعاً بقصد أو أنه مستمع.

ويعرّف الاستماع بأنه: «تعمّد تلقي أي مادة صوتية بقصد فهمها

---

(٣٣) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، [د. ت.])، مادة (سمع).

(٣٤) الجوهري، **الصحاح**، مادة (سمع).

(٣٥) الفيومي، **المصباح المنير**، مادة (سمع).

(٣٦) العسكري، **الفروق في اللغة**، ص ٨١.

(٣٧) مجد الدين محمد الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ط ٣ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، مادة (سمع).

والتمكّن من تحليلها واستيعابها، واكتساب القدرة على نقدها، وإبداء الرأي فيها إذا طلب من المستمع ذلك»[٣٨]. فهو «عملية استقبال واستيعاب الأفكار والمعلومات من الرسائل الشفهية. أما الاستماع الفعّال فيتضمن الفهم النقدي والواقعي للأفكار والمعلومات التي نحصل عليها عن طريق اللغة الشفهية»[٣٩].

وذكر الجيوسي تعريفاً للاستماع فقال: هو «جهد إيجابي مخلص مقصود وشاقّ يتضمن الانتباه لرسالة ما وإدراكها من وجهة نظر صاحبها، وفهمها على نحو متكامل وتقييمها»[٤٠].

فالاستماع ليس مجرد استقبال الأذن للأصوات بل هو عملية عقلية تبدأ باستقبال الأذن للأصوات وتنتهي بتقويم المادة المسموعة والحكم عليها، مروراً بالفهم والتحليل والنقد لتلك المادة.

وقد جاء التعبير عن الاستماع في القرآن الكريم متضمناً لتلك المعاني والعمليات العقلية؛ ففي قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨]. بدأ الاستماع هنا بحسن التلقي من قبل المستمعين، وفيه «مدح لهم بأنهم نقّاد في الدين يميّزون بين الحسن والأحسن»[٤١]. يقول ابن كثير رحمه الله: «أي يفهمونه ويعملون بما فيه»[٤٢]. فالفهم عملية عقلية من عمليات الاستماع، تدفعهم إلى تحليل المسموع والتفاعل معه ونقده من خلال عملية مقصودة كان فيها العمدة حُسن التلقي وإعمال العقل، فهم (أولوا الألبٰب) «الذين انتفعوا بعقولهم»[٤٣].

والاستماع، وإن كان عملية مقصودة إلا أنه قد يتخلله بعض الانقطاع نتيجة شرود الذهن أو وجود بعض المُشغلات والملهيات.

---

(٣٨) فاضل فتحي والي، **تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية** (حائل: دار الأندلس، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص ١٤٣.

(٣٩) حجاب، **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة**، ص ٢٢.

(٤٠) الجيوسي، **أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني**، ص ٤٧.

(٤١) محمود شهاب الدين الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ج ١٢، ص ٢٥٢.

(٤٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ٥٣.

(٤٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٨، ص ٢٤٤.

ج ـ الإنصات

الإنصات استماع يشترط فيه السكوت، يقول ابن منظور: «نَصَتَ الرجلُ يَنْصِتُ نَصْتاً وأَنْصَتَ... سكَتَ... والإنْصاتُ هو السكوتُ والاسْتِماعُ للحديث... ويقال: أَنْصَتَ إذا سَكَتَ»(٤٤)؛ فالاستماع قد يتخلله حديث أو سؤال أو مداخلة من قِبَل المستمع، وهذا لا يكون في الإنصات لأنه يتضمن «السكوت والاستماع للحديث»(٤٥).

والإنصات لا يعني السكوت فحسب، فكم من ساكت غير منصت، لكنه يقوم على الاستماع؛ أي أن المستمع يكون منصتاً إذا سكت للاستماع، فالاستماع هو الأصل الذي يُبنى عليه الإنصات، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] يقول القرطبي: «الإنصات السكوت للاستماع والإصغاء والمراعاة»(٤٦)، وكقوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩] «أي: قال بعضهم لبعض اسكتوا لاستماع القرآن»(٤٧) ولم يَرِد ذكر الإنصات في القرآن الكريم إلا في هاتين الآيتين، وأكدّ عدد من المفسرين(٤٨) أن معناه: السكوت للاستماع.

ولم يأتِ الإنصات في القرآن الكريم إلا بعد الاستماع، ولم يأتِ بعد السماع فهو درجة أعلى، كون المستمع يكون ساكتاً، وهو أفضل في التركيز والنظر إلى المتكلّم ومتابعة حديثه.

وعلى هذا يكون الإنصات والاستماع بمعنى واحد من حيث حضور العقل والقلب للتفهّم والتدبّر للمادة المسموعة، إلا أن الإنصات يفوق الاستماع في اشتماله على السكوت المطلق تأدّباً للعلم، يقول الألوسي رحمه

---

(٤٤) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (نصت).

(٤٥) الجوهري، **الصحاح**، مادة (نصت).

(٤٦) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٤، ص ٣٥٤.

(٤٧) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢١٥.

(٤٨) انظر على سبيل المثال: أبو محمد الحسين البغوي، **معالم التنزيل**، ط ٣ (الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج ٧، ص ٢٩٦؛ عبد الله بن أحمد النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** (بيروت: دار القلم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ج ٣، ص ١٦٤٣، والألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ١٣، ص ٣٠.

الله بعد تفسيره (قالوا أنصتوا): «فيه تأدبٌ مع العلم وكيف يتعلم»[٤٩].

د ــ الإصغاء

الإصغاء في الأصل الإمالة تقول: «صَغا يَصْغُو ويَصْغَى صَغْواً... مالَ»[٥٠] ولما مال المستمع إلى المتحدّث بسمعه ليستمع قالوا: «أصْغَى اسْتَمَعَ، وإليه مالَ بِسَمْعِه... والناقَةُ أمالَتْ رأسَها إلى الرَّجُلِ كالمُسْتَمِع شيئاً»[٥١].

يقول ابن منظور: «أَصْغى إليه رأْسَه وسَمْعه أماله، وأَصْغَيْتُ إلى فلانٍ إذا مِلْت بسَمْعك نحوهَ.. وصغا إليه سمْعي... مال»[٥٢].

وإن كنّا قد لاحظنا أن المعنى المعجمي للاستماع هو حسن الإصغاء، فإن الإصغاء يظهر من معناه المعجمي أنه حُسن الاستماع وهو أن «تستمع إلى الشيء باهتمام وانتباه»[٥٣].

والميل نحو الشيء فيه دلالة العناية والاهتمام به، والإصغاء من المتحدّث يكون بالرأس وبالقلب، فيميل إلى المتحدّث برأسه إشعاراً له بأهمية حديثه، ويميل بقلبه رغبة في تفهّم المادة المسموعة وتدبّرها وإدراك محتواها، وفي كلٍّ حُسن استماعٍ وحسن تَلَقٍّ.

وقد ورد ذكر الإصغاء في القرآن الكريم في آيتين اثنتين فحسب، وكان مرتبطاً بالقلب فيهما، قال تعالى: : ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣] أي: «قلوبهم وعقولهم وأسماعهم»[٥٤] فتميل إلى الاستماع لتقوم عليهم الحجة[٥٥].

ولعل في ارتباط الإصغاء بالقلب «إشارة إلى أن الإصغاء للسمع متعلق

---

(٤٩) الألوسي، المصدر نفسه، ج ١٣، ص ٣٠.

(٥٠) الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مادة (صغا).

(٥١) المصدر نفسه.

(٥٢) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (صغا).

(٥٣) عبد الفتاح حسن البجة، **أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها**، ط ٢ (الإسكندرية: دار الكتاب الجامعي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٢٢.

(٥٤) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٢، ص ١٧٣.

(٥٥) محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير** (تونس: الدار التونسية، [د. ت.])، ج ٨، ص ١١.

بالقلب بشكل أكبر، أي إن السامع لا بد أن يجمع بين الاستماع والإنصات والإصغاء الذي هو الميل بالقلب نحو المتحدث»(٥٦).

هـ ـ الوعي

يقول ابن منظور: «الوَعْي: حِفْظ القلبِ الشيءَ. وعَى الشيء والحديث يَعِيه وَعْياً وأَوْعاه: حَفِظَه وفَهِمَه وقَبِلَه، فهو واع، وفلان أَوْعَى من فلان أَي أَحْفَظُ وأَفْهَمُ»(٥٧).

قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]. يقول ابن كثير: «سمعتها أذن ووعت، أي: من له سمع صحيح وعقل رجيح»(٥٨).

إن إيراد أداة السمع (الأذن) ضمن سياق الآية فيه دلالة واضحة على علاقة الوعي بالسمع، وأنه مرتبة أو مستوى من مستويات الاستماع، فالوعي لا يكون بالبصر مثلاً أو بالذوق أو غيرهما من الحواس، بل يكون من خلال السماع فحسب، والأذن الواعية «من شأنها أن تحفظ ما ينبغي حفظه من الأقوال والأفعال»(٥٩) فهي أذنٌ «حافظة عقلت عن الله ما سمعت»(٦٠).

وفي الحديث عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود يحدّث عن أبيه عن النبي (ﷺ) قال: «نَظَّرَ اللَّهُ امرأً سَمِعَ مقالتي فَوَعاها وحفظها وبلّغها. . .»(٦١).

وإن كان الوعي مرحلة تلي السماع كما هو ظاهر في الحديث الشريف السابق؛ إلا أن ذكره في القرآن الكريم وفي آية واحدة فحسب دلّ على أن هذا المستوى فيه خاصية الحفظ والفهم والانتفاع بالمسموع، مع تعمّد السماع وتقصّده وبذل جهد في فهم المسموع، فكما إن الوعاء يحفظ الأشياء فإن الوعي يحفظ العلم.

---

(٥٦) عبد الله اللحيدان، «الاستماع في مجال الدعوة،» **مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية** (الرياض)، السنة ١٥، العدد ١ (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٢٠٦.

(٥٧) ابن منظور، **لسان العرب**، مادة (وعى).

(٥٨) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ٤٤١.

(٥٩) البقاعي، **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور**، ج ٨، ص ١٢٦.

(٦٠) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٢٣، ص ٢٢١.

(٦١) أبو عيسى محمد الترمذي، **سنن الترمذي** (إستانبول: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، [د. ت.])، ج ٧، ص ٣٠٧، الحديث الرقم (٢٦٦٠).

٥ ـ أهداف الاستماع في القرآن الكريم

لعملية الاستماع ثمراتها ومهاراتها التي لا يمكن أن تتحقق من دون معرفة الهدف من هذه العملية؛ فمعرفة الهدف هي الخطوة الأولى في سبيل التمكّن من تلك المهارات والاستفادة منها.

وبالنظر في الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر الاستماع، أو من خلال فهم هذه المهارة عن طريق السياق فإنّه يظهر لنا أن لمهارة الاستماع مجموعة من الأهداف نجملها على النحو الآتي:

أ ـ أن يتمكن المستمع من الإصغاء والإنصات الجيد

لا يهدف الاستماع إلى وصول الصوت إلى الأذن فحسب، بل إنّه يهدف إلى أن يصبح الفرد قادراً على الإصغاء والإنصات الجيد، فيتلقى المادة المسموعة بقوة تركيز، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣] فكان الأمر بالاستماع هنا بهدف «استرعاء الأسماع إلى مَفَاد هذا المثَل، ما يبطل دعوى الشركة لله في الإلهية»[(٦٢)].

وقد ذكر القرطبي أن الاستماع المطلوب يتضمن الإصغاء الجيد، فقال: «والإصغاء بالسمع، وحضور القلب، والعزم على العمل، هو ذلك الاستماع كما يحب الله»[(٦٣)].

ب ـ أن يسعى المستمع إلى التحصُّل على المعلومة

إذا كانت أول وسيلة للتلقي هي الأذن، فإن أول طريق للمعلومة الاستماع الجيد؛ فهو قناة المستقبِل إلى العلم «وسبيل من سبل الحصول على المعارف والحقائق والمفاهيم واكتساب المهارات»[(٦٤)] قال تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١] ومعنى: (بعدما سمعه)

(٦٢) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ١٧، ص ٣٣٩.

(٦٣) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٦، ص ١٧٦.

(٦٤) أحمد مدكور، **تدريس فنون اللغة العربية** (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، ص ٥٨.

أي: «عَلِمَهُ وتحقّق لديه»[٦٥] فما بلغته هذه المعلومة إلا بالسماع «وكنى بالسماع عن العلم لأنه طريق حصوله»[٦٦]. يقول الرازي: «أما قوله: (بعدما سمعه) فهو يدلّ على أن الإثم إنما يثبت أو يعظم بشرط أن يكون المبدل قد علم ذلك، لأنه لا معنى للسماع لو لم يقع العلم به، فصار إثبات سماعه كإثبات علمه»[٦٧]. ولذا فإن الإنسان يعمد إلى الاستماع «لاكتساب معرفة أو تحصيل معلومة»[٦٨].

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠] ومعناه: «ما يتلى عليكم من كتاب الله، وأوامره، ووصاياه، ونصائحه، فتوليكم في هذه الحال من أقبح الأحوال»[٦٩] بعدما حصل لكم العلم بذلك.

والاستماع وسيلة سهلة لجمع المعلومات ونقل الأفكار، فيستطيع الفرد التحصُّل على المعلومة بمجرد الاستماع إلى معلم أو خبير أو من يمتلك المعلومة، أو من خلال توجيه السؤال إلى من لديه معرفة ثم الاستماع إلى الإجابة منه، ويؤكد ذلك المعنى سفيان بن عيينة بقوله: إنّ «أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ»[٧٠].

إن استخدام الاستماع بهدف التحصُّل على المعلومة وإضافة خبرة جديدة يفيد المستمع في «عملية التفاعل مع الآخرين في مجالات الحياة المختلفة التي يتواجد بها ويتعامل معها»[٧١].

ج ـ أن يحفظ المستمع ما تعلّمه قدر الإمكان

إن قدرة المستمع على استحضار المادة المسموعة تتفاوت من شخص إلى

---

(٦٥) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ١، ص ٥٥.

(٦٦) المصدر نفسه.

(٦٧) الرازي، **التفسير الكبير**، ج ٥، ص ٢٣٥.

(٦٨) محمد صلاح الدين مجاور، **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية أسسه وتطبيقاته** (الكويت: دار القلم، ١٩٧٤)، ص ١٧٥.

(٦٩) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان** (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ٣١٨.

(٧٠) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٦، ص ١٧٦.

(٧١) عمر عبد الرحيم نصر الله، **مبادئ الاتصال التربوي والإنساني** (عمّان: دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠١)، ص ١٢٤.

آخر. وكلما استطاع المستمع حفظ أكبر قدر من المسموع دلّ ذلك على جودة الاستماع لديه، قال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢]. قال ابن عباس رضي الله عنه: «حافظة سامعة»[٧٢] وذكر ذلك أيضاً البقاعي حين قال: «(وتعيها) أي: ولتحفظ قصة السفينة وغيرها مما تقدّم حفظاً ثابتاً مستقراً كأنه محويّ في وعاء... (واعية) أي: من شأنها أن تحفظ ما ينبغي حفظه من الأقوال والأفعال الإلهية والأسرار الربانية لنفع عباد الله»[٧٣].

إن مصادر أهل الإسلام وتاريخهم حُفِظَت عن طريق الاستماع الجيد، فالقرآن الكريم والسنة النبوية تلقاهما الناس من خلال السماع وحفظوهما جيل بعد جيل، ومع أنهما دوّنا في السطور إلا أنهما كانا قبل ذلك محفوظين في الصدور.

(١) أن يُعْمِل المستمع عقله وقلبه عند تلقّي المادة المسموعة

إن دعوة القرآن الكريم إلى الاستماع لا تقف عند حد استخدام الأذن فحسب، بل تتعدى ذلك إلى القيام بعمليات عقلية أخرى بعد وصول الصوت إلى الأذن؛ فالانتباه للمادة المسموعة وفهمها وإدراك مكنوناتها وتدبّرها والتفكّر فيها وتحليلها ونقدها وتقويمها من أهم العمليات العقلية التي يدعو القرآن الكريم إليها عند دعوته إلى الاستماع؛ لأن الغرض من الاستماع ليس استقبال المعلومة فحسب.

إن «اشتقاق كلمة الاستماع من السمع، أوحى بأن الاستماع ظاهرة صوتية، والحق أن الاستماع جهد معرفي بكل ما في الكلمة من معنى»[٧٤].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١]؛ فمع عدم الفهم والتدبّر لم يتحقق الغرض من الاستماع. يقول الطبري رحمه الله: «وهم لا يعتبرون ما يسمعون بآذانهم ولا ينتفعون به، لإعراضهم عنه، وتركهم أن يُوعُوه قلوبهم ويتدبّروه. فجعلهم الله، إذ لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وإن كانوا قد سمعوها بآذانهم، بمنزلة من لم يسمعها»[٧٥].

---

(٧٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ٤٤١.
(٧٣) البقاعي، **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور**، ج ٨، ص ١٢٦.
(٧٤) الجيوسي، **أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني**، ص ٥٣.
(٧٥) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١١، ص ٨٩.

إن الاستماع المثمر «يتضمن أكثر من مجرد الاستماع نفسه، إنه يتضمن نشاطاً ويحتاج إلى انتباه واعٍ لأصوات التعبير المتحدثة، وذلك من أجل الحصول على بعض الأفكار والمعاني»(٧٦). يقول ابن القيّ: «السماع أصل العقل وأساس الإيمان الذي انبنى عليه، وهو رائده وجليسه ووزيره. . . وحقيقة السماع تنبيه القلب على معاني المسموع وتحريكه طلباً وهرباً وحباً وبغضاً»(٧٧)، وكل ذلك إعمال العقل والقلب عند تلقّي المادة المسموعة. «ولهذا نجد أن القرآن الكريم يستخدم السمع والبصر بمعنى العقل»(٧٨) قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧]؛ فهذه الآية «تبين أن الذين يسمعون هم الذين يدركون حقيقة الليل والنهار وأنهما من مخلوقات الله سبحانه وتعالى. ومن المعروف أن العين هي التي تشاهد النور والظلمة. واستخدام الفعل (يسمع) بدلاً من الفعل (ينظر) أو (يشاهد) في هذه الآية يدل بوضوح على أن السمع عملية إدراكية لا مجرد نقل للأحاسيس»(٧٩).

وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]؛ ففي تعطّل القلب وعدم إعماله تعطل للسمع، و«المقصود منه الإخبار بغفلتهم، وعدم اهتدائهم، أي: لا يهتدون أو يغفلون عن الهداية أو عن التأمل والتفكر»(٨٠) فهم لا يسمعون «سماع تفهّم واعتبار»(٨١).

إن الاستماع المفيد هو الاستماع الذي يتضمن في عملياته «فهم المعاني لما يُسْمع، ومعرفة الأفكار التي فيه أو معظمها على الأقل، وربط ما نسمعه

---

(٧٦) مجاور، **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية أسسه وتطبيقاته**، ص ١٦٨.

(٧٧) محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية، **مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين)**، تحقيق أحمد الرفاعي وفارس الحرستاني (بيروت: دار الجيل، [د. ت.])، ج ١، ص ٥٣٢.

(٧٨) عبد الرحمن صالح عبد الله، «العمليات العقلية في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية،» **مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية**، السنة ٧ (١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ص ١٠٩.

(٧٩) المصدر نفسه.

(٨٠) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ٥، ص ١٣.

(٨١) ناصر الدين عبد الله البيضاوي، **أنواع التنزيل وأسرار التأويل** (بيروت: دار الجيل، [د. ت.])، ص ٢١٦.

بما في خبراتنا»[٨٢] قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١].

(٢) أن ينتفع المستمع بالمادة المسموعة

العمل بما نسمع يمثل الجانب السلوكي لهذه المهارة، فإن استمع الفرد منّا إلى مادة مفيدة، فحريٌّ به أن يكون أول من يعمل بها، وينتفع منها. انظر إلى سرعة الاستجابة بعد السماع في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣] فلما سمعت الجن القرآن الكريم أثّر ذلك فيهم فكان انتفاعهم بما سمعوا أن آمنوا به، وتَبِعَ ذلك الإيمان تغيير في السلوك.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

يقول سيد قطب: إنّ «سياقة قصة النفر من الجن الذين استمعوا لهذا القرآن، فتنادوا بالإنصات، واطمأنت قلوبهم إلى الإيمان، وانصرفوا إلى قومهم منذرين يدعونهم إلى الله ويبشرونهم بالغفران والنجاة، ويحذرونهم الإعراض والضلال. سياقة الخبر في هذا المجال بهذه الصورة، وتصوير مسّ القرآن لقلوب الجن هذا المسّ الذي يتمثل في قولهم: (أنصتوا) عندما طرق أسماعهم، يتمثل في ما حكوه لقومهم عنه، وفي ما دعوهم إليه. كل هذا من شأنه أن يحرّك قلوب البشر، الذين جاء القرآن لهم في الأصل. وهو إيقاع مؤثر ولا شك، يلفت هذه القلوب لفتة عنيفة عميقة»[٨٣]؛ فالانتفاع بالمسموع بدأ مباشرة بعد الانتهاء من الاستماع للقرآن الكريم، وتمثّل ذلك الانتفاع في الدعوة والتبليغ لقومهم.

٦ ـ مهارات الاستماع في القرآن الكريم

من خلال التأمل في الآيات القرآنية التي أشارت إلى الاستماع، تبيّن أن للاستماع مجموعة من المهارات من أهمها ما يأتي:

(٨٢) مجاور، **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية أسسه وتطبيقاته**، ص ١٦٨.

(٨٣) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط ٢ (القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، ج ٦، ص ٣٢٦٩.

أ ـ حسن الإصغاء والانتباه

وهي مهارة مهمة في إنشاء عملية اتصال لغوي ناجحة، وفي استمرار تلك العملية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] «فإنه لا يستجيب لدعائك إلى ما تدعوه إليه من ذلك، إلا الذين فتح الله أسماعهم للإصغاء إلى الحق، وسهّل لهم اتّباع الرشد»(٨٤).

وحسن الإصغاء والانتباه «يتطلب جهداً شاقّاً لا يقل عن جهد المتحدّث، وينبغي أن يكون هذا الانتباه عميقاً يصل إلى درجة التركيز»(٨٥)حتى يتمكن من خلاله المستمع من تحقيق مهارات أخرى للاستماع كالفهم والتحليل والنقد والحكم على المسموع، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣٠].

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] «أمر بحسن الاستماع بأن يكون بإحضار القلب، وتفريغه عن الشواغل»(٨٦).

إن المستمع الجيّد هو الذي يحسن الإصغاء ويكون منتبهاً ملازماً للمادة المسموعة باستمرار، ويمكن ذلك من خلال التفكير المسبق في الموضوع الذي سيستمع إليه، ووضع توقعاته تجاهه، مع تدوين ملاحظات خاصة عند الاستماع، وتقييم ما يقوله المتحدّث من حيث قبوله أو النظر فيه(٨٧).

ب ـ حفظ المادة المسموعة

يعدّ الحفظ في التربية الحديثة من المستويات الدنيا للسلّم المعرفي(٨٨) ـ كما ذكر ذلك بلوم في تصنيفه للأهداف المعرفية ـ إلا أننا من حيث النظر إليه بأنه مهارة من مهارات الاستماع، وبتأمل الآية الكريمة في قول الله تعالى:

---

(٨٤) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٩، ص ٢٢٩.

(٨٥) الجيوسي، **أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني**، ص ٥٢.

(٨٦) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ١، ص ٣٤٩.

(٨٧) عبد الله علي مصطفى، **مهارات اللغة العربية** (عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ٧٨ ـ ٧٩.

(٨٨) انظر: بنجامين بلوم [وآخرون]، **نظام تصنيف الأهداف التربوية**، ترجمة محمد الخوالدة وصادق عودة (جدة: دار الشروق، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٣٦ و٩٦.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٢] وبالنظر في بعض الأحاديث الشريفة التي أشارت إلى أهميته، ندرك أهمية هذه المهارة للمتلقي، ودورها في حفظ العلم ونقله إلى الآخرين.

إنّ المراد بالوعي هنا الحفظ بعد الفهم، لأنّ دعوة القرآن الكريم إلى الحفظ (الوعي) لا تعني الوعي المجرد من دون فهم، كما يشير إليه بعض التربويين ويجعله في أدنى مستويات السلّم المعرفي، وإنما وعي بعد فهم، وغالباً ما ترد كلمة الحفظ بعد الفهم كما في الحديث النبوي الشريف أن النبي (ﷺ) قال: «نَضَّرَ اللَّهُ امرأً سَمِعَ مقالتي فَوَعاها وحفظها وبلّغها...»[٨٩]. وكما جاء في كلام المفسرين للآية السابقة، ويؤكد ذلك المعنى سفيان بن عيينة بقوله: إنّ «أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ»[٩٠].

ويذكر أحد الباحثين طبيعة عملية الحفظ وطريقة تخزين المعلومات وترتيبها في الذاكرة البشرية فيقول: «ذاكرة الإنسان جهاز معقّد ومؤلف من وحدات حسيّة دقيقة يتم تخزين المعلومات عليها. وهذه الوحدات الحسيّة يدرك بها الإنسان المعلومات [و] تترتب بفعل وبرغبة الإنسان بفاعلية عملية الاتصال... ولا يقتصر عمل الذاكرة على عملية استقبال وتسجيل المعلومات وحفظها، ولكن تقوم بدور مهم وهو إعادة التنظيم المستمر لمحتواها بحيث يمكن الشخص من استرجاع المعلومات التي يريدها عندما يرغب في ذلك»[٩١].

وتتفاوت القدرات على حفظ المادة المسموعة أو جزء منها من شخص إلى آخر، فطبيعة الحفظ تقوم على «تذكّر واستعادة الرسالة التي تم استقبالها. وتشير الأبحاث أننا نتذكّر أقل من نصف الرسالة التي سمعناها قبل لحظات. ولكن وجد أنه بقدر الاستجابة التي نقوم بها عند استقبال الرسالة (المعلومات) يكون تذكّرنا لها»[٩٢].

(٨٩) الترمذي، **سنن الترمذي**، ج ٧، ص ٣٠٧، الحديث الرقم (٢٦٦٠).

(٩٠) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٦، ص ١٧٦.

(٩١) هلال، **مهارات الاتصال**، ص ١٢٧.

(٩٢) سعد بركي المسعودي [وآخرون]، **مهارات التواصل** (جدة: جامعة الملك عبد العزيز، مركز تطوير التعليم الجامعي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ص ١٥٢.

ج ـ الفهم الجيد الدقيق للمادة المسموعة

وهي مهارة أساسية يحتاجها المستمع في فهم المعنى الإجمالي للمادة المسموعة، وفهم الأفكار الرئيسة، والربط بينها، ولا يتمّ بصورة جيدة «إلا بعد المتابعة الدقيقة، وإدراك العلل والأسباب التي يبديها المتحدّث، ويدافع عنها أو ينقدها. بل لا بد أن يدرك السامع العلاقات بين الأفكار الرئيسة»(٩٣)، ويتمكّن من الربط المنطقي بين كل فكرة وأخرى، وأن يميّز بين الأفكار الرئيسة والأفكار الفرعية، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٤٢] وفي الجمع بين فقدان السمع وانعدام التعقل «تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه... وهو لا يتأتى إلا باستعمال العقل السليم في تدبّره»(٩٤).

ويظهر هذا المعنى للفهم أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤] أي: «أَصغُوا له سمعكم لتتفهّموا آياتِه وتعتبروا بمواعظِه، وأنصِتوا إليه لتعقِلوه وتدبّروه»(٩٥).

وتعتمد مهارة الفهم الدقيق بدرجة كبيرة على التركيز الجيد، والابتعاد عن كل ما يؤثّر في عملية الاتصال اللغوي، فنحن بحاجة إلى تجنب أي تشويش خارجي أو داخلي. ويتطلّب ذلك منّا الإنصات، إضافة إلى الاستماع لأن «الفهم نشاط عقلي مميز يقوم على إدراك الحقائق والنفاذ إلى جوهرها»(٩٦).

إن الذي يؤثّر في قدرة الفهم لدى الكثير من المستمعين أن «العادة جرت على أننا نسعى إلى أن نكون نحن مفهومين من الآخرين أولاً، ولا ينصت معظم الناس بهدف الفهم، بل إنهم يستمعون بنية الرد»(٩٧)، فيُحرَمون الفهم ويُمنعون الرد، لأن حسن الإجابة والرد يكون من حسن الاستماع والفهم.

---

(٩٣) حجاب، **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة**، ص٤٢.

(٩٤) البيضاوي، **أنواع التنزيل وأسرار التأويل**، ص ٢٨٠.

(٩٥) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٠، ص ٦٥٨.

(٩٦) محمد صالح الشنطي، **المهارات اللغوية**، ط ٤ (حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ص ١٤٨.

(٩٧) ستيفن ر. كوفي، **العادات السبع للناس الأكثر فعالية** (الرياض: مكتبة جرير، ٢٠٠٠)، ص ٣٣٨.

د ـ التفكّر والتدبّر في المادة المسموعة

وقد دعت كثيرٌ من الآيات في القرآن الكريم إلى التدبّر والتفكّر والاعتبار، وأكّدت تدبّر المسموع والتفكّر فيه، وأنه صنو للتدبّر والتفكّر بالبصر، فالسمع والبصر طريقا الإدراك إلى العقل، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: ٦٧] وفي ذلك «إشارة إلى أن تلك الآيات والدلائل تنهض دلالتها للعقول بالتأمل فيها، وأنّ توجه التفكير إلى دلائلها غير محتاج إلا إلى التنبيه عليها ولفته إليها، فلما كان سماع تذكير الله بها هو الأصل الأصيل في استخراج دلالتها وتفريع مدلولاتها على تفاوت الأذهان في الفطنة وترتيب الأدلة جعل آيات دلالتها حاصلة للذين يسمعون»[٩٨]، فيصل السامع هنا إلى درجة عليا من التفكرّ والتدبّر بمجرّد السماع الجيد لتلك الآيات.

هـ ـ تحليل المادة المسموعة ونقدها

وهي مهارة عليا تتطلب من المستمع العلم والخبرة السابقة، إضافة إلى الإصغاء الجيد المركّز. وذلك أن «المستمع الناقد يجيد الربط بين المعلومات داخل الموضوع. . . [و] يستخدم قدراته ليحلّل ويقوّم الرسالة؛ ليتعرّف هل عرضت الأفكار بطريقة منطقية، وهل المتحدّث متمكّن، ويتميّز بتفكير واضح ومرتب»[٩٩] أو لا؟

كما إن المستمع الناقد يحتاج «إلى تحليل الأحداث والتمييز بين الحقائق والآراء الشخصية. ويتم في هذه المرحلة الحكم على مدى حقيقة وصدقيّة العبارات التي يطرحها المتحدّث ومدى تعارضها أو توافقها مع ما نعتقده ونؤمن به»[١٠٠].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨]؛ ففي هذه الآية «تعريض بأن الذين لم يتذكّروا بالقرآن ليسوا من أهل العقول، وأن التذكّر من شأن المسلمين الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه، فهم ممن تدبّروا آياته

---

(٩٨) ابن عاشور، **تفسير التحربر والتنوير**، ج ١١، ص ٢٢٨.
(٩٩) المسعودي [وآخرون]، **مهارات التواصل**، ص ١٥٦.
(١٠٠) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

فاستنبطوا من المعاني ما لم يعلموا»(١٠١) وتلك مهارات يحتاج إليها المستمع عند تحليله للمادة المسموعة، حيث إنه لن يتمكّن من تحليل المسموع ونقده إلا بإصغاء جيد، وانتباه مركّز، وإعمال للعقل والقلب، ومعرفة وعلم سابق، وخبرة سابقة أيضاً، وهذا ما يظهر أيضاً في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن: ١ ـ ٢]؛ فإن الجن عندما استمعوا القرآن الكريم «عرفوا إعجازه فآمنوا به»(١٠٢) بعد أن وصفوه بقولهم (عجبا) والعجب «ما خرج عن حد أشكاله ونظائره... وهذا يدل على قوتهم العلمية في فصاحتهم وكمالهم في علم الرسوم، وصوغ الكلام على أبلغ جهات النظوم»(١٠٣) فتمكّنوا من تحليل المسموع ونقده والحكم عليه أيضاً.

وفي الاستماع الناقد يحتاج المستمع إلى عدة مهارات و«هي تلك التي تعلّمه أن يربط ما يستقبله من أفكار، وما يفهمه إلى التعلّم السابق الذي عنده. ثم يناقش وينقد ما قد سمع في ضوء خبراته الخاصة، أو في ضوء الواقع، أو في ضوء آراء الآخرين وأفكارهم»(١٠٤).

و ـ الانتفاع بالمادة المسموعة

إن تحويل المسموع إلى واقع عملي، يدلّ على قدرة الفرد على الاستفادة منه والانتفاع به، وهذه المهارة هي الغرض النهائي والهدف من عملية الاستماع، حيث إن التغيير السلوكي الذي يطرأ على المستمع يمثّل قمة الهرم المهاري للمتدرب؛ فبعد عملية الاستماع الجيد والحفظ والفهم والتحليل والنقد، يكون التطبيق العملي من خلال الانتفاع بهذه المادة المسموعة، وإلا فما كان لكل هذه المهارات أيّ فائدة تُذكر من دون تطبيقها على أرض الواقع.

تأمل كيف أثنى الله تعالى على المؤمنين وبشّرهم لأنهم اتّبِعُوا العلم

---

(١٠١) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ٢٣، ص ٢٥٣.

(١٠٢) علاء الدين علي الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ط ٢ (القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ج ٧، ص ١٥٨.

(١٠٣) البقاعي، **نظم الدُرر في تناسب الآيات والسور**، ج ٨، ص ١٨٢.

(١٠٤) مجاور، **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية**، ص ١٧٦.

بالعمل بعد أن ميّزوا بين الحسن والأحسن من القول، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨] «أي: يفهمونه ويعملون بما فيه»(١٠٥)؛ فتحقق هنا الاستيعاب السلوكي مباشرة بعد الاستماع الجيد المركز الذي ميّز به المستمع بين الفاضل والمفضول. وهذا- كما يقول ابن عطية - «كلام عام في جميع الأقوال، وإنما القصد الثناء على هؤلاء ببصائر هي لهم وقوام في نظرهم حتى أنهم إذا سمعوا قولاً ميّزُوه واتبعوا أحسنه»(١٠٦).

إن الانتفاع بالمسموع من خلال الاستجابة السريعة واستخدام المعلومات المكتسبة من عملية الاستماع مهارة أساسية «ولذلك فإن عمليات الاتصال التعليمي والتدريبي بصفة خاصة أصبحت بحاجة لتطوير نفسها بحيث تعتمد على عمليات إكساب الذاكرة أسس التفكير في كيفية استخدام المعلومات وليس حفظها فقط»(١٠٧)، ويستلزم ذلك «درجة أعلى من الاستيعاب، لأن التطبيق يتميز بمهارة تحويل المفاهيم المعرفية إلى ممارسة عملية تتم على المستوى النظري ما دامت في إطار الاستيعاب المعرفي، أما إذا تحولت المفاهيم إلى ممارسات سلوكية فتنتقل مباشرة إلى نوع آخر من أنواع الاستيعاب وهو الاستيعاب السلوكي»(١٠٨) وهو ما نعني به هنا الانتفاع بالمسموع.

إن العناية بمهارات الاستماع، ومحاولة إدراك ما نتقنه منها يساعدنا كثيراً في تحديد ما نحتاج إليه من مهارات أخرى غير ما لدينا، فنعمل على تنميتها وتطويرها. ويذكر ستيوارت (Stewart)، أن هناك عدة خطوات تستطيع أن تساعد على تطوير مهارة الاستماع لدى الفرد، ومنها «أن تكون المادة المسموعة مؤثرة، وأن يراعي الفرد الانتباه عند استماعه، وأن يركز على النقاط أو الأفكار الرئيسة، وأن يستخدم الفرد وقته الاحتياطي عند الاستماع؛ لأن الإنسان يفهم وهو منصت أكثر مما لو تكلّم وهو يستمع»(١٠٩).

---

(١٠٥) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ٥٣.

(١٠٦) أبو محمد عبد الحق بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** (بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ١٦١٤.

(١٠٧) هلال، **مهارات الاتصال**، ص ١٢٨.

(١٠٨) الشنطي، **المهارات اللغوية**، ص ١٤٩.

(١٠٩) Stewart L. Tubbs, *Human Communication*, 7th ed. (New York: McGraw-Hill International, 1994), pp. 156-159.

٧ ـ أنواع الاستماع

يعتمد تحديد أنواع الاستماع في القرآن الكريم على هدف المستمع من هذه العملية؛ فعند تأمل الآيات القرآنية التي ورد فيها الاستماع، ظهر للباحث أنه يدور حول الأنواع الآتية:

أ ـ سماع الأذن فقط

وهو السماع الذي لا ينتفع به صاحبه، فهو ومن لا يسمع سواء، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١] فهو سماع بالأذن فقط، حيث «قالوا قد سمعنا بآذاننا (وهم لا يسمعون)... وهم لا يعتبرون ما يسمعون بآذانهم، ولا ينتفعون به لإعراضهم عنه، وتركهم أن يُوعُوه قلوبَهم ويتدبروه، فجعلهم الله لمّا لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وإن كانوا قد سمعوها بآذانهم، بمنزلة من لم يسمعها»[(١١٠)]، فهم وإن ادّعوا السماع، إلا أنه سماع أذنٍ كما ذكر ذلك القرطبي عند تفسيره لهذه الآية، حيث قال: «(قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) أي: كاليهود أو المنافقين أو المشركين. وهو سماع الأذن»[(١١١)].

ب ـ سماع الفهم

وهو الذي يلقي فيه المستمع سمعه بهدف فهم المسموع ومعرفة مغزى المتكلم، وتحديد فكرته التي يتحدث فيها، قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢] والمقصود بالسماع هنا سماع الفهم كما ذكر ذلك السعدي، حيث قال: «(إن الله يُسمع من يشاء) سماع فهم وقبول، لأنه تعالى هو الهادي الموفق (وما أنت بمسمع من فى القبور) أي: أموات القلوب، أو كما إن دعاءك لا يفيد سكان القبور شيئاً، كذلك لا يفيد المُعْرِض المعاند شيئاً»[(١١٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعـــراف: ١٠٠]. أي:

---

(١١٠) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١١، ص ٩٨.

(١١١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٤، ص ٣٨٨.

(١١٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، ص ٦٨٨.

لا يسمعون «سماع فهم»[١١٣] وقد أكدّ هذا المعنى ابن عاشور فقال عند تفسيره لهذه الآية: «والمراد بالسماع فهم مغزى المسموعات لا استكاك الآذان بقرينة قوله: (ونطبع على قلوبهم)»[١١٤]. ومرحلة الفهم «تعدّ أحد الفروقات الأساسية بين السمع والاستماع، وتتضمن هذه المرحلة معالجة المعلومات»[١١٥].

ج ـ سماع الإيجاب

وهو السماع الذي يتضمن معنى القبول والطاعة، ويحمل الامتثال والاستجابة للأوامر في محبة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]. وهذا هو السماع الإيجابي، سماع المؤمنين «الذين صدّقوا إيمانهم بأعمالهم حين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، سواء وافق أهواءهم أو خالفها، (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أي: سمعنا حكم الله ورسوله، وأجبنا من دعانا إليه، وأطعنا طاعة تامة»[١١٦] من دون تردد أو تهاون.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤]؛ ففي هذا «حضّ على السمع الذي في ضمنه الطاعة»[١١٧] كما إن المراد بالسماع يحمل معنى الامتثال، فتقول مثلاً: فلان لا يسمع كلامي، أي: لا يمتثل أمري، وبهذا يكون المراد من (اسمعوا) في هذه الآية «امتثلوا لأوامر الرسول»[١١٨].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦] ومعنى(اسمعوا): «اقبلوا ما تسمعون؛ لأنه لا فائدة في مجرد السماع»[١١٩].

لقد تضمّن استخدام ألفاظ السماع في الآيات السابقة كلِّها معاني السماع الإيجابي الذي يدعو إلى الطاعة والقبول والامتثال والاستجابة، وهو

---

(١١٣) البقاعي، **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور**، ج ٣، ص ٧٦.
(١١٤) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ٩، ص ٢٩.
(١١٥) المسعودي [وآخرون]، **مهارات التواصل**، ص ١٥١.
(١١٦) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، ص ٥٧٢.
(١١٧) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١، ص ٦٠.
(١١٨) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ١، ص ٦٥٢.
(١١٩) الشوكاني، **فتح القدير**، ج ٥، ص ٢٩٢.

نوع من السماع المطلوب، الذي له آثاره الإيجابية في الدنيا والآخرة.

د ـ سماع التفكّر والتدبّر والاعتبار

وهو السماع الذي يتطلب من السامع أن يعمل عقله وقلبه في المادة المسموعة، فيتدبّر معناها، ويتفكّر في فحواها، ويتّعظ ويعتبر بمرادها ومحتواها، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ [القصص: ٧١] يقول الطبري شارحاً هذه الآية: أي: «أفلا تُرْعُون ذلك سمعكم، وتُفَكِّرون فيه فتَتَّعِظُون، وتعلمون أن ربكم هو الذي يأتي بالليل ويذهب بالنهار إذا شاء، وإذا شاء أتى بالنهار وذهب بالليل، فيُنْعِمُ باختلافِهما كذلك عليكم»[١٢٠].

وهدف هذا النوع من السماع معرفة غاية القائل وما تنطوي عليه المقولة من الخير والمنافع للسامعين، ولن تُنال هذه المعرفة إلا بالتدّبر والتفكّر، يقول الألوسي: «أفلا تسمعون سماع من يتدبر المسموع ليستدرك منه قصد القائل، ويحيط بأكثر ما جعل الله تعالى النهار من المنافع، فإن عقيب السماع استدراك المراد بالمسموع إذا كان هناك تدبر وتفكر فيه»[١٢١].

هـ ـ الاستماع التحليلي الناقد

وهو الاستماع الذي يحدّد من خلاله المستمع الفكرة، ويحلّل محتواها، ويميّز بين حسنها وقبيحها. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ١٨]؛ فهم في ضوء تحليلهم الناقد لما يستمعون إليه «يَتَّبِعُون أرشدَه وأهداه إلى الحق، وأدله على توحيد الله والعمل بطاعته، ويتركون ما سوى ذلك من القول الذي لا يدل على رشاد، ولا يهدي إلى سداد»[١٢٢]. وهذا نتيجة لاستماع حلّل المسموع واختار منه اختياراً مبنياً على نقد يميّز بين الحسن والقبيح من القول، وفي هذا «مدح لهم بأنهم نقّاد في الدين يميّزون بين الحسن والأحسن والفاضل والأفضل»[١٢٣].

---

(١٢٠) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٨، ص ٣٥.

(١٢١) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ١٠، ص ١٠٨.

(١٢٢) الطبري، المصدر نفسه، ج ٢٠، ص ١٨٤.

(١٢٣) الألوسي، المصدر نفسه، ج ١٢، ص ٢٥٢.

إن الاستماع الناقد هو الذي يُصغي فيه المستمع «بأذنيه ويتدبّر بعقله كل ما يسمعه ويحلّله ويصنّفه ويقيّمه... [و] يقبل على المتحدّث بكافة حواسه ومشاعره، ويتجاوب معه»[١٢٤]، ويتم هذا النوع من الاستماع من خلال «الربط بين المعلومات والحقائق والأفكار التي يسمعها، وبين تلك التي مرت بتجاربه السابقة، ويتم ذلك عن طريق الموازنة... [التي تكون] بعد عملية تفسير التحليلات المستخلصة»[١٢٥].

وتتمثّل أهمية الاستماع الناقد في أنه يتضمن دعوة إلى «الانتباه والتركيز ودعوة إلى تحليل المسموع وإدراك أهدافه ومراميه، ومثل هذا النوع يحتاج إلى رعاية وعناية وتخطيط»[١٢٦].

و ـ سماع الوعي والحفظ

وهو الذي يتطلب من السامع حفظ أكبر قدر ممكن من المادة المسموعة بعد فهمها، فيكون هدف المستمع هنا الحفظ بعد الفهم، قال تعالى: ﴿لِنَجۡعَلَهَا لَكُمۡ تَذۡكِرَةٗ وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٢] قال ابن عباس: «حافظة سامعة»[١٢٧]، والوعي أن تحفظ الشيء في نفسك[١٢٨]. والأذن الواعية هي التي «من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره وإشاعته والتفكّر فيه»[١٢٩].

وجاء التعبير بلفظة (الأذن) مفردة من دون تثنية للدلالة على أن المنتفع بما يسمع الحافظ له قليل جداً، فكان القول منكّراً مفرداً دلالة على عظم نفعها فهي أذن واعية من شأنها أن تحفظ ما ينبغي حفظه من الأقوال والأفعال الإلهية والأسرار الربانية لنفع عباد الله[١٣٠].

ز ـ سماع الاستمتاع

وهو توجيه الأذن لسماع مادة من أجل الاستمتاع بها، فيشدك فيها جمال

---

(١٢٤) حجاب، **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة**، ص ٥٩.

(١٢٥) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(١٢٦) مجاور، **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية**، ص ١٧٠.

(١٢٧) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ٤٤١.

(١٢٨) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ١٥، ص ٥٣.

(١٢٩) المصدر نفسه.

(١٣٠) البقاعي، **نظم الدُرر في تناسب الآيات والسور**، ج ٨، ص ١٢٦.

الأسلوب، وروعة البيان، وفصاحة اللسان، ويعجبك مظهر الملقي وطريقة إلقائه فتستمتع بذلك. ويهدف «هذا النوع من الاستماع إلى الترفيه عن المستمع أو مساعدته على قضاء أوقات الفراغ لديه بطريقة ممتعة»(١٣١). وهذا النوع من السماع محمود مع أخذ الحذر والحيطة من طغيان المظهر على المخبر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] أي: «إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم»(١٣٢) والمراد بالسماع «الإصغاء إليهم لحسن إبانتهم وفصاحة كلامهم مع تغريرهم بحلاوة معانيهم تمويه حالهم على المسلمين»(١٣٣).

ح ـ السماع المعرفي

وهو سماع علم ومعرفة، فيكون بمعنى علمت أو أنا أعلم بذلك، قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. أي: «نحن نعلم ما هم عليه والملائكة أيضاً يكتبون أعمالهم صغيرها وكبيرها»(١٣٤)، والسماع في حق الله علم إحاطة وفي حق البشر علم معرفة، والمراد به في هذه الآية العلم(١٣٥).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠] «أي بعدما علمتم ما دعاكم إليه»(١٣٦).

وهذا النوع من الاستماع يُسمى بـ الاستيعاب المعرفي و«يقوم على الإلمام بالمعارف والحقائق التي تتضمن المادة المتحدّث بها»(١٣٧).

ط ـ السماع الوجداني

وهو الاستماع الذي يؤثر في العواطف والمشاعر، ويقصد به «تأثر

(١٣١) حجاب، **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة**، ص ٥٧.
(١٣٢) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٤، ص ٣٩٣.
(١٣٣) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ٢٨، ص ٢٣٩.
(١٣٤) ابن كثير، المصدر نفسه، ج ٤، ص ١٤٦.
(١٣٥) ابن عاشور، المصدر نفسه، ج ٢٥، ص ٢٦٣.
(١٣٦) ابن كثير، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٠٩.
(١٣٧) الشنطي، **المهارات اللغوية**، ص ١٤٨.

المستمع بما يستمع إليه تأثراً وجدانياً يؤدي إلى بلورة أوضاعٍ نفسية وعاطفية خاصة»(١٣٨).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

ي ـ السماع السلوكي

وهو السماع الذي يعقبه تغيّر في سلوك المستمع إثر سماعه لمادة ما، ويهدف إلى «تغيير السلوك لدى الفرد إثر عملية الاستماع»(١٣٩) قال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]؛ وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

٨ ـ آداب الاستماع كما وردت في القرآن الكريم

بعد استعراض للآيات التي تناولت الاستماع في القرآن الكريم يمكن لنا أن نذكر بعضاً من الآداب التي يجب على المستمع أن يتحلى بها إن أراد الانتفاع من المادة المسموعة، ومن أهمها ما يلي:

أ ـ التهيؤ للاستماع والاستعداد له

ويكون ذلك بأن يستعد المتلقي لسماع الرسالة بقلب حاضر وعقل مدرك، فهذا موسى (عليه السلام) عندما ناداه الله تعالى في قوله: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ

(١٣٨) المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(١٣٩) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾ [طه: ١٣] «وقف على حجر، واستند إلى حجر، ووضع يمينه على شماله، وألقى ذقنه على صدره، ووقف يستمع»[١٤٠].

إن براعة المرسل واستخدامه لمهارات الإلقاء المؤثر ومحاولة جذب المستمعين لا تكفي لتحقيق اتصال فاعل، لأن حضور الطرف الآخر وهو المستقبل واستعداده للاستماع يشكل الجانب الآخر الرئيس في العملية الاتصالية، وهذا ما يؤكّده أحد الباحثين بقوله: «إن وضوح الحديث ليس كافياً لتحقيق الاتصال الفعّال، ولكن أيضاً استعداد الطرف الآخر المتلقي للرسالة ذهنياً ونفسياً لاستيعابها»[١٤١].

ب ـ التوجه إلى المتكلّم والنظر إليه

ويكون بأن ينظر المستمع إلى المتكلم ويتوجه إليه بجسمه ووجهه؛ لأن في ذلك تأدباً مع المتكلم، واحتراماً له، وإشعاراً له بأهمية كلامه. يقول الجيوسي: «يمكّنك الحفاظ على التواصل البصري في أثناء الاستماع من تحقيق مهمتين أساسيتين:

(١) القدرة على التقاط الإشارات غير اللفظية كافة التي يرسلها المتحدّث وتكون مفيدة في استكمال الرسالة ووضوح معناها.

(٢) إعطاء المتحدّث انطباعاً قوياً باهتمام المستمع، وتوفير الفرصة له لالتقاط إشارات التغذية الراجعة منه ما سيكون مفيداً في تطوير الرسالة»[١٤٢].

ومنه قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٢٩] أي: «أملناهم إليك ووجهناهم لك»[١٤٣] «توجيهاً خالصاً حسناً متقناً فيه ميل إليك وإقبال عليك وإعراض عن غيرك»[١٤٤] وكل ذلك من أدب الاستماع.

---

(١٤٠) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٦، ص ١٧٦.
(١٤١) هلال، **مهارات الاتصال**، ص ١١٧.
(١٤٢) الجيوسي، **أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني**، ص ٥٢.
(١٤٣) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ١٣، ص ٣٠.
(١٤٤) البقاعي، **نظم الدُرر في تناسب الآيات والسور**، ج ٧، ص ١٤٠.

ج ـ كف الجوارح وسكونها

وذلك من حسن الاستماع والتأدب مع المادة المسموعة، وقد ذكر القرطبي رحمه الله في معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه: ١٣]. ما روي عن وهب بن منبّه أنه قال: «من أدب الاستماع سكون الجوارح، وغضّ البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله، وهو أن يكفّ العبد جوارحه، ولا يشغلها فيشتغل قلبه عما يسمع، ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى، ويحصر عقله فلا يحدّث نفسه بشيء سوى ما يستمع إليه، ويعزم على أن يفهم فيعمل بما يفهم»(١٤٥).

ومن كف الجوارح أيضاً، السكوت وترك الكلام عند الاستماع، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]. وذلك حين قال الجن بعضهم لبعض: (أنصتوا) «أي: اسكتوا وميلوا بكلياتكم واستمعوا حفظاً للأدب... وفيه تأدب مع العلم في تعلمه وأيضاً مع معلمه»(١٤٦).

إن مقاطعة المستمع للمتحدّث تشتت تفكيره، كما إنها «قد تعطيه انطباعاً سلبياً عن مدى اهتمامك بما يقوله أو مدى احترامك له. ثم إن المقاطعة قد تشير إلى فشل المستمع في تحرير ذاته عن شواغلها»(١٤٧).

د ـ تنزيه السمع عن اللغو والكلام الفاحش:

ويكون ذلك بالإعراض عن سماع كل رديء، والابتعاد عن مجالس اللغو والغيبة والنميمة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥] فإذا سمعوا اللغو «لم يصغوا إليه ولم يستمعوه»(١٤٨).

إن إعراض المؤمنين عن سماع اللغو والكلام الباطل، وتنزيههم السمع

---

(١٤٥) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٦، ص ١٧٦.

(١٤٦) البقاعي، المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٤١.

(١٤٧) الجيوسي، **أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني**، ص ٥٢ ـ ٥٣.

(١٤٨) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٨، ص ٢٨٢.

عن ذلك، وصون النفس عنه هو أدب إسلامي، يتضمن تلقّي الطيب من المسموع، ورفض الخبيث منه، ولذا فإن الله تعالى قد مدحهم «بإعراضهم عن اللغو. . . تكرُّماً، وتنزُّهاً، وتأدباً بآداب الشرع»[149].

وفي قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] «تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله عنه الدار التي لا تكليف فيها»[150].

ومن تنزيه السمع أيضاً إبعاده عن سماع الكذب وتتبّعه، حيث وصف الله المنافقين بأنهم سمّاعون للكذب؛ وفي ذلك تنفير للمؤمنين من هذه الصفة، ودعوة إلى تنزيه أسماعهم من سماع الكذب فقال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة ٤٢] حيث لم ترد لفظة (سمّٰعون) في القرآن الكريم إلا في الاستماع للكذب، وهي صيغة مبالغة «والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب»[151].

هـ ـ اختيار المكان المناسب للاستماع

وذلك يتضمن أيضاً اختيار الجلسة المناسبة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩] «خالية من الحرس والشهب أو صالحة للترصد والاستماع»[152].

إن البيئة المناسبة الهادئة المريحة الخالية من الضوضاء، والمشتتات والمزعجات، المشتملة على درجة حرارية معتدلة، وإضاءة مناسبة، وإمكانية جيدة لرؤية المتحدّث، هي البيئة المثلى لتسهيل عملية الاستماع والاستفادة من المسموع[153].

وبعد؛ فإن القرآن الكريم قد اعتنى بمهارة الاستماع وأكدّ أهميتها.

---

(١٤٩) الشوكاني، **فتح القدير**، ج ٤، ص ٢٢٤.

(١٥٠) جار الله محمود الزمخشري، **تفسير الكشاف** (بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ٦٤١.

(١٥١) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج ٣، ص ٣٧.

(١٥٢) المصدر نفسه، ج ٩، ص ٤٤.

(١٥٣) الجيوسي، **أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني**، ص ٤٨ (بتصرف).

ويظهر ذلك جلياً في كثرة الإشارة إليها، والتنويع في استخدام الألفاظ الدالة عليها، وكذلك في ربطها بالعلم والمعرفة، وفي تقديم السمع على البصر.

لقد حدّدت الآيات القرآنية الكريمة التي تناولت الاستماع مفاهيمه وأهدافه ومهاراته وآدابه، ضمن سياقاتها المختلفة وفي مختلف الموضوعات التي اهتم بها.

إن من أكثر المهارات اللغوية التي يستخدمها الإنسان هي مهارة الاستماع، فهي تمثل ٧٠ في المئة تقريباً من نشاطه اليومي، وهذا ما يقرره القرآن الكريم في كثرة تناوله لهذه المهارة، وبيان أهم أهدافها ومهاراتها ضمن سياق الآيات التي تناولتها.

ثانياً: القراءة في القرآن الكريم

القراءة هي مهارة الاستقبال اللغوي الثانية بعد الاستماع، وهي نشاط عقلي يستقي القارئ منها المعلومة، وهي من عوامل بناء شخصية الفرد، ووسيلة تعليم وتعلّم كذلك، وفيها تواصل الفكر بالفكر، والحضارة بالحضارة، وهي سبيل التقدّم والرقي. بدأت بها رسالة الإسلام فقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] لأنها بوابة المعرفة وطريق الوصول إلى العلم. فهي «مجال من مجالات النشاط اللغوي وأداة من أدوات اكتساب المعرفة ووسيلة من وسائل الرقيّ الاجتماعي والعلمي، وعن طريقها يُشْبِع الفرد حاجاته ويُنَمِّي فكره ويثري خبرته»(١٥٤).

١ ـ مفهوم القراءة

القراءة هي مهارة استقبال يستخدم القارئ فيها القدرة البصرية لالتقاط الرموز المكتوبة، وفهمها، وتفسير معانيها. ولعل التعريف الذي قدمته «الرابطة القومية لدراسة التربية (NSSE) في أمريكا يوضح طبيعة عملية القراءة. يقول التعريف: إن القراءة ليست مهارة آلية بسيطة، كما إنها ليست أداة مدرسية ضعيفة. إنها أساساً عملية ذهنية تأملية، وينبغي أن تبنى كتنظيم مركب يتكون

---

(١٥٤) محمد حبيب الله، **أسس القراءة وفهم المقروء بين النظرية والتطبيق**، ط ٢ (عمّان: دار عمّار، ١٤٢١هـ/ ١٩٨١م)، ص ٣٤.

من أنماط ذات عمليات عليا، إنها نشاط ينبغي أن يحتوي على كل أنماط التفكير والتقويم، والحكم، والتحليل والتعليل، وحل المشكلات»[١٥٥].

وبناء على ذلك، فإن القراءة: نشاط فكري يشتمل على التعرّف على الحروف والكلمات والنطق بها صحيحة، والفهم والتحليل والنقد والتفاعل مع المقروء، وحل المشكلات والمتعة النفسية[١٥٦].

٢ ـ ألفاظ القراءة في القرآن الكريم ومعانيها

تحدّث القرآن الكريم عن القراءة في صيغ متعدّدة للفظين فقط هما: (القراءة) و(التلاوة)، نناقشهما في ما يأتي:

أ ـ القراءة

لم ترد لفظة القراءة في القرآن الكريم إلا بصيغة الفعل فقط، ولم ترد بالاسم إلا في لفظة (القرآن)؛ فجاءت على صورة الفعل الماضي والمضارع والأمر، وفي جميع المواضع لم يتغير المفهوم الذي جاءت به، فكلّها تدور حول المعنى الحقيقي للقراءة.

والقراءة يدور معناها حول النظر إلى الرموز المكتوبة والنطق بها، أو استظهار المحفوظ والنطق به، وهذا المعنى يدل على أن القراءة ليست قراءة ما في السطور فحسب، بل يدخل في ذلك قراءة ما في الصدور أيضاً، وهذا ما أكّده عدد من المفسرين، يقول ابن عاشور موضحاً ذلك: «والقراءة نطق بكلام معين مكتوب أو محفوظ عن ظهر قلب»[١٥٧].

ويقول الطبري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧]: «إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نُثَبِّتَهُ فيه... وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك»[١٥٨]. ويقول ابن كثير: «أي

---

(١٥٥) رشدي أحمد طعيمة، **المهارات اللغوية: مستوياتها ـ تدريسها ـ صعوباتها** (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ١٨٧.

(١٥٦) محمود أحمد السيد، **تعليم اللغة العربية بين الواقع والطموح** (دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٨)، ص ١٤٤.

(١٥٧) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٤٣٥.

(١٥٨) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٢٣، ص ٥٠٠.

نجمعه في صدرك، ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئاً»(١٥٩). ويقول الشنقيطي: «وتوجيه الأمر بالقراءة إلى نبي أمي لا تعارض فيه، لأن القراءة تكون من مكتوب وتكون من متلوّ»(١٦٠).

ب ـ التلاوة

ورد لفظ التلاوة في القرآن الكريم بصيغة الفعل ماضياً أو مضارعاً أو أمراً في جميع المواضع. إلا في موضع واحد فحسب ورد فيه بصيغة المصدر (تلاوة) في الآية (١٢١) من سورة البقرة.

وقد جاء اللفظ في جميع مواضعه بمعنى القراءة، قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢]، أي: «وأمرت أن أتلو القرآن، أي أقرأه»(١٦١).

وقال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٧] «والأمر في قوله (واتل) شامل للتلاوة بمعنى القراءة»(١٦٢).

وقد يجمع مع معنى التلاوة معنى القصّ والدراسة، وهي من المعاني التابعة للتلاوة حيث إن الذي يقصّ أو يدرس هو يقرأ ما يقصّه أو يدرسه كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨] أي: «نقرؤها عليك ونقصّها»(١٦٣).

وفي قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] «يعني بقوله: ﴿تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾: تدرسون وتقرؤون»(١٦٤).

والتلاوة تعني أيضاً إتباع الكلام بعضه بعضاً، يقول القرطبي: «وأصل

---

(١٥٩) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٣، ص ١٧٥.

(١٦٠) محمد الأمين المختار الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج ٩، ص ١٩٣.

(١٦١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٧، ص ٢٤٦.

(١٦٢) الشنقيطي، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٦٧.

(١٦٣) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٥، ص ٦٦٨.

(١٦٤) المصدر نفسه، ج، ص ٦١٦.

التلاوة الإتباع، لذلك استعمل في القراءة، لأنه يتبع بعض الكلام ببعض في حروفه حتى يأتي على نسقه»[١٦٥]

والتلاوة من حيث المعنى لا تختلف عن القراءة، فتُطلَق على قراءة المكتوب وقراءة المحفوظ، إلا أن العسكري يفرّق بين التلاوة والقراءة في جزئية يسيرة فيقول: «الفرق بين التلاوة والقراءة: أن التلاوة لا تكون إلا لكلمتين فصاعداً، والقراءة تكون للكلمة الواحدة، يقال: قرأ فلان اسمه، ولا يقال: تلا اسمه وذلك أن أصل التلاوة إتباع الشيء بالشيء، يقال: تلاه إذا تبعه فتكون التلاوة في الكلمات يتبع بعضها بعضاً، ولا تكون في الكلمة الواحدة»[١٦٦]. ويبدو أن القراءة تشمل قراءة الكلمة الواحدة وتشمل كذلك قراءة الكلمتين فصاعداً، بينما لا تكون التلاوة إلا في قراءة الكلمتين فأكثر، يقول الشايع: «التلاوة غالباً ما تستعمل في مواقف الإجلال والاحترام والتعظيم، إضافة إلى أنها أحياناً تعني القراءة بتنغيم معيّن، ولهذا يغلب استعمالها عند الإشارة إلى قراءة القرآن الكريم»[١٦٧].

٣ ـ أهمية القراءة

القراءة سياحة العقل، وغذاء الروح، وبناء الفكر، وهي أساس المعرفة، وسبيل التقدّم والتطوّر، يستقبل من خلالها الفرد المعارف والتجارب الإنسانية، وهي طريق التفوّق والنجاح، وصنو الرقي والوعي والحضارة.

ليس في ما تقدّم ذكره دليل كاف على أهمية القراءة ودورها في الحياة لكنني أكتفي بأن أقول: إن أول كلمة أنزلت من القرآن الكريم كلمة (إقرأ)، قال الله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١-٥]. أليس في ذلك دلالة عظيمة وواضحة على عظم القراءة وأهميتها.

لقد ذكر الطبري أن أول شيء أُنزل من القرآن ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[١٦٨].

(١٦٥) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١، ص ٣٦٩.
(١٦٦) العسكري، **الفروق في اللغة**، ص ٤٥.
(١٦٧) محمد الشايع، **الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم** (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص ٢٧٩.
(١٦٨) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٢٤، ص ٣٥٠.

وفي مجيء الفعل على صيغة الأمر دلالة على الدعوة إلى الاستمرار في القراءة الحالية والمستقبلية، يقول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: «والأمر بالقراءة مستعمل في حقيقته من الطلب لتحصيل فعل في الحال أو الاستقبال»(١٦٩).

إن افتتاح الرسالة المحمدية بالقراءة وكذلك بالكتابة لأبلغ دليل على أهميتها في التحصُّل على العلم، وتحصيل المعرفة، وبيان لدورها الكبير في حياة البشرية.

والقراءة عملية دائمة يمارسها الإنسان في مراحل تعليمه كما يمارسها في حياته العامة طول عمره، والنجاح فيها أكبر وسيلة لتعليم الفرد تعليماً منتجاً مثمراً، وهي من أيسر وسائل الثقافة، وهي وسيلة من وسائل الاستمتاع، وأداة من أدوات حل المشكلات، كما إنها وسيلة مهمة من وسائل النهوض بالمجتمعات وربط الأمم والشعوب بعضها ببعض، ولها دور عظيم في تنظيم المجتمع ونموه فهي شيء أساس في بناء الإنسان وصقل مواهبه وقدراته(١٧٠).

٤ ـ أهداف القراءة كما وردت في القرآن الكريم

إذا أراد الفرد منّا أن يقرأ مادة مكتوبة أو محفوظة فإنه يهدف إلى غاية، ومن خلال تتبع الآيات القرآنية التي تناولت مهارة القراءة نجد أن للقراءة مجموعة من الأهداف نذكر أهمها في ما يأتي:

أ ـ أن يتحصّل الفرد على المعلومة

القراءة مهارة استقبال يتحصّل الفرد من خلالها على المعلومات والمعارف، ويتوصل بها إلى العلم، و«تعدّ بالنسبة إلى الفرد أهم وسيلة للحصول على المعرفة... متى شاء وحينما يريد... وتتميز بإتاحة الفرصة لاختيار المادة المقروءة»(١٧١).

---

(١٦٩) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٤٣٥.

(١٧٠) محمد صالح سمك، **فن التدريس للتربية اللغوية** (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨)، ص ١٢٤ ـ ١٢٦.

(١٧١) حجاب، **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة**، ص ١٩١.

قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ [العلق: ١-٥].

إن أول كلمة من القرآن الكريم هي كلمة (اقرأ)، وجاءت على صيغة فعل الأمر للدلالة على البدء بالقراءة «والأمر بالقراءة مستعمل في حقيقته من الطلب لتحصيل فعل في الحال أو الاستقبال، فالمطلوب بقوله: (اقرأ) أن يفعل القراءة في الحال أو المستقبل القريب من الحال»[١٧٢].

كما إن ارتباط القراءة بالعلم هنا فيه دلالة على أنها سبيله وطريق التحصّل عليه.

وقال الله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ فَسۡـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقۡرَءُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكَۚ لَقَدۡ جَآءَكَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤] فوصفهم «بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله (ﷺ) مكتوب»[١٧٣] وثابت عندهم، فهم نتيجة لقراءتهم في كتبهم تحصّلوا على العلم، الذي يمكنهم من خلاله التأكيد على صدق رسالته (ﷺ).

ب ـ أن يفهم القارئ المادة المقروءة

القراءة لا تقف عند حد نطق الرموز فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى فهم المقروء، «وعلى القارئ أن يفكّ هذه الرموز، ويحيل الرسالة من شكل مطبوع إلى خطاب خاص له. ولا يقف الأمر عند فك الرموز وفهم دلالاتها، وإنما يتعدى هذا إلى محاولة إدراك ما وراء هذه الرموز، والقراءة بذلك عملية عقلية يستخدم الإنسان فيها عقله وخبرته السابقة في فهم وإدراك مغزى الرسالة التي تنتقل إليه»[١٧٤]؛ فالقارئ الجيد هو الذي يسعى إلى تحقيق هدفه من القراءة في فهمه للمادة المقروءة، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]؛ فهم هنا كمن لا يعلم مع أنهم يقرؤون الكتاب، وذلك لأنهم لم يفهموا المقروء. والفهم «هو ثمرة القراءة وهدفها. . . وقد كشفت التجارب

---

(١٧٢) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ٣٠، ص ٤٣٥.
(١٧٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٠٢.
(١٧٤) طعيمة، **المهارات اللغوية: مستوياتها ـ تدريسها ـ صعوباتها**، ص ١٨٧.

عن أن القارئ الذي يفهم ما يقرأ يكون أداؤه جيداً في الغالب»[١٧٥] ويكون تحصيله العلمي والدراسي أوفر، لأن القراءة سبيل العلم والمعرفة.

ج ـ أن يقوم القارئ بالإعلام والتبليغ

تكون القراءة أيضاً لهدف إعلام المستمعين بخبر أو قصة أو دعوتهم أو تبليغهم. وما كانت قراءة الأنبياء للكتب السماوية إلا من هذا الباب، قال الله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْءَانَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢] أي: أقرأ القرآن «على الناس أبلغهم إياه»[١٧٦].

د ـ أن تستخدم القراءة من أجل التربية والتعليم:

القراءة مهارة اتصال مهمة، وهي أيضاً وسيلة رئيسة للتعليم والتعلُّم، وأداة للتربية، وقد نبه القرآن الكريم إلى ذلك في غير آية[١٧٧]؛ فكانت القراءة هي الخطوة الأولى في التعليم والتعلم والتربية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] والمراد أنه «يأمرهم بتلاوة الكتاب ويعلّمهم معاني الكتاب وحقائقه؛ فلما ذكر تعالى أولاً أمر التلاوة ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره»[١٧٨]، ثم أتبعه بتعليم الحكمة ويقصد بها «الإصابة في القول والعمل... ووضع كل شيء موضعه»[١٧٩] ثم أمره بتزكيتهم، والتزكية «التطهير من النقائص»[١٨٠] وهي أقرب دلالة لمعنى التربية في زمننا هذا.

هـ ـ أن تكون القراءة أداة لثبات التعلُّم

يحرص التربويون على أهمية ثبات التعلّم لدى المتعلمين، والقراءة أداة مهمة لتحقيق هذا الهدف، ويظهر ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ

(١٧٥) الشنطي، **المهارات اللغوية**، ص ١٦٥.

(١٧٦) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٣، ص ٣٩١.

(١٧٧) انظر: سورة البقرة: الآيتان ١٢٩ و١٥١، سورة آل عمران: الآية ١٦٤، وسورة الجمعة: الآية ٢.

(١٧٨) الرازي، **التفسير الكبير**، ج ٤، ص ٥٩.

(١٧٩) المصدر نفسه.

(١٨٠) ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج ١، ص ٧٢٣.

﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]. أي: «أن يقرأ على الناس وتلك علّة لجعله قرآناً، وأن يقرأ على مكث، أي مهل وبطء وهي علة لتفريقه. والحكمة في ذلك أن تكون ألفاظه ومعانيه أثبت في نفوس السامعين»[١٨١].

و ـ أن ينتفع القارئ بالمادة المقروءة

للقراءة منافع كثيرة، تعود بالخير على القارئ والسامع، ولكن هذه المنافع لن يكون لها قيمة إذا لم يعمل بها، والقارئ إن لم يستفد من قراءته في ظروف حياته المختلفة فإن تلك القراءة لا حاجة له بها، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]. حكى الطبري عن ابن عباس قوله: «إذا تلي عليك فاتبع ما فيه...»[١٨٢]. وعن قتادة قال: «اتبع حلاله واجتنب حرامه»[١٨٣] وقال آخرون: «فإذا بيّناه فاعمل به»[١٨٤]. و«أولى الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: فإذا تلي عليك فاعمل به من الأمر والنهي، واتبع ما أُمرت به فيه»[١٨٥] والعمل بما فيه انتفاع واتباع.

ولذا، فإن القراءة بشكل عام تهدف إلى تنمية قدرة الإنسان إلى «أن يستخدم كل ما يعلمه أو يمكن أن يكشف عنه في تفسير معاني الأفكار أو تأويلها»[١٨٦] استخداماً مفيداً في حياته وفي حل المشكلات التي تمر به.

ز ـ أن يكتشف القارئ الحقائق والمعارف من خلال تكرار القراءة

يستطيع القارئ الحاذق أن يصل إلى الحقائق والمعارف بمداومة القراءة والإكثار منها قال تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [النمل: ٩٢]. يقول أبو السعود: «أي: أواظب على تلاوته لتنكشف لي حقائقه المخزونة في تضاعيفه شيئاً فشيئاً، أو تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة، وتثنية الإرشاد، فيكون ذلك تنبيهاً على كفايته في الهداية والإرشاد»[١٨٧].

---

(١٨١) المصدر نفسه، ج ١٥، ص ٢٣١.
(١٨٢) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ٢٣، ص ٥٠٢.
(١٨٣) المصدر نفسه.
(١٨٤) المصدر نفسه.
(١٨٥) المصدر نفسه.
(١٨٦) السيد، **تعليم اللغة العربية بين الواقع والطموح**، ص ١٥٨.
(١٨٧) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج ٦، ص ٣٠٦.

فإن القارئ كلما كرّر قراءته للمادة المكتوبة انكشفت له المزيد من الحقائق والمعلومات والمفاهيم.

ح ـ أن تُقام الحجة وتثبت الحقيقة بالقراءة

يمكن إثبات الحقيقة لمن ينكرها بالقراءة، فهي حجة وبرهان على صحة المعلومة وصدقها، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥] أي: «تتابع لكم قراءتها في الدنيا شيئاً فشيئاً»(١٨٨).

وقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] «اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا، الذي كان كاتبانا يكتبانه، ونحصيه عليك»(١٨٩) فهو حجة وبرهان على حقيقة أعمالك في الدنيا.

٥ ـ المهارات القرائية كما وردت في القرآن الكريم

أشار القرآن الكريم إلى بعض المهارات القرائية عند استخدامه لبعض صيغ (القراءة) أو (التلاوة)، وكان أهم تلك المهارات ما يأتي:

أ ـ فهم المقروء وإفهامه

إن ترجمة الرموز المكتوبة بعد النطق بها إلى معانٍ يطلق عليه فهم المقروء، فعندما يقرأ القارئ نصاً مكتوباً فإنّ أول مهارة يجب عليه أن يقوم بها فهم معانيها، وهو «عملية الربط بين الصحيح من الألفاظ والمعاني.. والتعرّف على المعنى المقصود في إطار السياق.. والتعرّف على المعنى الضمني أيضاً، بما يساعد الفرد على الربط بين المفاهيم واستخلاص المعاني»(١٩٠).

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الشعراء: ١٩٨ ـ ١٩٩] «والمعنى أنا أنزلنا القرآن على رجل عربي مبين ففهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز»(١٩١)، ومع ذلك لم يؤمنوا

---

(١٨٨) البقاعي، **نظم الدُرر في تناسب الآيات والسور**، ج ٥، ص ٢٢٣.
(١٨٩) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٤، ص ٥٢٥.
(١٩٠) المصدر نفسه، ص ١٩٤.
(١٩١) النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج ٢، ص ١٢١٠.

به، «ولو نزلناه على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلاً أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا معجزاً لكفروا به»(١٩٢)؛ فعدم إيمانهم ليس بسبب عدم فهم القرآن الكريم، ولكنه ادعاء بعدم الفهم. يقول الشوكاني رحمه الله: «ولو نزلناه على بعض الأعجمين بلغة العجم فقرأه عليهم بلغته لم يؤمنوا به، وقالوا: ما نفقه هذا ولا نفهمه»(١٩٣).

والفرد لا يمكن أن نعدّه قارئاً إلا إذا فهم ما يقرأ «ويقوم الفهم على استيعاب الأفكار، وتذكّر تسلسل الأحداث... أو تتابع المعاني وترابطها»(١٩٤).

ب ـ تحسين القراءة وإعطاؤها حقها

إن تحسين القراءة يتضمن إعطاءها حقها في إخراج الحروف من مخارجها، والانطلاق في القراءة، وتمثيل المعنى، وجودة الإلقاء... كل ذلك من مهارات القراءة الأساسية، وهي مطلب في عموم القراءة. قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي: «على ترسّل في التلاوة وترتيل... فيعطي القارئ القراءة حقّها من ترتيلها وتحسينها وتطييبها بالصوت الحسن ما أمكن»(١٩٥) ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤].

ويتطلب تحسين القراءة التوسّط ما بين إسراعٍ مُخِلٍّ أو تأنٍّ مملٍ، فيقرأ النص المكتوب بتوازن بين المنزلتين، وهذا يحتاج إلى مران وتدريب حتى تألف العين المفردات فتقرأها على مكثٍ مع نطق سليم للحروف، وتنغيم معبّر للمعاني، ومراعاة لعلامات الترقيم، وفهم للمقروء، وإفهام للسامع.

القراءة الجيدة الواعية تؤدي إلى الفهم الصحيح والعمل الصحيح، ولن يتم ذلك إلا من خلال إعطاء القراءة حقّها، فيقرأ القارئ مراعياً جميع المهارات القرائية، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ١٢١] فهم «يقرؤونه حق قراءته في الترتيل وأداء الحروف والتدبّر والتفكّر، أو يعلمون

---

(١٩٢) المصدر نفسه.

(١٩٣) الشوكاني، **فتح القدير**، ج ٤، ص ١٤٨.

(١٩٤) الشنطي، **المهارات اللغوية**، ص ١٦٥.

(١٩٥) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٥، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

به ويؤمنون بما في مضمونه»[١٩٦]؛ فحق القراءة إجادتها، وفهمها، والعلم والعمل والاتباع، والحفظ من دون تغيير أو تحريف.

يقول الألوسي في تفسيره: «أي يقرؤونه حق قراءته وهي قراءة تأخذ بمجامع القلب فيراعى فيها ضبط اللفظ والتأمل في المعنى وحق الأمر والنهي»[١٩٧].

ج ـ التفكّر والتدبّر في المقروء

التفكّر والتدبّر في المادة المقروءة يعني إعمال العقل، وانشغال الذهن قد يكون سبباً في عدم الفهم أو التعقل للمسموع؛ لذا فإن الله تعالى يأمر عباده على لسان نبيه محمد (ﷺ) «إذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم. . . لئلا يلبس على القارئ قراءته، ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكر»[١٩٨]قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤] فإن لفظة (رتل) «ليست دالة على كثرة القراءة، وإنما المراد بها أن تكون القراءة على هيئة التأني والتدبر»[١٩٩].

د ـ الانتفاع بالمقروء

من مهارات القراءة استخدامها والانتفاع بها، أما إذا قرأ القارئ ولم يستفد من المادة المقروءة فإن قراءته لا جدوى لها ولا أثر. والله تعالى يوبّخ أهل الكتاب عندما تخالف أفعالهم أقوالهم، ويبين تعالى أن من يقرأ الكتاب ويفعل ذلك ليس له عقل، قال تعالى:

---

(١٩٦) النسفي، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج ١، ص ١٠٣.

(١٩٧) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ١، ص ٣٧٢.

(١٩٨) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٢، ص ٦٠٧.

(١٩٩) ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط ٢ (الرياض: دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م)، ج ٢، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤] أي: «كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير، أن تنسوا أنفسكم فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه.. أفلا تعقلون»[٢٠٠].

إن مهارة الانتفاع بالمقروء تتجلى لدى القارئ عند استخدامها في حل المشكلات التي تواجهه في الحياة «فبعد فهم المقروء بكل أبعاده يمكن القارئ أن يستغل مادة القراءة في حل مشكلاته المهنية أو اليومية أو حل مشاكل مجتمعه»[٢٠١].

والقارئ الماهر هو الذي يستطيع أن يمارس القراءة من خلال استراتيجيات القراءة[٢٠٢] الآتية، حتى يتمكن من فهم المقروء والانتفاع به:

(١) الاحتفاظ بمعنى النص في الذاكرة، أي فهم المقروء.

(٢) قراءة العبارات العريضة (ذات الخط الغامق أو الكبير).

(٣) إغفال الكلمات غير الأساسية.

(٤) محاولة التعرّف على الكلمات الصعبة من خلال السياق.

(٥) محاولة النظر إلى الأمثلة التوضيحية في النص.

(٦) الرجوع إلى معاني المفردات الموجودة في نهاية الكتاب.

٦ ـ آداب القراءة

أشار القرآن الكريم إلى آداب القراءة، وإن كانت تلك الآداب قد جاءت في سياق الحديث عن قراءة القرآن إلا أنها يمكن أن تكون عامة لكل قراءة؛ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ومن أهم تلك الآداب ما يأتي:

أ ـ الاستعاذة قبل القراءة

وهي أن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ

(٢٠٠) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ١، ص ٨٨.

(٢٠١) حجاب، **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة**، ص ١٩٤.

(٢٠٢) Steven H. McDonough, *Strategy and Skill in Learning a Foreign Language* (London; New York: E. Arnold, 1995), p. 44.

﴿ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]. «وتخصيص قراءة القرآن من بين الأعمال الصالحة بالاستعاذة عند إرادتها للتنبيه أنها لسائر الأعمال الصالحة عند إرادتها أهمّ، لأنه إذا وقع الأمر بها عند قراءة القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كانت عند إرادة غيره أولى»(٢٠٣).

ب ـ التأني والابتعاد عن العجلة في القراءة

فالقراءة المتوازنة بين التأني والسرعة هي المطلوبة، وهي أدب تتأدب فيه مع المستمع، فيتضح من خلالها أداؤك، ويبين هدفك مما قرأت، وتتجلى المعاني، وتتوافد إلى ذهن القارئ والمتلقي بيسر ووضوح، قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] أي: «لتقرأه على الناس على تُؤَدةٍ، فتُرتِّلَهُ وتُبيِّنَه، ولا تعجلْ في تلاوتِه فلا يُفْهَم منك»(٢٠٤).

وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة: ١٦ ـ ١٨] والمقصود: «لا تحرّك بالقرآن لسانك عند إلقاء الوحي من قبل أن يُقضى إليك وحيه (لتعجل به) أي لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك»(٢٠٥).

ج ـ أن تكون القراءة على اسم الله

فيكون كل ما يتناوله القارئ باسم الله، وفي ضوء ما يرضاه الله، قال الله تعالى:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١] ومعناه أي: «اقرأ باسم ربك منشئاً ومبتدئاً القراءة باسم ربك أي قل باسم الله... أي إن ما تقرؤه هو من ربك، وتبلّغه للناس باسم ربك، وأنت مبلّغ عن ربك»(٢٠٦).

يقول الحدري معلقاً على ذلك: «والقراءة على اسم الله قيد للمعرفة من الانحراف في كل ميدان من ميادين الحياة، وهي مفتاح تربية الفرد والمجتمع

---

(٢٠٣) الشوكاني، **فتح القدير**، ج ٣، ص ٢٤٣.
(٢٠٤) الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج ١٥، ص ١١٦.
(٢٠٥) الألوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ج ١٥، ص ١٧٨.
(٢٠٦) الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج ٩، ص ١٩٤.

في كل نشاط يقام على وجه الأرض»[٢٠٧] والتعبير باسم الرب هنا له «مدلول الربوبية الذي ينبه العبد إلى ما أولاه الله إياه من التربية والرعاية والعناية»[٢٠٨]، وفي هذا مدلول على أن التربية تبدأ بالقراءة شأنها في ذلك شأن أي عمل يريد له صاحبه النجاح والتفوق.

وبعد؛ فإن القراءة مهارة اتصال لغوي لها أهدافها ومهاراتها وآدابها، وقد أشار القرآن الكريم إلى العديد من تلك الجوانب المهمة التي تتعلق بالقراءة أو بالقارئ.

خلاصة

خلاصة القول، إن القرآن الكريم بدأ بالحث على القراءة، وأكدّ أنها طريق العلم وسبيل المعرفة، واشترط لها أن تكون على اسم الله، كما إنه حدد لنا بعض معانيها وأهدافها ومهاراتها وآدابها في مواضع متعددة وسياقات مختلفة.

إن المتأمل في الآيات التي تحدّثت عن القراءة في القرآن الكريم، يجد أنها تضمّنت دعوة إلى القراءة، وحثّاً على فهم المقروء، ورسالة إلى التبليغ، وحجة على القارئ، وطلباً للتدبّر والتفكّر، وتنبيهاً إلى أهمية العمل والانتفاع بالمقروء. إلى غير ذلك من المعاني العظيمة في القرآن الكريم التي توالت في تلاوته وتقررت في قراءته. إن الاستفادة من المادة المقروءة مرهونة بهدف القارئ، لأنه حين «يتصل بمادة مطبوعة، فإنما يفعل ذلك لهدف، وقد يكون هدفاً عقلياً، يتمثّل في الحصول على المعرفة لتوسيع أفقه، وقد يكون هدفاً عملياً، يتمثّل في الرغبة في أداء شيء ما، وقد يكون وجدانياً يتمثّل في الرغبة في إشباع الحاجات الوجدانية عند الفرد»[٢٠٩].

---

(٢٠٧) خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن الحدري، **منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية** (مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص ٤٧٩.

(٢٠٨) الشنقيطي، المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٩٤.

(٢٠٩) طعيمة، **المهارات اللغوية: مستوياتها ـ تدريسها ـ صعوباتها**، ص ١٨٩.

خاتمة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]

والصلاة والسلام على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه، وبعد؛

ها نحن قد وصلنا إلى نهاية هذه الدراسة، التي تناولت فيها طرفاً من موضوع مهم من الموضوعات المعاصرة، وهو الاتصال، حيث تناولت منه الاتصال اللغوي، وقد كانت الدراسة تأصيلاً لمهارات الاتصال اللغوي في القرآن الكريم، وبدأت بتوضيح بعض المفاهيم المتعلقة بالدراسة توضيحاً مجملاً وهي: المهارة واللغة والاتصال، ثم الوقوف على هذه المفاهيم في القرآن الكريم.

وبعد ذلك أشرت في إلماحة إلى بعض ملامح الاتصال اللغوي في القرآن الكريم، فاستعرضت أطرافه ووظائفه وطرائقه ومقوماته ومعوقاته.

ثم تناولت بشيء من التفصيل مهارات الاتصال اللغوي في القرآن الكريم، فصنفتها إلى نوعين: **الأول**: مهارات الإرسال اللغوي، وناقشت فيه مهارتي التحدّث والكتابة، من خلال الوقوف على ألفاظهما ومعانيهما وأهدافهما ومهاراتهما وآدابهما في القرآن الكريم. **والثاني**: مهارات الاستقبال اللغوي، وناقشت فيه مهارتي الاستماع والتحدّث، من خلال الوقوف على ألفاظهما ومعانيهما وأهدافهما ومهاراتهما وآدابهما في القرآن الكريم.

وبعد هذه الجولة مع الاتصال اللغوي في القرآن الكريم نخلص إلى ما يلي:

■ عناية القرآن الكريم بالاتصال بجميع أنواعه، الحسي والبصري واللغوي، وتوجيه الأنظار إلى أهميته في حياة الفرد والجماعة لتحقيق الحاجات والتعبير عن الأفكار ونقلها إلى الآخرين.

■ تعرُّض القرآن الكريم إلى جانب مهم من جوانب الاتصال اللغوي، وهو اللغة فعبّر عنها بلفظة اللسان، وأكدّ أن اختلاف ألسنة الناس آية من آيات قدرته سبحانه وتعالى.

■ تناوُل مفهوم الاتصال في القرآن الكريم لم يرد من خلال كلمة (اتصال) بهذه الصيغة، ولكنه ورد بصيغة الفعل الماضي مثل: (وصّل) والمضارع مثل: (يصلون)، وجاءت هذه الصيغ بمعنى الاتصال والبلوغ والتتابع، وهي ضد الهجران والانقطاع. ولكن سياق الآيات القرآنية في كثير من المواضع يشير من قريب أو من بعيد إلى أهمية الاتصال اللغوي، وذلك من خلال الإشارة إلى أطرافه ووظائفه وطرائقه ومقوماته ومعوقاته.

■ تناوُل القرآن الكريم للاتصال غير اللفظي، وبيان أثره في عملية الاتصال بشكل عام، وأنه جزء مهم ومكمّل للاتصال اللغوي.

■ اهتمام القرآن الكريم بطرفي الاتصال اللغوي (المرسل والمستقبل)، فلا تكاد تجد اتصالاً لغوياً في أي سياق قرآني يخلو من هذين الطرفين. وقد تعدّدت أشكال الاتصال اللغوي في ضوء أطرافه، فجاء اتصال الله تعالى بمختلف مخلوقاته، واتصال الملائكة بالملائكة، واتصال الملائكة بالإنسان، واتصال الإنسان بالإنسان، واتصال الإنسان بالجن، واتصال الجن بالجن، واتصال الإنسان بالحيوان، واتصال الحيوان بالحيوان.

■ عناية القرآن الكريم باستظهار وظائف الاتصال اللغوي، وبيان دوره في حياة الأفراد والجماعات، ويظهر ذلك من خلال السياق في كثير من الآيات القرآنية، وكان من أبرز وظائفه وأهمها: الوظيفة الدعوية والإعلامية، الوظيفة التربوية والتعليمية، الوظيفة الاجتماعية، الوظيفة النفسية، والوظيفة العقلية.

■ استخدام القرآن الكريم لعددٍ من طرائق الاتصال اللغوي، وفي ذلك إشارة إلى أهميتها وعظم أثرها في المتلقين، ومن أهمها: القصة، وضرب المثل، والحوار بأنواعه، والوعظ.

■ توجيه القرآن الكريم إلى الحرص على إنجاح عملية الاتصال اللغوي من خلال الإشارة إلى مقومات هذا الاتصال؛ فذكر أنه يلزم أطراف الاتصال اللغوي مجموعة من المقومات التي ينبغي عليهم التحصّل عليها، وتنميتها لديهم، لضمان النجاح الاتصالي، ومن أهمها: العلم والخبرة السابقة، ووضوح الرسالة وبيانها وتفصيلها، والإقناع، والهدوء النفسي، والتوافق اللغوي والثقافي بين المرسل والمستقبل، والإيمان بالفكرة، والصدق والأمانة في نقل الرسالة، والتدرُّج في نقل المعلومة؛ فإن اعتنى الفرد بهذه المقومات لا شك أنه يسير في اتجاه الاتصال اللغوي الناجح الذي يحقق من خلاله غاياته وطموحاته.

■ تحذير القرآن الكريم من عدد من العوامل التي قد تؤدي إلى فشل في عملية الاتصال اللغوي، والتي تعدّ معوّقات في طريق الاتصال اللغوي الناجح، ومن أهمها: الجهل، والإعراض، والاستكبار، والخلل في إحدى آلات الاتصال، والتشويش، وفظاظة اللسان وقسوة القلب، والسخرية والاستهزاء، واللعب واللهو، والاختلاف اللغوي بين المرسل والمستقبل، وتحريف الرسالة وتبديلها، واللبس وعدم الإبانة وكتمان الحق، وعدم مطابقة القول للفعل، والحالة النفسية.

■ تأكيد القرآن الكريم بوضوح واهتمام على المهارات الأربع للاتصال اللغوي: مهارات الإرسال اللغوي (التحدُّث والكتابة)؛ مهارات الاستقبال اللغوي (الاستماع والقراءة)؛ وتناولها باللفظ من خلال صيغ متعددة، وفي مواطن متنوعة.

■ احتفاء القرآن الكريم بمهارتي الاستماع والتحدّث بصورة أكبر، فقد أشار إلى مهارة الاستماع بألفاظ متعددة، ومشتقات متنوعة، فجاء بلفظ (سمع) ومشتقاتها، وبلفظ (الإنصات) وبلفظ (الإصغاء) وبلفظ (الوعي)، وجاء التحدّث بلفظ (الحديث) ومشتقاته، وبلفظ (الكلام) ومشتقاته، وبلفظ (القول) ومشتقاته، وبلفظ (الخطاب) و(اللغو).

■ إن هذا الاحتفاء بمهارة الإرسال (التحدُّث)، ومهارة الاستقبال (الاستماع) يشير إلى أن الأصل في الاتصال اللغوي يقوم على التلقّي الشفوي بين أطرافه، فمنذ خلق الله تعالى البشرية بدأ الاتصال بينهم اتصالاً شفوياً، وأن القرآن الكريم أيضاً جاء عن طريق التلقّي الشفوي، وفي ذلك إبراز لأهمية هاتين المهارتين.

■ وقد أثبتت بعض الدراسات الحديثة أن الإنسان يستخدم المهارات اللغوية ـ بناء على الأكثر استخداماً ـ على النحو الآتي: الاستماع ثم التحدُّث ثم القراءة ثم الكتابة، فهو يسمع أكثر مما يتكلّم، ويتكلّم أكثر مما يقرأ، ويقرأ أكثر مما يكتب.

■ عناية القرآن الكريم بمهارتي القراءة والكتابة، والتأكيد على أهميتها من خلال افتتاح الرسالة المحمدية بها في أول آيات نزلت من سورة (العلق) على محمد (ﷺ)، فأكدّ على القراءة وضرورة البدء بها والاستمرار عليها عندما عبّر عنها بفعل الأمر (اقرأ)، كما أكدّ على الكتابة عندما ربط بين العلم والقلم

في سياق الآيات نفسها. وعندما أقسم الله تعالى بالقلم في بداية سورة (القلم).

■ وقد تناول القرآن الكريم هاتين المهارتين بألفاظ أقل من سابقتيهما، حيث عبّر عن القراءة بلفظي (قرأ وتلا) ومشتقاتهما، وعبّر عن الكتابة بلفظي (كتب ونسخ) ومشتقاتهما، بينما عبّر عن مهارتي الاستماع والتحدّث بأكثر من ثلاثة ألفاظ لكل مهارة، بخلاف مشتقاتها.

■ تناول القرآن الكريم لمهارة الاستماع من عدة جوانب، فتناول معاني الاستماع وأهدافه وأهميته ومهاراته ومستوياته وآدابه. وبيّن أن هناك علاقة قوية بين السمع والقلب والعقل، فالسمع طريق القلب والعقل، والإنسان يعقل ويتفكّر ويتدبر لما يستمع إليه، يظهر ذلك كثيراً في الربط بين السماع والعقل أو القلب في العديد من المواضع.

■ تناول القرآن الكريم لمهارة التحدُّث من عدة جوانب، فتناول معانيها وأهدافها وأهميتها ومهاراتها وآدابها، وأكدّ أن الرسالة الكلامية تكون ناجحة إذا كانت تتصف بسلامة النطق، والدقة في التعبير، والبيان والفصاحة، والقدرة على الإقناع والتأثير، وفي مناسبة المقال لحال المخاطبين.

■ تناول القرآن الكريم لمهارة القراءة من عدة جوانب، فتناول معانيها وأهدافها وأهميتها ومهاراتها وآدابها، وأكدّ أنها سبيل التحصُّل على المعرفة، وهي وسيلة تعليم وتعلّم، وأن القراءة النافعة هي التي تكون على اسم الله تعالى.

■ تناوُل القرآن الكريم لمهارة الكتابة من عدة جوانب، فتناول معانيها وأهدافها وأهميتها ومهاراتها وأدبياتها وأدواتها، وأكدّ القرآن الكريم أن هدف الكتابة يدور حول معنى التوثيق والحفظ، كما أشار إلى علاقتها بالعلم والتعليم، وتنظيم شؤون الحياة للناس.

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [سورة يونس: ١٠]

الدكتور فهد محمد الشعابي الحارثي
ص.ب. ٥٩٠٠ الطائف ٢١٩٤٤
البريد الإلكتروني: aaamn@hotmail.com
تويتر: @dfahadalharthi

المراجـع

١ ـ العربية

كتب

إبراهيم، مجدي عزيز. **موسوعة التدريس**. عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**. تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة. ط ٢. الرياض: دار الرفاعي للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**. الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان. **الخصائص**. تحقيق محمد علي النجار. القاهرة: المكتبة العلمية، [د. ت.].

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي. **تلبيس إبليس**. بيروت: دار الكتب العلمية، [د. ت.].

ـــــ . **صيد الخاطر**. تحقيق عبد الرحمن البر. المنصورة: دار اليقين للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

ابن حميد، صالح [وآخرون]. **موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ﷺ). جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.**

ابن حنبل، أحمد بن محمد. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد. **مقدمة ابن خلدون**. القاهرة؛ بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٦.

ابن سعيد، أحمد بن راشد. **فن الكلام: مدخل إلى الاتصال العام**. الرياض: دار جبل الشيخ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

ابن عاشور، محمد الطاهر. **تفسير التحرير والتنوير**. تونس: الدار التونسية، [د. ت.].

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد. **العقد الفريد**. بيروت: دار الكتاب العربي، [د. ت.].

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد. **الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها**. تحقيق السيد أحمد صقر. القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، [د. ت.].

ـــــ . **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق عبد السلام هارون. ط ٢. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. **بدائع الفوائد**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

ـــــ . **زاد المعاد في هدى خير العباد**. تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

ـــــ . **مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين)**. تحقيق أحمد الرفاعي وفارس الحرستاني. بيروت: دار الجيل، [د. ت.].

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. **تفسير القرآن العظيم**. ط ٩. بيروت: دار المعرفة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. **لسان العرب**. بيروت: دار صادر، [د. ت.].

أبو حويج، مروان. **المناهج التربوية المعاصرة**. عمّان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

أبو حيان، محمد بن يوسف. **تفسير البحر المحيط**. ط ٢. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

أبو داود، سليمان بن الأشعث. **سنن أبي داود**. الرياض: مكتبة الرياض الحديثة، [د. ت.].

أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**. بيروت: دار إحياء التراث العربي، [د. ت.].

أبو صالح، محمد بدر الدين. **المدخل إلى العربية**. حلب: مكتبة الشرق، [د. ت.].

أبو عرقوب، إبراهيم. **الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي**. عمّان: دار مجدلاوي، ١٩٩٣.

أبو هاشم، السيد محمد. **سيكولوجية المهارات**. القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤.

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله. **الفروق في اللغة**. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي. ط ٤. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

أحمد، عصام عبد العظيم. **دليلك إلى الاتصال الفعّال من منظور إسلامي**. القاهرة: ألفا للنشر والتوزيع، [د. ت.].

أحمد، محمد الأمين موسى. **الاتصال غير اللفظي في القرآن الكريم**. الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٣.

أحمد، نازلي صالح. **مقدمة في العلوم التربوية**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣.

أسعد، يوسف ميخائيل. **رعاية المراهقين**. القاهرة: دار غريب، [د. ت.].

إسماعيل، محمود حسن. **الصحافة والإذاعة المدرسية بين النظرية والتطبيق**. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

الألوسي، محمود شهاب الدين. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

الباشا، عبد الرحمن رأفت. **نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد**. ط ٤. القاهرة: دار الأدب الإسلامي، ١٩٩٨م.

الباقوري، أحمد حسن. **أثر القرآن الكريم في اللغة العربية**. ط ٢. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣.

البجة، عبد الفتاح حسن. **أساليب تدريس مهارات اللغة العربية وآدابها**. ط ٢. الإسكندرية: دار الكتاب الجامعي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**. بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

بشر، كمال. **علم اللغة الاجتماعي**. ط ٣. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، ١٩٩٧.

البغوي، أبو محمد الحسين. **معالم التنزيل**. ط ٣. الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن. **نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور**. ط ٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

بلوم، بنجامين [وآخرون]. **نظام تصنيف الأهداف التربوية**. ترجمة محمد الخوالدة وصادق عودة. جدة: دار الشروق، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

بوارب، بيرسي. **إدارة المدرسة الثانوية الحديثة في أمريكا**. تحقيق سامي ناشد. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٥.

البيضاوي، ناصر الدين عبد الله. **أنواع التنزيل وأسرار التأويل**. بيروت: دار الجيل، [د. ت.].

الترمذي، أبو عيسى محمد. **سنن الترمذي**. إستانبول: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، [د. ت.].

التونجي، محمد. **المعجم المفصّل في الأدب**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. **البيان والتبيين**. تحقيق عبد السلام هارون. ط ٧. القاهرة: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

جان، محمد صالح. **المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس**. الطائف: دار الطرفين، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

الجبالي، حمزة. **الإذاعة المدرسية**. عمّان: دار الإسراء للنشر والتوزيع، [د. ت.].

الجرجاني، علي بن محمد. **التعريفات**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

جونستون، إدغار ورولاند فاونس. **النشاط المدرسي في المرحلة الثانوية**. ترجمة وتقديم محمد علي العريان؛ مراجعة محمد السيد روحه. القاهرة: دار القلم، [د. ت.].

الجوهري، إسماعيل بن حماد. **الصحاح**. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار. ط ٤. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠.

الجيوسي، محمد بلال. **أنت وأنا: مقدمة في مهارات التواصل الإنساني**. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

الحافظ، نوري. **المراهق**. ط ٢. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٠.

الحامد، محمد معجب [وآخرون]. **المواصفات العامة للكتاب المدرسي**. الرياض: وزارة المعارف، مركز التطوير التربوي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

حبيب الله، محمد. **أسس القراءة وفهم المقروء بين النظرية والتطبيق**. ط ٢. عمّان: دار عمّار، ١٤٢١هـ/ ١٩٨١م.

حبيبي، ميلود. **الاتصال التربوي وتدريس الأدب**. بيروت؛ الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٣.

حجاب، محمد منير. **مهارات الاتصال للإعلاميين والتربويين والدعاة**. ط ٤. القاهرة: دار الفجر، ٢٠٠٣.

حجازي، مصطفى. **الاتصال الفعّال في العلاقات الإنسانية والإدارة**. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

الحدري، خليل بن عبد الله بن عبد الرحمن. **منهجية التفكير العلمي في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية**. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

حمدان، محمد زياد. **التدريس المعاصر**. عمّان: دار التربية الحديثة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

الحموي، شريف. **مهارات الاتصال**. ط ٢. عمّان: دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.

الخازن، علاء الدين علي. **لباب التأويل في معاني التنزيل**. ط ٢. القاهرة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

الخليفة، حسن جعفر. **فصول في تدريس اللغة العربية**. ط ٤. الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

خليل، حلمي. **اللغة والطفل دراسة في ضوء علم اللغة النفسي**. بيروت: دار النهضة العربية، [د. ت.].

الداية، محمد رضوان وجهاد جمل. **اللغة العربية ومهاراتها**. العين: دار الكتاب الجامعي، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

دكر، برت. **فن الاتصال**. ترجمة عبد الرحمن بن هادي الشمراني. ط ٢. الرياض: دار المعرفة للتنمية البشرية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. **التفسير الكبير**. ط ٤. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

الرافعي، مصطفى صادق. **إعجاز القرآن**. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

رضوان، أبو الفتوح [وآخرون]. **المدرس في المدرسة والمجتمع**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٨.

روبنر، هارفي أ. **كيف تتحدث وتستمع بفعالية**. الرياض: مكتبة جرير، ١٩٩٩.

زريق، معروف. **خفايا المراهقة**. ط ٢. دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

الزمخشري، جار الله محمود. **تفسير الكشاف**. بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

زمزمي، يحيى محمد. **الحوار: آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة**. ط ٢. عمّان: دار المعالي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

الزهراني، سعود حسين. **المعلم السعودي: إعداده، تدريبه، تقويمه**. جدة: دار البلاد للطباعة والنشر، جدة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

زيتون، كمال عبد الحميد. **التدريس: نماذجه ومهاراته**. الإسكندرية: المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر، ١٩٩٧.

زيدان، محمد مصطفى. **المدرسة الثانوية العامة بالمملكة العربية السعودية**. القاهرة: دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

ستيتية، سمير شريف. **المشكلات اللغوية في الوظائف والمصطلح والازدواجية**. دبي: دار القلم، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

السريع، عبد العزيز وتحسين بدير. **المسرح المدرسي في دول الخليج العربية الواقع وسبل التطوير**. الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

سلامة، عبد الحافظ محمد. **وسائل الاتصال وأسسها النفسية والتربوية**. عمّان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

سمك، محمد صالح. **فن التدريس للتربية اللغوية**. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨.

السنبل، عبد العزيز [وآخرون]. **نظام التعليم في المملكة العربية السعودية**. ط ٦. الرياض: دار الخريجي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

السويدان، طارق. **فن الإلقاء الرائع**. ط ٣. الكويت: الإبداع الفكري، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية. ط ٤. الرياض: وزارة المعارف، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

السيد، محمود أحمد. **تعليم اللغة العربية بين الواقع والطموح**. دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٨.

السيد الزعبلاوي، محمد. **تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس**. ط ٢. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٦.

السيد سلطان، محمود. **مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ**. القاهرة: دار المعارف، [د. ت.].

السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين. **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**. بيروت: منشورات المكتبة العصرية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

الشايع، محمد. **الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم**. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

شحاتة، حسن. **المناهج الدراسية بين النظرية والتطبيق**. القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

ـــــ. **النشاط المدرسي: مفهومه ووظائفه ومجالات تطبيقه**. ط ٣. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

ـــــ وزينب النجار. **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

شكري، عبد المجيد. **الأسس التربوية والإعلامية للصحافة المدرسية**. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

الشنطي، محمد صالح. **المهارات اللغوية**. ط ٤. حائل: دار الأندلس للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

الشنقيطي، محمد الأمين المختار. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

الشوكاني، محمد بن علي. **فتح القدير**. ط ٢. بيروت: دار المعرفة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

صالح، أحمد زكي. **علم النفس التربوي**. ط ١٤. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٢.

صمّود، حمّادي. **التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس**. تونس: منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. تحقيق عبد الله التركي. الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

طعيمة، رشدي أحمد. **المهارات اللغوية: مستوياتها ـ تدريسها ـ صعوباتها**. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

الطويرقي، عبد الله. **علم الاتصال المعاصر**. ط ٢. الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

عبد الله، عبد الرحمن صالح وحلمي محمد فوده. **المرشد في كتابة البحوث التربوية**. ط ٤. مكة المكرمة: مكتبة المنارة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

عبد الرحيم، عبد الجليل. **لغة القرآن الكريم**. عمّان: مكتبة الرسالة الحديثة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

عبيدات، ذوقان [وآخرون]. **البحث العلمي: مفهومه، وأدواته، وأساليبه**. الرياض: دار أسامة، ٢٠٠٤.

عثمان، حسن مُلا. **طرق تدريس اللغة العربية في المدارس المتوسطة والثانوية**. الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

عطار، أحمد عبد الغفور. **آراء في اللغة**. جدة: المؤسسة العربية للطباعة، [د. ت.].

العطاس، عبد الله. **المسرح المدرسي في المملكة العربية السعودية**. مكة المكرمة: مطابع الصفا، ١٩٩٢م.

عطية، نوال محمد. **علم النفس اللغوي**. ط ٣. القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩٥.

العقاد، عباس محمود. **أشتات مجتمعات في اللغة والأدب**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢.

علي، سعيد إسماعيل [وآخرون]. **التربية الإسلامية المفهوم والتطبيقات**. ط ٥. الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٢.

عليان، أحمد فؤاد. **المهارات اللغوية: ماهيتها وطرائق تنميتها**. ط ٢. الرياض: دار المسلم، ٢٠٠٠.

عليان، ربحي مصطفى. **الاتصال والعلاقات العامة**. عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

عليق، أحمد محمد [وآخرون]. **وسائل الاتصال والخدمة الاجتماعية**. الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠٠٤.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد. **القاموس المحيط**. ط ٣. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

الفيومي، أحمد محمد. **المصباح المنير**. بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٨٧.

القرطبي، أبو عبد الله محمد. **الجامع لأحكام القرآن**. الرياض: دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

القرني، عوض. **حتى لا تكون كلاً.. طريقك إلى التفوق والنجاح**. ط ٨. جدّة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

القطان، مناع. **مباحث في علوم القرآن**. ط ٣. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

قطب، سيد. **في ظلال القرآن**. ط ٢. القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

القلقشندي، أحمد بن علي. **صُبح الأعشى في صناعة الإنشا**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

كاظم، محمد نبيل. **كيف ندرّب أبناءنا على حرية التعبير**. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

كفافي، علاء الدين [وآخرون]. **مهارات الاتصال والتفاعل في عمليتي التعليم والتعلّم**. ط ٢. عمّان: دار الفكر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

الكك، فيكتور وأسعد علي. **صناعة الكتابة**. ط ٣. بيروت: دار غندور، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

كوفي، ستيفن ر. **العادات السبع للناس الأكثر فعالية**. الرياض: مكتبة جرير، ٢٠٠٠.

اللقاني، أحمد حسين. **تحليل التفاعل اللفظي في تدريس المواد الاجتماعية**. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٨.

ـــــ وعلي الجمل. **معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس**. ط ٢. القاهرة: عالم الكتب، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. **أدب الدنيا والدين**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

المبارك، محمد. **فقه اللغة وخصائص الحياة**. دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر، [د. ت.].

المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد. **الكامل في اللغة والأدب**. بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

مجاور، محمد صلاح الدين. **تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية: أسسه وتطبيقاته**. الكويت: دار القلم، ١٩٧٤.

ـــــ **تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية: المناهج المستعملة واللسانيات التداولية**. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

ـــــ. **دراسة تجريبية لتحديد المهارات اللغوية في فروع اللغة العربية**. الكويت: دار القلم، ١٩٧٤.

ـــــ وفتحي عبد المقصود الديب. **المنهج المدرسي: أسسه وتطبيقاته**. الكويت: دار القلم، ١٩٨٤.

المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. **تفسير الجلالين**. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

محمود، حمدي شاكر. **البحث التربوي للمعلمين والباحثين**. جدة: دار الأندلس، ١٩٩٩.

محمود، سمير. **الصحافة المدرسية الأسس والمبادئ والتطبيقات**. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع، ١٩٩٦.

مختار، حسن علي. **الفاعلية في المناهج وطرق التدريس**. مكة المكرمة: مكتبة الرسائل الجامعية، ١٩٨٨.

مدكور، أحمد. **تدريس فنون اللغة العربية**. الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

المسعودي، سعد بركي [وآخرون]. **مهارات التواصل**. جدة: جامعة الملك عبد العزيز، مركز تطوير التعليم الجامعي، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

مسلم بن الحجاج النيسابوري، أبو الحسين. **صحيح مسلم**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

المشهداني، مصطفى محمد. **الحوار ودوره في الدعوة والتربية والثقافة**. الدوحة: دار الثقافة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

مصطفى، رياض بدري. **مشكلات القراءة من الطفولة إلى المراهقة**. عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

مصطفى، عبد الله علي. **مهارات اللغة العربية**. عمّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

معايطة، داود وحسن العقول. **النشاط الطلابي وتطبيقاته**. الرياض: الدار الصولتية للتربية، [د. ت.].

المعتوق، أحمد محمد. **الحصيلة اللغوية: أهميتها ـ مصادرها ـ وسائل تنميتها**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٦. (عالم المعرفة؛ ٢١٢)

معروف، نايف. **خصائص العربية وطرائق تدريسها**. ط ٤. بيروت: دار النفائس، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

مكاوي، حسن عماد. **الاتصال ونظرياته المعاصرة**. القاهرة: الدار المصرية ـ اللبنانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

المناوي، محمد عبد الرؤوف. **التوقيف على مهمات التعاريف**. تحقيق محمد رضوان الداية. بيروت: دار الفكر المعاصر، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

الميداني، أحمد بن محمد. **مجمع الأمثال**. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. ط ٣. دمشق: دار الفكر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

النجيحي، محمد لبيب ومحمد منير مرسي. **المناهج والوسائل التعليمية**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٧.

النحلاوي، عبد الرحمن. **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**. دمشق: دار الفكر، [د. ت.].

النسفي، عبد الله بن أحمد. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**. بيروت: دار القلم، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

نصر الله، عمر عبد الرحيم. **مبادئ الاتصال التربوي والإنساني**. عمّان: دار وائل للنشر والتوزيع، ٢٠٠١.

النقيب، عبد الرحمن. **المنهجية الإسلامية في البحث التربوي**. القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٤.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف. **صحيح مسلم بشرح النووي**. القاهرة: المطبعة المصرية بالأزهر، ١٩٢٩.

هلال، محمد عبد الغني. **مهارات الاتصال**. القاهرة: مركز تطوير الأداء والتنمية، ١٩٩٩.

والي، فاضل فتحي. **تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية**. حائل: دار الأندلس، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

يالجن، مقداد. **أهداف التربية الإسلامية وغاياتها**. ط ٢. الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

يحيى، حسن عايل وسعيد المنوفي. **المدخل إلى التدريس الفعال**. ط ٢. الرياض: الدار الصولتية للتربية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

دوريات

الحربي، عايد عبد الله. «آية الدين تفسيرها وفقهها.» **مجلة الجامعة الإسلامية** (المدينة المنورة): السنة ٣٧، العدد ١٢٦، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

رمضان، محيي الدين عبد الرحمن. «العربية طرق تفكير ومناهج بحث.» **اللسان العربي**: العدد ٣٨، ١٩٩٤.

سليمان، السر أحمد. «الوظائف التعليمية والفاعلية التعليمية للاتصال غير اللفظي في الحديث النبوي.» **المجلة التربوية** (جامعة الكويت، مجلس النشر العلمي): السنة ١٠، العدد ٨٧، ٢٠٠٦.

عبد الله، عبد الرحمن صالح. «العمليات العقلية في القرآن الكريم ودلالاتها التربوية.» **مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية**: السنة ٧، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

اللحيدان، عبد الله. «الاستماع في مجال الدعوة.» **مجلة جامعة الملك سعود، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية** (الرياض): السنة ١٥، العدد ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٤م.

نشوان، يعقوب. «تحليل التفاعل اللفظي في دروس الطلبة المعلمين بكلية التربية جامعة الملك سعود، الرياض - السعودية.» **مجلة جامعة الملك سعود**: السنة ١، العددان ١ ـ ٢، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٨م.

هلال، عبد الغفار حامد. «اللغة بين الفرد والمجتمع.» **اللسان العربي** (الرباط): العدد ٢٣، ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣.

الوعي الإسلامي (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت): العدد ٤٨٠، شعبان ١٤٢٦هـ ـ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٥.

رسائل جامعية وأطروحات

الأحمدي، مريم محمد عايد. «برنامج مقترح لتنمية بعض مهارات الاتصال اللغوي الشفهي لدى طالبات كليات التربية للبنات بالمملكة العربية السعودية المدرسة.» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، قسم التربية وعلم النفس، جدة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

باعيسى، نزيه سعيد. «مهارات الاتصال اللغوي لمدير المدرسة ودورها في تفعيل عملية الاتصال مع المعلمين داخل المدرسة.» (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، مكة المكرمة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢).

الجلال، عائشة عبد الرحمن. «توجيهات التربية الإسلامية حول أسس القراءة واتجاه طالبات الدراسات العليا الجامعية بجامعة أم القرى حول تلك الأسس والعوامل المؤثرة في ذلك الاتجاه.» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م).

حريري، موفق محمد. «علاقة التفاعل اللفظي في الصف بتحصيل طلاب الصف الثاني الثانوي في مقرر الرياضيات.» (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

الزهراني، مرضي غرم الله. «فعالية مجمّعات تعليمية في تنمية المهارات اللغوية لدى طلاب المستوى الأول في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى واتجاهاتهم نحوها.» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

القحطاني، مصلح. «استخدام نماذج تحليل المنفعة لدراسة فاعلية الأنشطة المدرسية بالمرحلة الثانوية.» (رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث العملية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).

القرني، مرعي. «العلاقات الإنسانية بين المعلم والمتعلم في القرآن الكريم وتطبيقاته التربوية.» (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)

معلم، فائزة جميل محمد. «أثر حفظ القرآن الكريم على تنمية مهارات الاستقبال اللغوي لدى تلميذات الصف السادس الابتدائي بمدينة مكة المكرمة». (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم المناهج وطرق التدريس، مكة المكرمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م).

ندوات، مؤتمرات

بحوث ندوة خبراء أسس التربية الإسلامية. ط ٢. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، مركز البحوث التربوية والنفسية، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

بحوث ندوة ظاهرة الضعف اللغوي في المرحلة الجامعية. الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، الإدارة العامة للثقافة والنشر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢ ـ الأجنبية

Books

Byrns, James H. *Speak for Yourself: An Introduction to Public Speaking*. 4th ed. New York: McGraw-Hill, 1997.

Hairston, Maxine and Michael Keene. *Successful Writing*. 4th ed. New York; London: Norton, 1998.

McDonough, Steven H. *Strategy and Skill in Learning a Foreign Language*. London; New York: E. Arnold, 1995.

Quirk' Randolph [et al.]. *Longman English Dictionary*. 3rd ed. London: Longman, 2003.

Tubbs, Stewart L. *Human Communication*. 7th ed. New York: McGraw-Hill International 1994.

أ علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com

الاتصال اللغوي

في القرآن الكريم

تحظى عملية الاتصال بعناية كبيرة لدى شرائح المجتمع على اختلاف مستوياتهم العلمية، فكثرت المؤلفات في هذا الموضوع، وأخذ الناس يهتمون بها نظرياً وتطبيقياً، وذلك لطبيعة الإنسان الاجتماعية، التي تتطلب منه أن يتواصل مع الآخرين لقضاء حاجاته وتنظيم حياته، ولإشباع رغباته النّفسية والاجتماعية.

إن الدّراسات التي تناولت هذه المهارات كانت تستقي معارفها من محيط العلم البشري، وقد قدّمت للبشرية نتاج فكرها، وعصارة تجربتها، القديم منها والحديث، فتناولت الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة، بمختلف مهاراتها وآدابها من خلال المعرفة البشرية القائمة على الملاحظة والتجربة، وهذا حسن ومفيد، ولكن الأكثر حسناً، والأعظم فائدة ـ بلا شك ـ هو أن ننهل من منابع التنزيل، وأن نَرِد مناهله المتدفِّقة، فنقرأ ونستقرئ، ونفهم ونستفهم، ونجهد الفكر على ضوء من التفسير، ونحاول أن نؤصل لتلك المهارات اللغوية، حتى تتم الفائدة منها، ولا سيما أنها وردت في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

والقرآن الكريم حافل بكل ما تحتاج إليه البشرية في الدنيا والآخرة، فيه هدى وبشرى وبيان للناس.

وبناء على ما سبق، فإن هذه الدراسة تسعى إلى تأصيل مهارات الاتصال اللغوي، والتعرّف عليها في القرآن الكريم، ومعرفة أهم مهاراتها وآدابها من خلال الاستقراء ومن ثم الاستنباط، وكيف يمكن الاستفادة من ذلك في إمداد الميدان بالمفاهيم التأصيلية لهذه المهارة.

ISBN 978-614-428-069-0

9 786144 280690

منتدى المعارف

بناية «طبارة» ـ شارع نجيب العرداتي ـ المنارة ـ رأس بيروت

ص.ب: ٧٤٩٤ ـ ١١٣ حمرا ـ بيروت ٢٠٣٠ ١١٠٣ ـ لبنان

بريد الكتروني: info@almaarefforum.com.lb